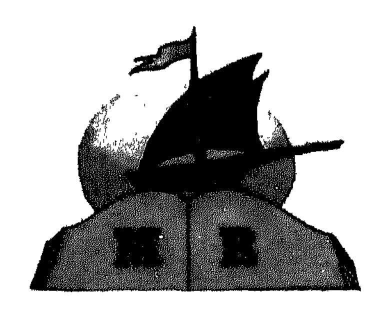


مركز الراية للنشر والإعلام

- مركز الراية هو دار نشر حرة مستقلة تتبنى قضايا جادة وهادفة .
- وقد تم تأسيس هذا المركز من وحى احساسنا بدور الكلمة المطبوعة فى التعبير عن قضايانا المصيرية . وكشف أوجه القصور . وتصحيح الأوضاع المقلوبة . أو المفاهيم الخاطئة . وإثراء حياتنا الفكرية والثقافية .
- ورغم أن المركز لا يزال فى بداياته الأولى إلا أن حسن استقبال القارئ العربى من المحيط الى الخليج لمطبوعاتنا جعلنا ندرك حجم المسئولية الملقاة على عاتقنا . ونحاول قدر جهدنا تقديم كل جديد وجاد وهادف .

الناشر

محمد فكرى

محمد رضوان

شعراء الحب

مركز الراية للنشر والإعلام

كلمة الناشر

هناك شعراء وقفوا حياتهم على التغنى ببدائع الحسن وروائع الجمال ، وعاشوا تجارب الحب بكل ألوانه من وصال وهجر ، وفراق وحنين ، ودموع وضحكات ، وعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم الوجدانية بكل صدق وحرارة وأمانة .

وكان أكثر شعراء الحب الذين اتسموا بالصدق هم شعراء الرومانسية الذين اشتعل وجدانهم حباً وعشقاً ، فملأوا الدنيا غناء وتشبيباً ، ومن بينهم نخبة من الشعراء الذين ظهروا مع جماعة أبوللو ، ونشروا بمجلة أبوللو قصائدهم ومن أبرزهم على محمود طه ، وإبراهيم ناجى ، وصالح جودت ، وأحمد فتحى ، والهمشرى .

وفى هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفى محمد رضوان دراسة موسعة شاملة عن المؤثرات التى لعبت دوراً عميقاً فى حياة شعراء الوجدان وشعرهم ، ودور الحب فى حياتهم ، فجاء شعرهم تسجيلاً أميناً لقصص حبهم ، وصدى لذكريات ليالى الحب والغرام التى عاشوها .

أحمد فكرى

مدير مركز الراية

رقم الإيداع ٩٩/٤٨٤٥

منهج محمد رضوان
فى أدب السير والتراجم

بقلم السفير الشاعر :
أحمد عبدالمجيد

مركز الراية للنشر والإعلام
أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٩
اسم الكتاب : شعراء الحب
المؤلف : محمد رضوان
تصميم الغلاف : أحمد فكرى
الطبعة الأولى : ١٩٩٩
كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع
هى حق من حقوق الناشر لا يجوز
اقتباسها أو نقلها إلا بإذن كتابى منه

يطيب لي وأنا مستريح في برجي العاجي الذي يرتفع فوق محطات من السنوات العديدة التي قطعتها من عمري ، أن أشاهد بمنظاري أدباء من الشباب اتخذوا من الأدب حرفة وتنوعت ميولهم واتجاهاتهم في الدراسة والانتاج ، لفروع هذا الأدب وألوانه .

ولاتختلف نظراتي الى هؤلاء الأدباء الشبان المثابرين ، عن نظرتي الى زهور حديثة النمو ، في حديقة ، تقاوم عوامل الطبيعة وتمتص مما حولها مقومات الحياة ، حتى يشتد عودها ، وتتفتح زهورها ، وتؤتي عطرها وشذاها فواحا ذكيا ، أو تهب بها ريح هوجاء ، تقتلعها من جذورها وتحرمها من مناعم الحياة .

والشبان من أدباء عصرنا الحالي ، يختارون من فروع الأدب ، ماتنزع اليه نفوسهم مايتفق مع ميولهم ورغباتهم . ولكل فرع من فنون الأدب ، مناهج تتباين بتباين طالبي هذا الفرع وتكوينهم وتأثرهم بما حولهم وبما حملوه وماهضموه من هذا التحصيل .

والمنهج ، كما نعلم ، هو المسلك والمسار والسبيل الذي يسلكه طالب البحث حتى يصل الى مبتغاه .

وتختلف المناهج باختلاف الطبائع والأذواق لدى أصحاب البحث ومواضيع البحث .

ونحن اذا نظرنا الى مجموعة من المسافرين على طائرة تقطع بهم فيافي الأجواء حتى تصل الى غايتها النائية ، وجدنا أن كل مسافر قد نهج منهجا مستقلا عن غيره من المصاحبين له في السفر ، في طريقة قطعه للوقت ، دفعا للملل ورتابة المنظر المحيط .

فبينما تجد أحدهم قد عكف على قراءة صحيفة أو كتاب ، اذا بك ترى غيره قد أخذ يكتب أو يرسم أو يلعب الورق أو يتحدث أو يعمل عملا يدويا للتسلية وازجاء الوقت .

وهناك من يستعد لهذه الرحلة بتهيئة أسباب النوم ، حتى لايحس وطأة طول الساعات ومخاطر المجهول ..

xxxxxxxxxxxxx

* أحمد عبد الحميد (١٩٠٥ - ١٩٨١) شاعر مصري معاصر . عمل بالسلك الدبلوماسي المصري أكثر من ثلاثين عاما تنقل خلالها في الكثير من بلاد العالم ، من مؤلفاته " لكل أغنية قصة " و " سندباد دبلوماسي " و " أضواء على الدبلوماسية " وله ديوان شعر بعنوان " همسات "
وكتب هذه المقدمة عام ١٩٧١

وكتابة السيرة أو الترجمة ، تعتبر فى يقينى عملا جليلا ينطوى على مناحى الخير والصدق والجمال .

فهذا العمل ، يعهد الى تسجيل أعمال فنان ، كيفما كان فنه الذى ولع به ، واتخذه غاية ومأربا .

ثم لايلبث أن يجد القارىء الى جانب تسجيل أعمال الفنان ، أن كاتب سيرته يعيد خلق شخصيته فى سيرة أخرى ، غير التى كان يحياها كحياة فردية .

ذلك أن كاتب السيرة أو الترجمة ينصرف همه الى الاخلاص للواقع الفنى ولذلك كانت أعظم التراجم فى العالم ، هى التى تقدم موضوع الفن على حقيقة وواقع الفنان ، ثم تتعدى ذلك الى خلق صورة حية للفنان فى اطار أعماله وفى ضوء ما أفاء به على انتاجه من قدرة وتفرد واحسان .

والترجمة لفنان من الفنانين ، لاتكون صادقة الا اذا احتوت على تحليل عميق للمشاعر البشرية ، وتكشفت لها الدوافع والغايات الانسانية التى تكون هاديا لكاتب السيرة ومنارا يقيه العثرات ..

xxxxxxxxxxx

ويختلف كاتب الترجمة أو السيرة عن الناقد فى أن الأول يكشف عن خير مافى أعمال المترجم له من نواحى الكمال والجمال ، لأنه تأثر به وملأت عينه أعماله ، وأكبر فيه ماأنتجه من آثار ، فى حين أن الثانى ، لايحرص ، اذا كان مايكتبه عن الفنان الذى يتناول فنه بالنقد ، يقضى الى هدم صاحبه ، مادام هو فى صدق واخلاص ، قد أرضى ضميره ، وارتاح الى حكمه ، واتبع مسلكا لاشبهة فيه لميل أو هوى .

وكتابة السيرة أو الترجمة لفنان من أهل الفن ، أمانة كبرى ، تستبد بالمخاطر ، ولاتترك له مخرجا للراحة الا أن يكون ذلك عن طريق التنفيذ الكامل لما حمل من أمانة ، وما آلى على نفسه من الوفاء بها .

ولقد عن للأديب الناقد محمد رضوان أن يحمل على عاتقه هذه الأمانة .

وقد تهيأ لى الاطلاع على كتاب ، توفر على وضعه الأديب محمد رضوان عن الكاتب

والشاعر والناشر الدكتور زكى مبارك هو " صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك " والذى كان من فرط تنوع انتاجه بين نثر ونقد ونظم وتحليل بالاضافة الى حصوله على ثلاث شهادات للدكتوراة يتندرون بقولهم عنه :

" الدكاترة زكى مبارك " ..

كما سنحت لى سانحة أخرى بالإطلاع على كتاب أعده الأديب محمد رضوان عن الشاعر الرقيق أحمد فتحى ، أحسن اختيار عنوانه " اعترافات شاعر الكرنك " كما اطلعت على مسودات دراسات شاملة له عن الشاعر على محمود طه والشاعر ابراهيم ناجى والشاعر صالح جودت والشاعر عبد الحميد الديب والشاعر كامل الشناوى .

ويجمل لى أن أرجىء الحديث من العمليين الكاملين اللذين أشرت اليهما إلى حين تناول وضع الأديب الناقد محمد رضوان من أدب السير والتراجم ومنهجه فيه.

xxxxxxxxxxxx

لقد اختار الأديب الناقد محمد رضوان هذا اللون من الأدب بعد أن قر فى ذهنه أنه مولع به ومتفان فيه ومخلص فى الكشف عن خوافيه مهما كلفه البحث من جهد وعنت .

وانك لتراه عندما يختار تمثاله الذى يريد أن يلقى عليه الضوء ، قد ملأ يديه وقلبه وعينيه وذهنه بكل ماكان يحيط بالمترجم له فى حياته ان كان قد قضى ، أو مايزال يضطرب فيه ان كان من الأحياء .

ولست أغلو اذا أنا قلت أنه يكاد يتنسم نسيمه ويشاركه نبض قلبه وطرفة عينه ..

وهذا ضرب من الاخلاص فى العمل يحس أن يحذو حذوه كل كاتب للترجمة عن فنان ، حتى تجىء كتابته نابضة بالحياة والصدق .

ولدى أسباب تحملنى على هذا القول ، أوجزها فيما يلى من سطور :

١ - ان محمد رضوان مخلص فى مسلكه لهذا الفن الذى تعلقت به نفسه ، والذى لم يبرزه

كطيف خيال فى الكرى أو كحلم من أحلام الرغبات المكبوتة التى تغادره عند الصباح ، وكأن شيئا لم يكن ، بل أنه ليصبح ويمسى ولاشاغل له الا هذا اللون من الكتابة ، ولابديل له عنده مهما تنوعت الفنون والآداب من حوله أو فيما يقرأ أو يشاهد أو يطلع .

٢ - انه صادق فى رغبته من اتخاذ الشعراء الرومانسيين مسرحا لأعماله ، بعد أن شغلته أعمالهم وأحب فيهم نزعاتهم وامتلأ قلبه اعجابا واكبارا لفنهم .

وهو يريد مخلصا أن يخرج أعمالهم على مسرحه الذى أقامه لهم وحشد له بجهد وتفان ومشقة ، كل مايضمن لعمله النجاح ، ويلقى من المشاهدين التصفيق والاستحسان ..

٣ - انه اختار " المنهج النفسى " فى كتابة التراجم ، بعد أن أيقن من حسن معالجته لهذا اللون الذى يتطلب خصائص ذاتية ، يتعين توفرها فى أول الطريق ، ثم لايلبث أن يصقلها المران من حول المعاناة والسهر على هذا اللون فى سبيل الاجادة والاحسان .

على أن هذا اللون من أدب التراجم شاق المأخذ ، وعر المسالك ، عميق الغور ، فان على من يختاره أن تكون عدته من الاطلاع على خوافى شعر المترجم له وافية ، ونفوذه الى أسرار صناعته سليم المأخذ واضح الجادة .

والعثور على مفتاح شخصية الفنان أمر عسير المأرب ، ولايستجيب الا لقلة من الكتاب .

وهذا المفتاح كالشفرة السرية التى تكتب بها البرقيات الخطيرة فى السياسة أو فى الحرب .

وعلى طالب هذا اللون أن يزود نفسه الى جانب مطالعاته العديدة فى أدب المترجم له ، أقول أن يزود نفسه بقراءات مستفيضة فى علم النفس ، حتى يكون حكمه مستندا الى قواعد من العلم ، الى جانب مايسوقه فى بحثه من شواهد من الفن .

وهو فى هذا الشأن كالطبيب الباطنى المعالج ، على سبيل المثال ، الذى ينجح فى الوصول الى سلامة تشخيصه ، كلما كان إلمامه بعلم النفس واسعا ومحيطا ، ودرايته بأساليب التعليل والتحليل وافية وسليمة .

٤ - كما أنه أحب أن يتخصص فى الترجمة النفسية لشعراء لم ينصفهم زمانهم ، لالعلة فى أعمالهم ، ولكن لعلة فى زمانهم وفى أهل زمانهم .

وهذا وفاء أقطع بأنه نادر المثال فى وقت وزمن وحين تذهل كل مرضعة عمن أرضعت من فرط اللهفة على تحصيل ماتصل اليه اليد من مادة ، وليذهب الى الجحيم غيرها من الأيادى ، ولأم الواهن الهبل !

ومن الصعوبات التى تواجه كتاب هذا اللون من التراجم ، ماأسوقه فيما يلى كمثال :

فقد قضت محكمة استئناف باريس فى شهر مايو ١٩٧٠م بتعويض على جريدة " فرانس ديمانش " لأن أحد محرريها نشر عنوان " مغنى " كان يؤثر أن يبقى فى الظل بعد أن عشى بصره من ضوء الشهرة ، كما نشر رقم تليفونه وعنوان منزله الريفى واسمه الحقيقى قبل مزاولة فنه ، وذلك وهو بسبيل عرض بعض أعمال الفنان وذكر ماضيه الفنى .

وكان الحلم يستهدف انقاذ الحياة الخاصة من ادعاء الحق فى حرية التعبير التى لايجوز أن تكون بمقدار .

فمن حق المرء أن يكون فى مأمن من أى تعد على حريته أو سمعته أو خصوصيته أو رغبته فى النسيان .

ذلك أن كاتب الترجمة النفسية ، حرصا منه على استكمال الصورة لمن يترجم له ، يغوص وراء مايمكن أن يصل به الى الكمال ، مهما كشف خلال بحثه عن جوانب لها خصوصيتها ، ولها احترامها وقداستها .

xxxxxxxxxxx

وأعود لأتحدث من عمل الكاتب الصحفى محمد رضوان الذى تجسد بداية فى

الكتابة عن الأديب الشاعر الناقد الدكتور زكى مبارك ، والشاعر والأديب الرقيق أحمد فتحى .

وقد أغراه بالكتابة عنها ، انتماؤهما للمدرسة الرومانسية التى جلبت لب المترجم واستأثرت باهتمامه .

واذا تركنا أمر الوفاء لفنانين لم ينالا حظهما من الشهرة فى حياتهما ، وبعد وفاتهما ، حتى لانستجدى الاستحسان ، ونبتز مواطف الرضا عن فن الأديب رضوان ، بعرض هذه الواجهة الخلقية النادرة الكريمة ، فانه يبقى أمامنا عمل الفنان خالصا لوجه الفن .

فهو حين يتولى ترجمة حياة الشاعر أحمد فتحى فى كتابه " اعترافات شاعر الكرنك " ، نراه يدلف الى روح هذا الشاعر ، ويتسرب الى حياته ، وما اضطرب فيها من حال الى حال ، ويتشح برداء عصره الذى عاشه ،ويتنسم ماكان يستنشقه فجاءت ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى .

وقد حشد الأديب رضوان لبحثه كل مايطمئن له من شتى المصادر والمراجع والمظان، وقد لمست من لهفته على رد الاعتبار لشاعر قضى دون أن يذكر له أحد فضلا ، ما أشاع فى نفسى اليقين من قدرته على ما أخذ نفسه به .

والشاعر أحمد فتحى جدير بأن تتناول شعره أقلام عديدة ، وبحوث فريدة ، يقود هو وشعره هذه الأقلام والبحوث الى مايبتغى من وضوح وابانة .

xxxxxxxxxxxx

لقد لمست الجهد الصادق والمشقة البالغة ، والتفانى فى احاطة بحثه بكل مايعين القارئ على استيعاب ما أراده المترجم من الكشف عن المترجم له ، والأخذ بيد القارئ نحو مسالك ممهدة ، لايلمس قاطعها كم من جهد بذله الكاتب فى تمهيد هذه المسالك ، كالذى يعمل فى صقل الماس ، حتى يراه الناظرون فى ثوبه الناصع اللألاء ، مبرءا من كل شائبة ، دون أن يعيروا بالا لمعاناة من صقل هذا الماس الذى أخرجه فتنة للعيون .

ولعل اطمئناني إلى عمل محمد رضوان مرده إلى إخلاصه فيه وصدقه فيما يروى، وتكالبه على جمع مواده من أصدق المظان ، وهذا في يقيني سبيل قويم ، يتعين عليه أن يستزيد منه ، ويعتمد عليه ، ويمضي على بركة الله .

والأديب الناقد محمد رضوان رغم أنه لم يتخطى عتبة الشباب بعد ، فأنه في أدب التراجم النفسية الذى اختاره واختار التخصص فيه ، قد جاوز مرحلة الشباب ودلف الى رجولة تتنسم منها وضوح العبارة ، وحسن التبويب ، وبراعة العرض ، وصدق الاستنتاج ، الى جانب الغنى والثراء في المادة التي يصنع منها مثال عمله .

واني أطالبه كأمل يبشر بأوفر المحاصيل الفنية ، بأن يداوم على اطلاعه ، وأن يستزيد من معارفه ، وأن يقرأ في كل علم أو فن يجده معوانا له في بحثه ، وأن يتابع ثمرات المطابع والأقلام ، وأن يضم الى كل ذلك بعدا عن الميل والهوى ، حتى يجيء عمله مبرءا من كل شبهة لتحيز أو انفعال .

أحمد عبد المجيد "

مقدمـــة المؤلـــف

حرصت على تناول سيرة هؤلاء الشعراء الخمسة الذين غنوا أجمل أغاريد الحـب والجمـال والقاء الأضـوء على شعرهم مستخدما فى ذلك " المنهج النفسى " فى الربط بين حياة الشاعر وانتاجـه .

وقد تناولت هؤلاء الشعراء الخمسة لأنهم تجمعهم أواصر الشعر الرومانسي الوجدنـي ووشائح الرقـة العاطفيـة وعبادة الحسن والجمال والثورة على القديم كما أنهـم يكونون مدرسـة شعرية لها سماتهـا الخاصة المتفردة أستطيع تسميتها بمدرسـة " الشعر الوجدانـى الغنائـى " .

والظاهرة التى نلمحها هى هذا الكتاب أن هؤلاء الشعراء ظهر انتاجهم ولمعـوا على صفحات مجلة أبوللو التى ضمت شتى التيارات والمدارس ، وان كان يغلب علـى شعرائها ذلك الطابع الرومانسى الوجدانى الغنائـى .

ولكن هل كان هؤلاء الشعراء لاهم لهم الا التغنى بالحسن والجمال والعيـش فى برج عاجى بعيدا عن هموم الوطن ومشاكلـه ؟

ان هذا الكتاب يظهر عدم دقة هذا الاتهـام ، فلقد فندت دعوى من بعـض النقاد اللذين يصفون شعر هذه المدرسـة بأنه كان ينمو منحى دعوة الفـن للفـن Art For Art's Sake .

وكان هذا غير صحيح لأنهم غاصوا فى عذابات المجتمع وهمومه ولم يخاطبـوا الجمهور من برج عاجى ، ولكنهم عاشوا فى فترة قاسية مظلمة أثرت فى حياتهـم وبالتالى فى انتاجهم فى فترة سادت فيها الرومانسية المجنحة الحالمـة ، ولكنهم ناضلوا فى سبيل حريـة مصر واستقلالها ومن أجل العدل الاجتماعـى .

لقد كان هؤلاء الشعراء الخمسة أصحاب قضايا اجتماعية وسياسية واضحـة ، فنادوا بحرية الانسان وتحرره من قيود الاستعباد والتحكم ، كما نادوا بمجتمـع جديد يسوده الحب والصفاء الانسانى والعدل .

وأثرى هؤلاء الشعراء شعرنا العربى بثروة نفيسـة من المعانـى الوجدانيـة الفياضـة وجددوا فى القصيدة العربية شكلا ومضمونا واستحدثوا لونا جديدا فـى شعرنا المعاصر يتميز بسمات خاصـة متفـردة .

xxxxxxxxxxxxxx

ولكن كيف كان منهجي في هذا الكتـــــاب ؟

وكيف تناولت سيرة الشعراء الخمســة ونتاجهـــم ؟

لقد استخدمت منهج التحليل النفسي Psychoanalytic فـــي أدب التراجم والسير ، فدرست شعر هؤلاء الشعراء من خلال سيرة حياتهم وتتبع الأطـوار المختلفة التي مروا بهـا وانعكاس ذلك في نتاجهـم في كل حقبـة من فتـــرات حياتهم وربطت بين حياة الشاعر وآثاره ، لنخرج بصورة متكاملـة لملامح الشاعـــر الذوقيـة والنفسية والروحيـــة .

انني رسمت للشاعر الذي تناولتـه بالترجمة صورة نفسية مستمدة من حياتـــه وبيئتـه ثم أظهـرت وبينت العوامل التي أثرت في أدبـه ولونت فنـه .

وبذلك وضعت في يد القارئ مفتاح شخصيـة المترجم له ومن ثم مفتاح أدبـه .

xxxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فليكن هذا الكتاب تاريخا ودراسة لشعراء أثروا وجداننا بنتاجهـــم وأدوا دورا كبيرا في نهضـة شعرنا المعاصر وتطوره ، فكان حقا علينا أن نذكـرهـم بالوفاء والعرفـــان لما أدوه لحياتنا الأدبيـة من ذوب أرواحهم ووجدانهـــم .

" محمد رضـــوان "

مع شعراء الحب والجمال

" جماعة أبوللـــو "

أصدر الدكتور احمد زكى أبو شادى مجلة أبوللو فى سبتمبر عام ١٩٣٢م وكانت تضم نخبة كبيرة من الشعراء القدامى والناشئين منهم : أحمد شوقى وخليل مطران وابراهيم ناجى وعلى محمود طه وحسن كامل الصيرفى وأحمد فتحى وكامل الشنباوى وأحمد محرم ومصطفى الرافعى وكامل الكيلانى ، وكانت أغراض جماعة " أبوللو " كما يلى :

١ - السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ - مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر .

٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم .

وقد حيا شوقى مولد جماعة أبوللو بقصيدة مطلعها :

أبوللو مرحبا بك ياأبوللو ... فانك من عكاظ الشعر ظل

عكاظ وأنت للبلغاء سوق ... على جنباتها رحلوا وحلوا

وينبوع من الانشاد صاف ... مدى المتأدبين به يبل

ونستطيع من خلال مراجعة الأسماء التى لمعت على صفحاتها أن نقول أنها لم تكن مدرسة بل كانت مجرد جماعة تضم بعض الشعراء المجددين والتقليديين من أجل رسالة شعرية سامية وان كانت الأسماء التى لمعت على صفحاتها وأظهرتها المجلة يغلب عليها الطابع الرومانسى الحالم وقد استحدثوا ثورة جديدة فى شعرنا العربى المعاصر .

ويقول أحد أعضائها من الذين لمعت أسمائهم على صفحاتها وهو الأستاذ صالح جودت عن هذه الجماعة (١) :

" استطاعت هذه الجمعية ، التى أسندت رئاستها الى أمير الشعراء ، ثم

---

(١) صالح جودت / بلابل من الشرق / ط ١ / ص ٥٧ .

بعده الى شاعر الأقطار العربية خليل مطران ، أن تستحدث ثورة فى عالم النقد ، وأن تنشىء مدرسة جديدة فى الشعر العربى الحديث ، تسمو برسالة الشعر عن أن يكون أداة للمدح أو للقدح أو للمناسبات ، وتجرده من التقليد ، وتنادى بوحدة القصيد ، وتحلق فوق الذرا العالية " .

واذا كانت جماعة " أبوللو " تضم بعض التيارات والاتجاهات المتباينة فاننا سوف نأخذ نماذج منها ممثلة فى هؤلاء الشعراء الخمسة (ناجى وعلى محمود طه وصالح جودت والهمشرى وأحمد فتحى) الذين يكونون مدرسة واحدة قوامها الرومانسية الحالمة والتجديد فى الشعر شكلا ومضمونا وعبادة الجمال الى غير ذلك من أوجه الشبه التى تجعلهم فى مدرسة واحدة تسمى " مدرسة الحب والجمال " .

xxxxxxxxxxxx

ولقد شهدت صفحات " أبوللو " انتاج هؤلاء الشعراء الخمسة الخصب فقد صدر عن المجلة الديوان الأول لناجى " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م وديوان صالح جودت عام ١٩٣٤م وأصدر على محمود طه ديوانه الأول " الملاح التائه " عام ١٩٣٤م ، أى صدرت الدواوين الثلاثة فى عام واحد ، أما الهمشرى فقد مات عام ١٩٣٨م ، دون أن يصدر له ديوان مطبوع وصدر ديوان أحمد فتحى الأول والأخير " قال الشاعر " عام ١٩٤٩م ، وقد ثارت مدة معارك ومساجلات عنيفة حول الدواوين الثلاثة التى صدرت عام ١٩٣٤م بين جماعة " أبوللو " وخصومها .

" شعراء الرومانسية "

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سادت مصر موجة من الرومانسية الحالمة نتيجة لظروف المجتمع وتتشد ....

كانت ظروف المجتمع السياسية والثقافية والاجتماعية سيئة فى مصر فى تلك الحقبة وكان الشباب الطامح يرى هذه الأوضاع ، ويرى نفسه عاجزا عن تغييرها بسبب قهر الاستعمار وجبروته ، فيشعر بالحزن والأسى والمرارة .

وسادت الرومانسية مصر فى العشرينات والثلاثينات واتخذ الأدباء الرومانسية ملجأ وملاذا يهربون اليها من هجير الحياة ومرارة الواقع الذى كانوا يعيشونه فى تلك الحقبة ويقاسون منه .

فالنظرية الرومانسية | Romanticisme ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر وتركز على العالم الداخلى للشاعر .

" ان عالم الشاعر الداخلى عالم واسع ، فهو يشمل الحالة الذهنية لديه ، كما يشمل المشاعر والأفكار ، وطاقات الحدس والادراك .

" وقوة الخيال الخالق هى البوتقة التى تنصهر فيها كل عناصر هذا العالم من ذهنية وشعورية ، وهذه القوة هى التى تعدل من هذه المشاعر ، وتنظمها ، وتجمع أشتاتها ، وتصنعها فى النهاية فى قالب متلاحم متجانس هو العمل الشعرى ، والشعر، اذن تعبير عن العالم الداخلى أو لنقل العالم الخارجى كما ينعكس فى نفس الشاعر ، وذلك بعد أن تنظمه قوة الخيال الخالق عنده تنظيما فنيا " (١) .

xxxxxxxxxxx

ان من أبرز سمات الرومانسية كما تجلت فى شعر الشعراء الخمسة التركيز على الأسطورة والرمز فى التعبير الشعرى والذاتية والهرب من الحياة وعبادة الحسن

---

(١) الدكتور محمود الربيعى / فى نقد الشعر ١٩٧٤م / ص : ٩٠ .

وتقديس الجمال واللجوء الى الطبيعة باعتبارها كائنا حيا ، هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع .

وقد انعكست كل هذه السمات فى شعر شعرائنا الخمسة وتمثلت فى مجموعة من الاتجاهات الفنية الجديدة .

* الاتجاه العاطفى :

وهذا الاتجاه يدور حول الحب والحنين واللهفة العاطفية والعتاب والغزل الحسى والعذرى وأبدع هؤلاء فى شعر الحب Love Poetry
يناجى صالح جودت محبوبته الهاجرة فيقول لها هامسا :

أيها الهاجر من غير سبب
لو تجافى أنا راض بهواك
العيون الزرق والشعر الذهب
الجانى ياحبيبى لهواك

ويستلهم ناجى من عينى محبوبته الزرقاوين أجمل الظلال والأضواء فى شعره ويسبح فى بحارهما قائلا :

قربى روحك منى قربى ... ظلليني واغمريني برضاها
وتعالى حدثيني .. حدثى ... أنت مرآة شجوني وصداها
فهبيني ساعة الصفو التى ... تقسم الأيام مافيها سواها

ويبدع شعراؤنا فى غزلهم ....

يناجى الهمشرى محبوبته فى قصيدة تجمع بين العاطفة والرمز الشعرى وهى لون من ألوان الغزل العذرى العفيف :

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى أفق عالم مسحور
وتحلى على غياهب روحى
بجناح من الضياء البشير

ونجد علي محمود طه تتسامى روحه ويكتفى من الزهرة بعبيرها كبلبل يتغنى في رياض الحسن والجمال :

قلت حسبي من الربيع شذاه ولعيني زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض كلنا فيه بلبل صداح

ونجد الغزل الحسي العنيف في قصيدة " ظمآن " لصالح جودت :

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب في نهرك
خذيني في ذراعيك وضميني الى صدرك
دعيني أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغرك
هبي لي ليلة أثمل بالليلاى من خمرك

* الاتجاه الانساني :

كان من أبرز صفات شعرائنا التسامي الروحي والرحمة الانسانية وصفاء القلب .

يقول الشاعر ابراهيم ناجي :

سموت ودق احساسي وجزت عوالم البشر
نسيت صغائر الناس غفرت اساءة القدر

ويرى هؤلاء الشعراء أن التغني بالحب والجمال من عوامل الصفاء والحب والرحمة ، ويعبر علي محمود طه عن هذه المعاني في قصيدته " ميلاد شاعر " فيقول :

أيها الشاعر اعتمد قيثارك واعزف الآن منشدا أشعارك
واجعل الحب والجمال شعارك وادع ربا رعى الوجود وبارك

وهذا الاتجاه الانساني يتجلى بأظهر خصائصه في الرحمة للنفوس الشقية الخاطئة وهذا الاتجاه نجده عند الشعراء الرومانسيين وذلك بالتخفيف عن تلك النفوس والمسح بيد الرحمة عن أحزانها وآلامها في قصيدة صالح جودت " الهيكل المستباح " يعالج قضيتها ويواسيها وقد جسد مأساتها قائلا :

وقفت بالباب فى ثوب رقيــق
تفتح الباب لقطاع الطريــق
كم سروق نال منها جانبــا
ومضى ما أعجب اللص الطليــق

ثم يتعاطف مع تلك المأساة الانسانية ويتساءل بمــرارة وألــم :

يا الهى كيــف أعددت لهــا
بعد دنياها عذابا هل تطيــق
أشقــى الدهر يشقى بعــده
وهو الرحمة فى الأخرى خليــق

وفى نفس الاتجاه نرى ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " يعالج تلك المأســاة ويتعاطـف معها ويواسيهــا :

لاتكتمى فى الصدر أســرارا
وتحدثى كيف الأسى شــاء
أنا لاأرى اثما ولاعــارا
ولكن أرى امرأة وبأســاء

* الاتجــاه الوصفــى :

كانت الطبيعة هى ملجأ الرومانسيين باعتبارها كائنا حيــا .

وقد كثرت الصور الشعرية عند شعرائنا المستوحاة من الطبيعة . وقد أكثــروا من التشخيص Pessonification المظاهر الطبيعيــة .

يناجى الهمشرى " النارنجة الذابلة " فى تشخيص مبدع هربا من أحزانــه وحنينا لأيــام تسلفــت :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتــى
فى ظل هذا السور حيــث أراك

ويكون آخر مايخدر مسمعـــــى
زرزورك الهتاف فـــوق زراك
كانت لنا ياليتها دامت لنـا
أو دام يهتف فوقها الـزرزور

وقد تجلى فى هذا الاتجاه التصوير الشعرى Poetic imagery عند الشعـــــراء الخمسة فرسموا لوحات شعرية رائعـــــة ..

فى قصيدة " صوت السنين " يرسم أحمد فتحى هذه اللوحة الجميلـــــة :

آى سحر بعثت شمس الأصيـــــل
فى ضياء شاحب الخطو نحيـــــل
ونسيم واهن الخطـــو عليـــــل
راح يلتف بأعناق النخيـــــل

ويناجى شاعر الأطلال ، ناجى البحر فى " خواطر الغروب " قائـــــلا :

قلت للبحر اذ وقفت مســـاء
كم أطلت الوقوف والاصغـــاء
وجعلت النسيم زادا لروحـــى
وشربت الظلال والأضـــواء

ويغلب على هذا الاتجاه أنه شعر غنائى Lyric poetry يتسم بالرقة والعذوبة .

* الاتجـــــاه القومـــــى :

يجمع بين هؤلاء الشعراء الخمسة حب الوطن والدفاع عن قضيته . ولكن جبهم فى أكثـــر الأحيان يأخذ صورة الاشادة بمواطن الحسن والجمال فى ربوعه والتغنى بها والاشـــادة بمجد مصر التليد وتاريخها المجيـــد ..

يقول على محمود طه فى قصيدتـــه " مصـــر " :

هوى لك فيه كل ردى يحـــب

فديتك ،هل وراء الموت حسب ؟
فديتك مصر ، كل فتى مشوق
اليك ، وكل شيخ صب
ويحلم بالفدى طفل فطيم
وكل رضيعة فى المهد تحبو
أراك أينما وليت وجهى
أرى مهجا لوجهك تشرئب
وأرواحا عليك محومات
لها فوق الغفاف خطى ووثب
عليها من دم الغادين غار
له بيديك تغفير وعصب
حمتك صدروها يوم التنادى
ووقتك الليالى وهى حرب

ولناجى قصيدة بعنوان " مصر " أيضا يقول فيها :

أجل ان ذا يوم لمن يفتدى مصرا
فمصر هى المحراب والجنة الكبرى
حلفنا نولى وجهنا شطر حبها
وننفذ فيه الصبر والجهد والعمرا
نحطم أغلالا ونمحو حوائلا
ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا

ولأحمد فتحى عدة قصائد تصور حضارة مصر التليدة ، وأمجادها العريقة أظهرها قصيدة " الكرنك " .

كما أن لصالح جودت قصائد كثيرة فى هذا المجال .

أما الهمشرى فقد قصر شعره على المناداة برسالة اجتماعية هامة وهى الدعوة الى الحضارة الريفية .

وقد عبروا جميعا عن مشاعرهم الفياضة نحو وطنهم ، والاشادة به ، والدفاع عن قضاياه ، والتغنى بجماله وتاريخه وعظمته .

ثقافتهـــــم

كانت ثقافة هؤلاء الشعراء الخمسة ثقافة عربية وغربية ، فقد قرأوا التـــــراث العربي واستوعبوه وأفادوا منه وكانت الآثار التى تأثروا بها هى : دواوين المتنبـى والبحترى والشريف الرضـى من القدامى وأحمد شوقى من المحدثيـن .

واستقوا ثقافتهـم الغربية من قراءتهم لشعر شعراء الرومانسية الانجليز الخمسة الكبار وهم : وليم بليك w.blake ووردذورث wardswarth وكوليردج coleridge وكيتـس Keets وكان هؤلاء الشعراء الانجليز يكونون وحدة منسجمة ، ويمثلـــون وجهة نظر موحدة فى معنى الشعر ، وفى وظيفة الخيـال ، كما يكونون وحدة فى استعمـال الصورة الشعرية ، والرمز الشعرى ، والأسطورة ثم ظهرت آثار هذا التأثر فى نتـــاج شعرائنا الرومانسى بصورة جديدة بعد أن استوعبوا التراث الشعرى العربى والشعـــر الغربـى الرومانســـى .

xxxxxxxxxxx

وكانت الحقبة التى أمضاها الشعراء الأربعة بالمنصورة ١٩٢٧- ١٩٣١م (ناجى وجودت وعلى طه والهمشرى) ذات آثار بعيدة فى شعرهم ، فقد استوعبوا التراث العربـــى الكلاسيكى والشعر الانجليزى الرومانسى وساعدهم على ذلك اجادتهم للانجليزية وقـــد جمعهم أواصر الشعر الرومانسى ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم وأصبح لهذه المدرسة لون جديد وفريد فى شعرنا المعاصر وكانت كما يصفها صالح جودت " كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة فى الشعر تقاربت خطوطها فى ذلك العهد الى حـــد ان اختلط شعر الأربعة على الأدباء فى كثير من الأحيان " (١) ولايختلف شاعر الكرنك ، أحمد فتحى عنهم فى منابع ثقافته واتجاهاته الفنيـــة .

لقد طرق شعراؤنا الخمسة موضوعات جديدة وابتكروا الكثير من التعبيـــرات والتراكيب الجديدة التى أضافت ثروة نفيسة فى شعر الوجـــدان ....

وقد أبدعوا بصفة خاصة فى شعر الوصف الغنائى وقصائد الحب والغزل بشقيـــه

---

(١) بلابل من الشـــرق / ١٩٦٠ / ط ١ .

العذري والحسي كما أنهم ندموا الكثير من الصور الشعرية الطريفة في شعرهم .

وقد اشترك هؤلاء جميعا في صفة واحدة خاصة في المراحل الأولى من حياتهم وهي : الاغتراب الروحي .

ويرجع ذلك الى ظروف سياسية واجتماعية ونفسية في مطالع هذا القرن مما جعلهم يلوذون بالرومانسية هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع وقسوته ولقد جددوا في الشكل والمضمون وان غلبت على شعرهم صفة الذاتية Subjectivity

لقد اتصف شعر هذه المجموعة من الشعراء المبدعين بالأصالة Originality والصدق الفني لأن شعرهم كان تعبيرا أمينا وصادقا عن أحاسيسهم وعواطفهم وليس شعر الصنعة والتكلف ورص الكلمات الجوفاء .

" أغاريد الحب "

ان هؤلاء الشعراء الذين غنوا للحب أجمل الأغاريد وأعذبها على قيثارهم الشجي الحالم ،لجديرون بدراسات موسعة شاملة .

لقد غنوا للمرأة واستوحوا من حسنها واستلهموا من روحها أجمل الصور وأرق التعبيرات الغزلية في شعرنا المعاصر .

ووقفوا أمام صور الحسن وبدائع الجمال يستلهمونها حتى جاءت آثارهم غنية بالجمال ثرية بالرقة ، ولسوف يظل نتاجهم أنشودة خالدة على ألسنة العشاق ماعاش الحب ومابقت الحياة .

إبراهيم ناجى

شاعر الأطلال

(١٨٩٨ - ١٩٥٣)

انى امرؤ عشت زمانى
حائرا معذبا
فراشة حائمة
على الجمال والصبا
تعرضت فاحترقت
أغنية على الربا

ناجى

" فى مدينة الأحـــلام "

عاش الدكتور ابراهيم ناجى للحب وبالحب ... تغنى به وله ... وكان قلبا محبـــا رقيقا ونفســـا مرهفـة حساســة .

كانت حياته قصيدة حب حالمة تتماوج فيها أنغام الهجر والوصال والحب والبغـض والرضا والألم .. وقد أفصـح عن أسرار قلبه وسرائر روحــه فى قصائده الرقيقــة الحالمة بصدق وحرارة وأمانة وهو يعد بحق " شاعر الحب " واللهفة العاطفية بعــد أن عكس فى شعره معاناته وتجاربـــه العنيفة مع المرأة التى أوحت اليه بأجمـــل أناشيد الحب والجمـــال .

xxxxxxxxxxx

ولد ابراهيم ناجى فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م فى بقعة شاعرية جميلة سماها جماعة مـــن الوجهاء " مدينة الأحلام " بحى شبرا ... وكانت يومئذ تجرى من تحتها نهيرات الترعـة البولاقية ، وتتفرع منها قنوات تنساب فى شاعرية وجمال تحيط بها الخضرة اليانعـــة وكان يقطن فى هذا الحى جماعة من محبى الأدب والفن . وكان والد شاعرنا ميسرا يعشق الفن والأدب ويقرأ مختلف فنون الأدب قديمة وحديثة وكثيرا ماشهدت الدار ندوات أدبيـة عامــــرة .

وهكذا شب شاعرنا بين جمال الطبيعة الحالمة وبين وسط ثقافى رفيـع أفاد منــــه أفضل افادة وأعمقهـــــا .. .

وكان والده يحرص على أن يجمع أولاده كل ليلة عندما شبوا عن الطوق ويلخـــص لهم ماقرأ من أمهات الكتب فى التراث العربى وروائع الأدب العالمى . وكان ابراهيم يسمع بلهفة وحب الى هذه الأحاديث الخصبة ثم مالبث أن امتدت يداه الى مكتبة أبيـــه وبدأ يقرأ منها روائع القصص والشعر ، واستهواه أدب تشارلز ديكنز القصص وشدتـــه بصفة خاصة قصة " دافيد كوبرفيلد " ثم سعى الى قراءة دواوين الشعر فبدأ يقـــرأ الشعر القديم واستوقفه شعر الشريف الرضى والبحترى ثم وقف طويلا عند أمير الشعراء ، أحمد شوقى الذى حفظ شوقياته عن ظهر قلب وبهرته مسرحياته الشعرية الخالــــدة

مجنون ليلى " و " مصرع كيلو باترا " و " عنترة " .... الخ .

xxxxxxxxxxx

التحق شاعرنا بمدرسة باب الشعرية الابتدائية عام ١٩٠٤ وظهر فيها تفوقه على أقرانه ثم مالبث أن حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩١١م ، فالتحق بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وفى المرحلة الثانوية زادت قراءاته للشعر العربى قديمه وحديثه وكان مفتونا بشعر شاعرين : الشريف الرضى وأحمد شوقى وبدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى . ورغم كونها كانت تتحدث عن موضوعات تقليدية فى الحب والغزل مثل الفراق والحنين والوجد والسهر ومكابدة الشوق الا أنها كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر كبير ....

ومن شعر الصبا فى هذه الحقبة وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة قصيدة بعنوان " كلانا " يقول فيها :

كلانا حزين فلا تجزعى	ودمعك تسبقه أدمعى
وان كان بين ضلوعك نار	فنار الصبابة فى أضلعى
وان كان نجم هنائك غاب	فنجم هنائى لم يطلع

وله قصيدة رقيقة نظمها فى سن الرابعة عشرة بعنوان " على البحر " تفصح عن جولات له وصولات فى هذه السن المبكرة ، وتبين أنه شب مولعا بعبادة الحسن وبدائع الجمال ، كما كانت تبشر بشاعر الحب والعاطفة . يقول فيها :

هل أنت سامعة أنينى	ياغاية القلب الحزين
ياقبلة الحب الخفى	وكعبة الأمل الدفين
انى ذكرتك باكيا	والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهى تغرب	شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر	وموج البحر دونى
والبحر مجنون العباب	يهيج ثائره جنونى
ورضاك أنت وقايتى	فاذا غضبت ، فمن يقينى ؟

لقد تبلورت اتجاهات ناجي في هذه الحقبة في المرحلة الثانوية وهو في الرابعة عشر من عمره وكانت له محاولات كثيرة تسبق عمره ، وأنجز شاعرنا دراسة الثانوية بعد حصوله على شهادة ،"البكالوريا" والتحق بمدرسة الطب عام ١٩١٦م وتخرج فيها عام ١٩٢٣م وعمره أربع وعشرون سنة ولم يستمر طويلا في العمل طبيبا بقرى مصر ونجوعها فافتتح عيادة خاصة بميدان العتبة الخضراء ليبدأ حياته العملية وليخوض خضم الحياة .

وهكذا أصبح شاعرنا طبيبا ......

" بين الأدب والطـــب "

وقد تساءل بعض الأدباء في ذلك الحين ماهي العلاقة بين الطب والشعر وكيف جمع ناجى بينهمـــا ؟

فكتب ناجى يرد على تلك التساؤلات في قصيدة رقيقة يقول فيهـــا :(١)

والناس تسأل والهواجس جمة	شعر وطب ، كيف يتفقـــان ؟
الشعر مرحمة القلوب ، وسره	هبة السماء ومنحه الديـــان
والطب مرحمة الجسوم ونبعـــه	من ذلك الفيض العلى الشــان
ومن الغمام ومن معين خلفه	يجدان الهاما ويستقيـــان

وكان ناجى في تلك الحقبة قد بدأ يدخل غمار الحياة ويصطدم بالواقع ويخبر الحياة بخيرها وشرها وهو الانسان المرهف الحس الرقيق الوجدان فنجده يصطدم بالكثير من مفاجآت الواقع ومرارته ، فيتمزق ويحاول المواءمة بين طبيعته المرهفة الحساسة ومرارة الواقع وقسوتــه .

وقد صور معاناته والصراع الحاد الدائر في نفسه بين المادة والروح والخيـال والواقـع ، فقـــال :

" ماأظلم القـــدر ... فقد شاء أن أكون طبيبا ... وليس بالطب من حـــرج ، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يواجهه بالواقـع ، ويصدمـــه .

" وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يقعـــده فوق السنة المادة ، ويزجـه في الدائرة التي لاشعر فيها ولا خيـــال .

" وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح ، فيأخذه القدر الـى حيث ينصت الى أنات الجسد ، وشتان بين هذه وتلـــك .

" وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى ، حتى يتمزق بين شـــد

---

(١) ليالى القاهرة / ص ١٩٤ .

هـــدى وجـــذب تلـــك .

" وانما الحرج أن يلائم بين الضدين ، ويوفق بين النقيضين ، وأخيرا يلتفـت فاذا نفسه أشلاء ، واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب ، واذا معين القوة قد أشـرف على الزوال ، واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر ، بين الميول والصروف ، بين الخيال والمادة ، بين الوهم والواقع ، بين الـــروح والجســـد " .

تلك كانت مأســـاة ناجـــى ..

كان هناك صراع حاد يدور فى نفسه يحاول أن يجد مايرضى روحه القلقة ونفســه المعذبة ويبحث عن الاستقرار من غربته الروحية الموحشة ولكنه كان يعانى التمـزق والضياع ، فقد كان جائعا على كثرة الزاد ، وظامئا على وفرة الموارده ومسافـرا وهو مقيـم ، كالفراشة التى تسعى للنور وفيه مصرعها :

انى امرؤ عشت زمـــانى حائـــرا معذبـــا
مسافـــرا لاقـــوم لـــى مبتعدا مغتربـــا
وظامئا مهمـــا تتـــح موارد لـــن أشربـــا
وجائعا لازاد فـــى دنياى يشفى السغبـــا
فراشـة حائمـــة على الجمـــال والصبـــا
تعرضـت فاحترقـــت أغنيـــة على الربـــا
تناثـــرت وبعثـــرت رمادها ريـــح الصبـــا
أمشى بمصباحى وحيـــدا فـــى الرياح متعبـــا
أمشى به وزيتـــه كاد بـــه أن ينضبـــا

كان ناجى يمسح الآلام النفسية عن النفوس الشقية المعذبـــة .

لقد أعطت مهنة الطب لناجى ضوءا جديدا وتجربة خصبة فرضت عليه تحديـــات وأثقلت جناحيه بمتاعب وأزمـــات .

كشفت له عن النفس الانسانية وأبانت له حقائق باهرة قوامها أن مرضى الأجســاد هم مرضى فى النفوس أساسا ، وأن ابتسامة الطبيب هى نصف العـــلاج .

وقد أفصح ناجى عن نظرته الواسعة العميقة لمهنته فى اعترافاته الشعرية والنثرية .

xxxxxxxxxxxx

وقد أثرت مهنة الطب فى ابداعه الشعري وفى رسم الصور الشعرية المبدعة التى جاءت فى قصائده .

فى قصيدة مثل " العودة " تتجلى هذه الخصيصة فى الألفاظ وفى الخيال مثل :

١ - رفرف القلب بجنبى كالذبيح .

٢ - فيجيب الدمع والماضى الجريح .

٣ - وفرغنا من حنين وألم .

٤ - ورضينا بسكون وسلام .

٥ - وانتهينا لفراغ كالعدم .

٦ - وسرت أنفاسه فى جوه .

٧ - والبلى أبصرته رأى العيان .

٨ - كل شىء فيه حى لايموت .

الى غير ذلك من مزج للأفكار بالعاطفة الصادقة ، واخراج الصورة الشعرية المؤثرة .

" عند صخرة الملتقى "

عمل ناجى فترة بعيادته بالقاهرة ثم مالبث أن عين بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، ونقل الى سوهاج ، ثم الى المنيا ، وأخيرا انتقل الى المنصورة وهنا بدأت مرحلة جديدة فى حياة ناجى وشعره .

نقل ناجى الى مدينة المنصورة حوالى عام ١٩٢٧م.

والمنصورة أرض الحب والفن والشعر والخيال ، توحى بالفن والشعر والجمال وتزخر بالوان الفتنة فى كل بقعة من بقاعها .

وقد التقى ناجى على شاطئ المنصورة بثلاثة شعراء آخرين هم : شاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر ليالى الهرم صالح جودت وشاعر الأعراف ، محمد عبد المعطى الهمشرى .

ثم كانت صحبة فى الأدب أثرت نتاجا ثريا خصبا ...

وكان يحلو لشعراء المنصورة الأربعة الالتقاء فى جلسة هادئة على صخرة تقع بين شاطئ البحر والصحراء بأطراف المنصورة سموها " صخرة الملتقى " واستوحى كل منهم ما استوحى واتخذها ناجى مكانا للقاء محبوبته ، اذ كانت له هناك صولات وجولات ، ثم كان الفراق ، فراح يندب عهد الحب عند هذه الصخرة قائلا :

سألتك ياصخرة الملتقى	متى يجمع الدهر مافرقا ؟
فياصخرة جمعت مهجتين	آفاءا الى حسنها المنتقى
اذا الدهر لج بأقداره	أجد على ظهرها الموثقا
قرأنا عليك كتاب الحياة	وفض الهوى سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبة فى العباب	وننتظر البدر فى المرتقى

وتستمر الصحبة وتثمر أجمل ثمارها فى دنيا الشعر ....

ثم مالبث شعراء المنصورة الأربعة أن اتجهوا للقاهرة فى عام واحد هو عام ١٩٣١م : ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية وعلى محمود طه لوظيفته كمهندس بوزارة الاشغال والهمشرى الى كلية الآداب وصالح جودت الى كلية

التجارة .

ودعوا المنصورة بقلب مشبوب وحرص شاجى على زيارة مهد الحب والجمال ، فقال فيها:

بأى معجزة فى الحب نتفـــق ياقلب لايتلاقى الفجر والغســق
ياقلب ، انا لقينا اليوم معجزة تكاد فى ظلمات الليل تأتلـــق
ظللت أسأل نفسى كيف تعشقهـا بقية من بقايا العمر تحتـــرق ؟
وأمنيها وفلول النور دامية تطفو وترسب أو تعلو فتعتلـــق
لم أدر حين تبدت لى اذا شفقى أبصرته ، أم على المنصورة الشفق؟

xxxxxxxxxxxx

كانت فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) من أخصب الفترات فى حياة شعراء المنصورة وفى شاعريتهم ونتاجهم ، وقد الهمتهم أجمل ماكتبوا من شعرهم الرومانسى وقد انعكس هذا التأثير فى دواوينهم الأولى والتى أحدثت ضجة كبيرة عند صدورها لما فيهـــا من روح التجديد والابداع والثورة على القديـــم .

" العـــــــودة "

عاد ناجى من المنصورة الى القاهرة ومر بدار " ليلاه " التى كانت له معهـــا قصة حب عنيفة فرآها قد تغيرت وأصبحت تعول فيها الريح ، وتكسوها خيوط العنكبوت :

هذه الكعبة كنا طائفيهـــا والمصلين صباحـــا ومســـاء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غربـــاء؟

xxxxxxxxxx

دار أحلامى وحبى لقيتنـــا فى جمود مثلما تلقى الجديـــد
أنكرتنا وهى كانت ان رأتنا يضحك النور الينا من بعيـــد

xxxxxxxxxx

رفرف القلب بجنبى كالذبيـح وأنا أهتف يا قلب أتئـــد
فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا؟ ليت أنا لم نعـــد

xxxxxxxxxx

لم عدنا؟أو لم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألـــم
ورضينا بسكون وســـلام وانتهينا لفراغ كالعـــدم

xxxxxxxxxx

أيها الوكر اذا طار الأليف لايرى الآخر معنى للهنـــاء
ويرى الأيام صفرا كالخريـف نائحات كرياح الصحـــراء؟

xxxxxxxxxx

آه مما صنع الدهر بنـــا أو هذا الطلل العابث أنـــت ؟
والخيال المطرق الرأس أنا شد مابتنا على الضحك وبتـــا ؟

xxxxxxxxxx

أين ناديك وأين السمـــر أين أهلوك بساطا وندامـــى
كلما أرسلت عينى تنظـــر وثب الدمع الى عينى وغامـــا

xxxxxxxxxx

موطن الحسن ثوى فيه السأم   وسرت أنفاسه فى جـــوه
وأناخ الليل فيه وجثـــم   وجرت أشباحه فى بهـــوه

xxxxxxxxx

والبلى أبصرته رأى العيان   ويداه تنسجان العنكبـــوت
صحت ـ ياويحك تبدو فى مكان   كل شئ فيه حى لايمـــوت

xxxxxxxxx

كل شئ من سرور وحـــزن   والليالى من بهيج وشجـــى
وأنا أسمع أقدام الزمـــن   وخطى الوحدة فوق الـــدرج

xxxxxxxxx

ركنى الحانى ومغناى الشفيق   وظلال الخلد للعانى الطليـــح
علم الله لقد طال الطريـــق   وأنا جئتك كيما أستريـــح

xxxxxxxxx

وعلى بابك ألقى جعبتـــى   كغريب آب من وادى المحـــن
فيك كف الله عنى غربتـــى   ورسا رحلى على أرض الوطـــن

xxxxxxxxx

وطنى أنت ولكنى طريـــد   أبدى النفى فى عالم بؤســـى
فاذا عدت فللنجوى أعـــود   ثم أمضى بعدما أفرغ كاســـى

xxxxxxxxx

إن ناجى هنا يرتل لحنا حزينا مستغرقاً فى التأمل فى أعماق ذاتيته الخاصة وهذا يرجع الى رومانسيته المرهفـــة .

وكانت قصيدة "العودة" تعبيرا من تجربة شعورية خاصة لشاعر عاد الى ديـــار أحبابه ووقف على أطلالها يتأملها ويناجيهـــا ....

ان الأفكار فى القصيدة واضحة مرتبة فيها عمق وتحليل وابتكار ، فقد عبر عـــن ماضيه الجميل وحاضره الموحش بتفصيل واستقصاء وأجرى حوارا داخلها أحيا المعانـــى

وجسمها فى مشهد درامى رائع ٠

وقد برع شاعرنا فى صوره الشعرية poetic Picture فأجاد فى التصوير الكلى الذى نقل لنا لوحات فنية متكاملة ، الأجزاء حافلة بالظلال والألوان كما برع فى التصويرالجزئى المعتمد على التشخيص Personification والتجسيم وبث الحياة والحركة فى المعنويات والجمادات ، فالدمع يجيب :

فيجيب الدمع والماضى الجريح ٠

والبلى ينسج : والبلى أبصرته رأى العيان ويداه تنسجان العنكبوت

والسأم يقيم : مواطن الحسن ثوى فيه السأم

والليل ينيخ ويجثم : وأناخ الليل فيه وجثم

والزمن له أقدام تتحرك :

وأنا أسمع أقدام الزمن وخطا الوحدة فوق الدرج

وقد أثبت الشاعر مقدرته الفنية الأصيلة فى انتقاء الألفاظ وتنسيق العبارات بحيث تتعاون فى رسم الجو النفسى المسيطر عليه ، وقد كان لسيطرة مشاعر الحزن والأسى على شاعرنا انعكاس فى هذه القصيدة فجاءت الفاظه وعباراته نابعة من هذه العاطفة مثل " ثوى فيه السأم " ، أناخ الليل ، وجثم ، جرت أشباحه ، البلى ، العنكبوت ، خطا الوحدة ٠

لقد عاد الشاعر الى دار أحبابه بعد هجر طويل مدفوعا الى العودة بحنين غلاب ، وشوق فياض ، فلم يجد حبيبته ، وألفى نفسه غريبا والدار موحشة فاستعاد ذكريات الماضى الجميل وعبر عن آلامه النفسية فى هذه القصيدة التى جاءت وليدة تجربة شعرية ذاتية عاشها الشاعر وعاناها بوجدانه ٠

" من وراء الغمـــــام "

قامت جماعة " أبوللو " للشعر عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقـــى ، وأمينها العام أحمد زكى أبو شادى ومالبث الدكتور ناجى أن انضم اليها وأصبح مـــن أبرز أعضائهـــا ...

وظهرت على صفحاتها أرق أشعاره العاطفية وأعذبها مما لفت اليه الأنظار كشاعر مجدد أضاف لقاموس الشعر الوجدانى ثروة عن المشاعر والأحاسيس الفياضة فـــى شعر الحب واللهفة والحنيـــن .

وتنشر له " أبوللو " قصيدة " اللقاء " يقول فيهـــا :(1)

أهاب بنا قلبينـــا	منادٍ ضم روحينـــا
كأنا اذ تصافحنـــا	تعانقدنا بكفينـــا
كأن الحب تيـــار	سرى مابيـــن جسمينـــا
يؤجج فى نواظرنـــا	ويشعل فى دمائينـــا

وفى نفس العدد كانت له قصيدة " أغنية فى هيكل الحب " يقول فيهـــا :

كم تجرعنا هوانـــا	ولقينـــا فى هوانـــا
وبلونا نار حـــب	لم نذق فيها أمانـــا

ونجد له فى نفس العدد أيضا قصيدة " رجوع الغريب " يقول فيهـــا :

عادت لطائرها الذى غناها	وشدا فهاج حنينها وشجاها
أى الحظوظ أعادها فيهـــا	ونجى وحدتها وألف صباهـــا

وفى عدد نوفمبر نجد له عدة قصائد وجدانية رقيقة منها قصيدته " ساعة التذكار" و " الى القمـــر " و " عتاب " و " أصوات الوحـــدة " .

---

(1) أبوللو / سبتمبر ١٩٣٣م / ص ٧ .

يقول فى قصيدة " عتـــاب " :(١)

هجرت فلم نجد ظلا يقينـــا	أحلما كان عطفك أم يقينـــا ؟
أهجرا فى الصبابة بعد هجـر	أرى أيامه لاينتهينـــــــا
لقد أسرفت فيه وجرت حتـى	على الرمق الذى أبقيت فينـــا
كأن قلوبنا خلقت لأمـــر	فمذ أبصرنا من نهوى نسينـــا
شغلن عن الحياة ونحن عنها	وبتن بمن نحب موكلينـــــا
فان ملئت عروق من دمـــاء	فانا قد ملأناها حنينـــــا

وفى عدد ديسمبر ١٩٣٣م نجد له قصيدة " الفراشـــة " .

وفى عدد يناير ١٩٣٤م نجد له قصيدة " الى س " وقصيدة " الشباب الثانى " .

فى قصيدته " الى س " يستلهم من الفنانة " ر " معانى جميلة وكانت هـــذه الفنانة ممثلة مسرح شهيرة أحبها أكثر من شاعر وتمتاز بشعرها الذهبى وعينيهـــا الزرقاويـــن كزرقة البحر . يقول فيهـــا :(٢)

نحن أرواح حيارى افترقـــت	ثم عادت فتلاقت فى شجاهـــا
سوف ينسى القلب الا ساعـــة	من رضا فى وكرها الحانى قضاهـا
هتف القلب وقد حدثتنـــى	أى ماض كشفت لى شفتاهـــا
همست فى خاطرى فاستيقظـت	روحى الحيرى وأصغت لنداهـــا
فأنا ان لم أكن توأمهـــا	فكأنى كنت فى الغيب أخاهـــا

xxxxxxxxxxx

نحن أرواح حيارى تمـلـــت	وانتشت سكرى على لحن آساهـا
قربى روحك منى قربـــى	ظلليني واغمريني برضاهـــا
وتعالى حدثـينى .. حدثـــى	أنت مرآة شجونى وصداهـــا
فهبينى ساعة الصفو التـــى	تقسم الأيام مافيها سواهـــا
ثم أمضى لحياة مـــــرة	صبحها عندى سواء ومساهـــا

xxxxxxxxxxx

---

(١) أبوللو / نوفمبر ١٩٣٣م / ص: ٢١٤ .

(٢) أبوللو / يناير ١٩٣٤م / ص: ٣٩٦ .

واستمر ناجى ينشر أشعاره الوجدانية فى مجلة أبوللو وشد الانتباه بتعبيراته المبتكرة فى قاموس الوجدان والعاطفة ، ثم مالبث أن جمع شعره وصدر فى ديوان بعنوان " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م فأثار ضجة كبيرة ....

ووصف الدكتور احمد زكى أبو شادى ناجى بأنه شاعر اللهفة والشاعر العاطفى المبدع وكتب أحمد الصاوى محمد دراسة للديوان تناول فيها شاعرية ناجى ورقة شعره وعذوبة روحه وقال عن ديوانه انه قصيدة حب وأن ناجى ليس شاعرا مستهاما فقط ولكنه مصور ومفكر وأن ظهور هذا الديوان الصغير فى تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وشابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر والحب الخالص والرحمة الخالصة للانسانية .

وقد هاجم الدكتور طه حسين عنوان الديوان وتساءل : ماالمقصود بمعنى " وراء الغمام " في مقال له بصحيفة السياسة الأسبوعية .

ويفسر الأستاذ صالح جودت رفيق ناجى وصديق شبابه وعمره عنوان " وراء الغمام " فيذكر أن المقصود بالغمام حين يتطلع الشاعر الى الأرض فيراه يحجب الناس ، فتلك راقصة تلهو وتمرح وكأنها أسعد أهل الأرض فاذا انفض عنها الغمام ، تجلت وراءه مأساة عنيفة ، يصورها لنا ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " التى يقول فيها :

لاتكتمى فى الصدر أسرارا　　وتحدثى كيف الأسى شاء
أنا لاأرى رجسا ولا عارا　　لكن أرى امرأة وبأساء

" الغمام الذى يصعد ناجى بعينيه الى السماء ، فيراه يحجب حقائق السماء ، فيسمو اليها بخياله قائلا فى قصيدته " صلاة الحب " :

سموت ودق احساس　　وجزت عوالم البشر
نسيت اساءة الناس　　غفرت خطيئة البشر

xxxxxxxxxxxx

وقد ظهرت ملامح شخصية شاعرنا فى شعره فى هذا الديوان فهو شاعر وأديب مثقف لم يمنعه اشتغاله بالطب عن تنمية مواهبه بالاطلاع على الأدب العربى والأدب الأوربى ، وهو انسان مرهف الحس ، صادق الوجدان ، عفيف فى غزله ، عميق التأمل ، مرتب الفكر ، بارع الخيال .

" وداعا أيها الشعــــــــر "

وحوالى عام ١٩٣٥م سافر الدكتور ابراهيم ناجى الى لندن فى مهمة علمية ، وذات يوم وهو هناك بديار الغربة وصلته مجموعة من الصحف والمجلات المصرية وعلى صفحاتها معركة عنيفة حول قيمة شعره يقودها بعض كبار الأدباء مثل العقاد وطه حسين لاختلافهما مع أبو شادى وبالتالى مع جماعة أبوللو لظروف سياسية وحزبية .

ويشعر ناجى بالحزن والمرارة ويــــردد بأســـــى :

هى محنة وزمان ضيــــــق   وتمخضت عــن لاصديــــــــــــق

وبينما هو يسير فى شوارع لندن شاردا حزينا تدهمه سيارة فتصيب ساقه ويرقـــد فى المستشفى عدة شهور ولكن أجريت له عملية جراحية فشفيت ساقه وان ظل يعانـــى مرارة نفسية هائلة . وركب الباخرة ليعود الى مصر ... وعندما اقتربت بـه مــن شواطىء مصر هتف يقـــول :

هتفت وقد بدت مصر لعينــى   رفاقى ، تلك مصر يارفاقـــــى
خرجت من البلاد أجر سقمــى   وعدت الى البلاد أجر ساقـــــى
أتدفعنى وقد هاضت جناحـى   وتجذبنى وقد شدت وثاقـــــــى

xxxxxxxxxxxx

وعاد ناجى الى مصر بنفسية حزينة يائسة وزاد ألمه أنه وجد بعض الأدبـــــاء يحاولون الغض من قيمة شعره أيضا فأصيب بكآبة نفسية حادة وندم على ماضيع مـــن وقت وجهد فى نظم شعـــر كان يظن أنه سيجعله فى الذروة من قمة الشعر فأعلن أنـــه سيودع الشعر والفن والفكر وكتب يقـــول :

" وداعا أيهـــا الشعـــر ....
" وداعا أيهـــا الفـــن ....
" وداعا أيهـــا الفكـــر ....

ثم احتجب لفترة من نظـــم الشعـــــر .

وكتب الدكتور طه حسين مقالا فى صحيفة الوادى يدعو فيهـا ناجى للعودة الـــى رياض الشعـــر بأسلوب ذكى طريـف ، فقـــال :

" اننى لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر لأنى قدرت أن الدكتور ناجى ان كان شاعرا حقا ، فسيعود الى الشعر ان راضيا وان كارها ، سواء ألححت عليه فى النقـــد أو رفقت به ، وان لم يكن شاعرا فليس على الشعر يأس فى أن ينصرف منه ويزهد فيـــه ".

وكانت لهذه الدعوة الذكية من الدكتور طه حسين أثرها السريع فسرعان ما استجاب الدكتور ناجى لها وعاد لروضة الشعر يعاود الغناء والتغريد فوق أفنان الجمـــال ليقدم لقرائه أجمل أناشيده فى الحب والجمال وعاد يغنى لملهمته بعد صمت طويـــل فقـــال لهـــا :(١)

أيها الماضى الذى أودعتـــه	حفرة قد خيم الموت بهـــا
أيها الشعر الذى كفنتـــه	مقسما لاقلت شعرا بعدهـــا
أيها الشعر الذى مزقتـــه	صارخا : عهدك ياقلب انتهـــى
قسما ماماتت منكم أحـــد	انها رقدة يأس .. انهـــا
آه لو قام رسول ضـــارع	أو شفيع منكم يمضى لهـــا
آن من يخبرها عن طائـــر	نسى الأوكار الا وكرهـــا

---

(١) ليالى القاهـــرة / ص : ١٩١ .

" ليالى شاعر الأطلال "

فى نهاية عام ١٩٣٩م شبت أوار الحرب العالمية الثانية ، وألقت الحرب بظلالها القاتمة على مصر وتأثر ناجى بالظلام الذى غمر " ليالى القاهرة " ، وهو عاشق الليل والنور والنغم .

وأوحت هذه الليالى المظلمة لناجى بمعان وجدانية رقيقة ، فهو لم يرى فى هذه الليالى المظلمة الا معانى الوصال والمناجاة مع محبوبته ....

ودخل فى حياته حب فى تلك الحقبة واستلهم من هذا الغرام قصائده " فى الظلام " و " أنوار " و " الميعاد الضائع " و " اثنان فى سيارة " و " لقاء فى الليل " فالشاعر العاطفى ناجى لايستلهم من جو الحرب والأظلام معانى الضرب والقصف بل لايجد منه الا جو اللقاء العاطفى ولا يجد فيه الا العاطفة .

يقول فى قصيدة من أجمل قصائد شعره التصويرى العاطفى بعنوان "لقاء فى الليل " يصف فيها لقاء مع محبوبته فى ظلمات القاهرة أيام الغارات تحت الفزع والظلمة والقصف والخوف ، يقول :

قالت تعال ، فقلت لبيك	هيهات أعصى أمر عينيك
أنا ياحبيبة طائر الأيك	لم لاأغنى فى ذراعيك

xxxxxxxxxxxx

ألفيك مقبلة على جزع	بسطت الى يمين مرتجف
وبها ارتعاشة طائر فزع	من قلبها تسرى الى كتفى

xxxxxxxxxxxxx

فى تلك الحقبة المظلمة الظالمة بدأت قصة حب عنيفة مع ممثلة جهيرة هى " ز " ملأت فراغ روحه وقلبه ونفسه بعد اخفاق قصة حب مع ملهمة " ليالى القاهرة "

وقد أحب هذه الممثلة أكثر من أديب وشاعر وصحفي (١).

وقد امتد هذا الغرام بين مد وجزر : بين الرضا والغضب والهجر والوصال والحب والحنين لفترة خصبة وكانت بينهما مراسلات عاطفية تعد من أجمل رسائل الحب والجمال .

وقد شهدت ليالي القاهرة قصة هذا الحب العاصف أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية حوالى عام ١٩٤١م ، وقد انتهت قصة حبهما معهما بالفرقة ، واعتكف شاعرنا بعدها يسترجع ذكريات هذا الغرام العاصف يتبتل وخشوع ....

واستوحى من هذه التجربة الخصبة ملحمة العمر " الأطلال " ومن الطريف أنه كتب مطالعها الأولى على " روشتة " وأرسلها الى تلك الملهمة .

قال فى مقدمة الأطلال :" هذه قصة حب عاشر ... التقيا وتحابا ، ثم انتهت القصة بأنها هى صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت " .

يصور الشاعر العاشق الحب كيف سما بهما الحب الى ذرى عالية وجعلهما كروحين هائمين فى سماء الخيال :

لست أنساك وقد أغريتنى	بالذرا الشم فأدمنت الطموح
أنت روح فى سمائى ، وأنا	لك أعلو فكأنى محض روح
يالها من قمم كنا بها	نتلاقى وبسرينا نبوح
نستشف الغيب من أبراجها	ونرى الناس ظلالا فى السفوح

ويصف أحاسيسه ومشاعره وأساه وهو يقف على أطلال هذا الغرام الراحل وكيف أصبحت أمامه الدنيا منادح وأهوال ، فيقول :

قد رأيت الكون قبرا ضيقا	خيم اليأس عليه والسكوت

---

(١) راجع مقال محمد محمود رضوان بعنوان " مأساة عاشق الجمال " الهلال يونية ١٩٧٣م .

ورأت عيني أكاذيب الهوى | واهيات كخيوط العنكبوت
كنت ترثي لي وتدري ألمي | لورثى للدمع تمثال صموت
عند أقدامك دنيا تنتهي | وعلى بابك آمال تموت

ثم يصور كيف أضناه الوجد والحنين ، وكيف أصبح كالطائر الحزين يشكو جراح قلبه وآلام نفسه :

ذهب العمر هباء فاذهبي | لم يكن وعدك الا شبحا
صفحة قد ذهب الدهر بها | أثبت الحب عليها ومحا
أنظري ضحكي ورقصي فرحا | وأنا أحمل قلبا ذبحا
ويراني الناس روحا طائرا | والجوى يطحنني طحن الرحى

وتصبح حياته بعد الهجر يبابا وقفرا موحشا صامتا لاتجد فيه أنيسا أو سلوى بل أطلال معبد الحب الذى طالما غرد فيه للحب والوصال :

كنت تمثال خيالي فهوى | المقادير أرادت لايدى
ويحها لم تدر ماذا حطمت | حطمت تاجي وهدت معبدى
ياحياة اليائس المنفرد | يايبابا مابه من أحد
ياقفارا لافحات مابها | من نجي ياسكون الأبد

ثم يختتم الملحمة بهذه الصورة الحزينة القاتمة الثائرة ، فيقول :

واذا مازهرات ذعرت | ورأيت الرعب يغشى قلبها
فترفق واتئد واعزف لها | من رقيق اللحن وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسى | وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر كم من زهرة | عوقبت لم تدر يوما ذنبها

xxxxxxxxxxxxxx

وقد أبدع ناجي في رسم لوحات تصويرية جميلة فى هذه الملحمة رسمتها ريشة فنان مبدع .

ومن تلك الصور المحلقـــة مطلـــع الملحمـــــة :

يافؤادى رحم الله الهـوى	كان صرحا من خيال فهـــــوى
اسقنى واشرب على أطلالـــه	وارو عنى طالما الدمـــع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبـرا	وحديثا من أحاديث الجـــوى
وبساطا من ندامى حلـــم	هم تواروا أبدا وهو انطـــوى

ثم يصور كيف يتقلـــب على وهـــج الحنيـن والوجـد والوفـاء رغم طعنـــــات للهجـــر والعقـــوق من المحبوب فيقـــول :

ياريـاحا ليس يهدأ عصفهـا	نضب الزيت ومصباحى انطفـــا
وأنـا أقتات من وهم عفـــا	وأفى العمر لناس ماوفـــــى
كم تقلبت على خنجـــــره	لا الهوى مال ولا الجفن غفـــا
واذا القلب على غفرانـــه	كلما غار به النصل عفـــــا

لقد اتسمت ملحمة الأطلال بالخيال المجنح واللهفـــة العاطفيـة ، والصـــــدق الفنى ، فهى تعد من أجمل وأرق الوان الشعر العاطفى التصويرى المعاصـر شكـــــلا ومضمونـــــــا .

" زازا وعاصفة الـــــــــروح "

كان ناجي يعانــى من محنة عنيفــة قاسية فى سنواتــه الخمس الأخيرة من عمره ، كـــان يعانى من ظروف نفسيــة وصحيــة ومادية وعائليــة فاتجه الى الشراب وأسرف فيه علـــه ينســـى واصبحت حياتـــه ليلا طويـــلا موحشا لاتجد فيه لمحة ضوء أو مصباح أمل ....

ثم جاءت لمحة الضوء فى حياته فى تلك الحقبة الكئيبة من حياته جاء هذا الحب فى وقت كان ناجي يعانى كآبة فى نفســه وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمـــت أثناء الحرب العالمية الثانيـــــة .

وكان هذا الحب بمثابة لمحة الضوء التى سقطت فى دياجى الظلمات فى حيــــــاة شاعرنـــا ابتدأ اللقاء بينهما على الورق من جانبها ، من قارئة مثقفــة واسعـــــة الاطلاع لشاعر جهير ابتدع صورا مبدعــة فى قاموس الحب والعاطفــة ، فبعثت لـــــــه برسالة اعجاب ومالبثت أن رد عليها ثم توالت الرسائل بينهما لمدة عام كامـــل ، وكان أول لقاء بينهما أثناء الصيف فى الاسكندرية وبدأت لقاءات أدبية وفنيـــــة وعاطفية بينهما يتناقشان فى شتى فروع الأدب والثقافة والفن والحب ...

ثم قررت " زازا " الاشتغال بالفن واعترضت أسرتها الصعيديــة المحافظة ـ ولكن ناجى ـ وكانت تربطه بأسرتهـــا علاقة وديـــة ـ أفلح فى اقناع أسرتها بالسمـــــاح لها بالاشتغال بالفن ... وأصبحت زازا ممثلة شهيـــرة وأصبحت تقيم ندوات أدبيـــة وفنية أسبوعية بصفة منتظمة تدور فيها أحلى الأسمار وأشهى الأحاديث فى الأدب والفكر والفن وكان من أبرز من يؤم هذه الندوات العقاد ورامى وصالح جودت وفكرى أباظـــه وأنور أحمد ومحمد عبد الوهـــاب .

ويلقى الأستاذ صالح جودت الأضواء على قصة هذا الحب الكبير فى حياة ناجـــى ، فيقول عن تلك الملهمـــة : (١)

---

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعـــره / ١٩٦٠م ص : ١٢٩ .

" أما زازا فلست أجانب الحق اذا قلت أنها المرأة الوحيدة التى أحبت الشاعر.. " كانت شابة وسيمة القسمات ، أنيقة الروح ، ، تعشق الشعر ، قديمه وحديثه ، وتحفظ الكثير من هذا وذاك ، ولم تكن ذات مطامع كمطامع الفانيات . كان كل همها فى الحياة أن تكون بجانب الشاعر يحبها وتحبه " .

xxxxxxxxx

لقد وجد ناجى فى زازا - فى تلك الحقبة التى كان يعانى فيها من محنته بالزمان والناس - الملجأ والسلوى .... لقد عرفها حوالى عام ١٩٤٤م فملأت الفراغ الذى كان يعانيه ويكابده .

وقد ترك لنا ناجى اعترافات حول هذا الحب الذى لعب دورا كبيرا فى حياته وشعره ابان محنته فى سنواته الأخيرة حين تخلى عنه أصدقاؤه وهجرته محبوبته اللاتى طالما تغنى بحبهن وانشغلت عنه ملهمة " الأطلال " بأضواء السينما والمسرح .

ثم جاءت زازا التى خفقت عليه فى المحنة فداوت جراح روحه وآلام نفسه .

وقد استلهم ناجى من غرامه بها عدة قصائد رقيقة منها قصيدته " زازا " التى نشرت بعد وفاته والتى تصور جوانب الحب فى حياة ناجى ، يقول فيها :

قبل أن نلتقى ، فلما تلاقينا   عرفت الغنى وذقت المغانم
حيثما اهتدى فأن الدرارى   ملء روحى وفى خيالى بواسم
ان أبت جائعا فشمة زادى   أو أبت معسرا فثم الدراهم
وعجيب فقد كنت لى حسد الحساد   فيها وكنت أنت التمائم
بالذى صنت عهده لم أخنه   ومتى خانت الأكف المعاصم

ويقول عنها فى قصيدة " الطائر الجريح " :

لولاك ماقلت لشىء   فى الوجود مرحبا
ولم أجد ركنا غنيا   بالحنان طيبا
أنت الحياة والنجاة   والأمان المجتبى

لقد لعبت زازا فى حياة ناجى فى تلك الحقبة دورا كبيرا فى تخفيف آلام روحه وأحزان نفسه ... كان فى تلك الحقبة يعانى المرض وعقوق الأصدقاء وهجر المحبوبات وعسر المال فضلا عن الأحقاد والدسائس من خصومه فى عمله الذين استغلوا محنته فضيقوا عليه الخناق وشددوا عليه الكرة للنيل منه فى وظيفته وكان يقترب حينئذ من الخمسين فزاد ذلك من محنته وأحس بأنه قد شاخ .

وانعكس كل ذلك على نفسيته وبالتالى على شعره الذى أصبح أكثر ارهافا وحزنا ووحشة .

ورقد على الفراش حين اشتدت عليه العلة من أثر السهر والاسراف فى الشراب وفى لحظة يأس أحس بالنهاية ورأى بعينى خياله الزورق يغرق ولامجيب لصراخ الملاح وسجل أحاسيسه القاتمة فى قصيدة موحشة بعنوان " عاصفة الروح " خاصة أنه كان يعانى من هجر محبوبة العمر ولمحة الضوء الوحيدة فى حياته " زازا " فى تلك الحقبة الحزينة من سنواته الأخيرة ، والتى كانت البلسم الشافى الذى خفف عنه الكثير من آلام روحه .

لم ير شاعرنا أمامه فى تلك الحقبة الا زورقه تعبث به الأمواج وسط الأنواء والغيوم والرياح وقد غرق الشراع وأوشك على الغرق دون أن يجد مرسى فى شاطىء للأمان والرجاء .

أين شط الرجاء	ياعباب الهموم
ليلتى أنواء	ونهارى غيوم

xxxxxxxxxxx

أعولى ياجراح	أسمعى الديان
لايهم الرياح	زورق غضبان

xxxxxxxxxxx

البلى والثقوب	فى صميم الشراع
والضنى والشحوب	وخيال الوداع

xxxxxxxxxxx

اسخرى ياحياة   فهقهى يارعود
الصبا لن أراه   والهوى لن يعود

xxxxxxxxxxxx

الأمانى غرور   فى فم البركان
والدجى مخمور   والردى سكران

xxxxxxxxxxxx

راحت الأيام   بابتسام الثغور
وتولى الظلام   فى عناق الصخور

xxxxxxxxxxxx

كان رؤيا منام   طيفك المسحور
ياضفاف السلام   تحت عرش النور

xxxxxxxxxxxx

وتبلغ الكآبة ذروتها والحزن مداه فيودع كل شىء بعد وداعه للحب الوحيد فى حياته الذى كان يضىء آفق حياته ، ويبدد عن روحه ظلماتها وآحزانها ، فيقول :

اطحنى ياسنين   مزقى ياحراب
كل برق يبين   ومضه كذاب

xxxxxxxxxxxxx

اسخرى ياحياه   قهقهى ياغيوب
الصبا لن أراه   والهوى لن يؤوب

xxxxxxxxxxxxxx

ويذكر الأستاذ صالح جودت أن زازا ظلت الى جانب ناجى الى آخر

حياتـــه تهبه حياتهـا وهى حبيبتـــة ، وهو شيخ يقـــترب من الستين ، وهو فـــوق ذلك قـليـــل الحـظ من المـــال والجمال والفحولـــة ، مريــض بذات الرئـــة ، فما من شـــك بعد ذلـــك أنها كانت تحبـــه حبـــا مثاليـــا لاغايــــة وراءه الا الحـــب فى ذاتـــه .

" مأساة الطائر الجريـــــح "

كان شاعرنا رقيقا وديعا صافى القلب عذب الروح ... كان – كما يصفه – ابراهيم المصرى – فى تلك اللوحة انسانا رقيقا جالمـــــا :

" تلتقى بالدكتور ناجى ، فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك ، وتصافحه فكأنما يفتح لك صدره ، وتجلس اليه وكأنك فى حضرة روح حائر ، وتستمع الى حديثه فيأخـــذك العجب من طهارة قلبـه وبراءة نفســه وسلامة طويتـــه وعذوبة صوته وطلاقة محيــــاه ، فتذهل ، ويتضاءل شخصك فى عين نفســك ، ويعز عليك نقصك ، ولايعزيك فى النهايـــــة الا يقينك بأن الخير الذى غادرك قد استقر فى سوال وتمثل نابضا حيا فى قلب هـــذا الشاعر النبيـــــل " .

كانت هذه لوحة صادقة ودقيقة لملامح شخصية شاعرنا وقد عكست تصرفات شاعرنـــا الانسانية الكثير من هذه المعانـــى ...

فقد كان يتخذ من الطب مهنة انسانيـة أولا ، ويجعله هواية فى كثيـــر مــــن الأحيان . وكثيرا ماكان يخرج من جيبه ثمن الدواء – وأحيانا ثمن الغــــــذاء – للمرضـى الفقـــراء ...

وكان أهل الأدب والفن من متوسطى الحال يعالجون عنده وفى أغلب الأحيــــان كانت عيادتـــه تزخر بألوان من المرضى الفقـــراء وكان حصيلة كل هذا أقـــــــل القليل من المال ، ولكنه كان يشعـــر بسعادة غامرة ازاء ذلـــك .

ولقد طابت أيامه عندما عمل طبيبا بوزارة الأوقاف فى عهد الوزراء الثلاثـــــة وهـــم : عبدالهادى الجندى وابراهيم دسوقـى أباظة وعبدالحميد عبدالحـــــق ، اذ كانوا يقدرون شعـــره ونبوغـــه واخلاصـــه فى عملـــه وفى سنواته الأخيـــــرة عانى الكثير من الدسائس والمؤامرات وراحت ألسنة الحاسدين والحاقدين تدس لـــــه عند رؤسائـــه فى العمـــل وتزعـــم أنه غير منتج ، وأنه منصرف من الطب الـــــى الشعـــر والأدب .

ونجحت الدسائس فى الهبوط به من منصب المدير الى منصب المراقب ، ثم مالبث أن انتهى به الأمر باخراجه من وظيفته نهائيا ، وهو فى حوالى الثانية والخمسين أى عام ١٩٥٢م.

كانت صدمة عنيفة هزته هزا عنيفا من أعماقه ...

وغامت الدنيا أمام عين الشاعر الرقيق ، واستسلم للعزلة وغشت الكآبة نفسه واحتوته سورة اليأس والعذاب الممض وأسرف فى الخمر اسرافا شديدا ينشد فيها السلوى والنسيان واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة ...

لقد تغير كل شىء فى ناجى فى سنواته الأخيرة ...

لقد صمت القلب العاشق المغرد وأصبح غناؤه نواحا وترنيمه أنينا . وأهمل نفسه فلم يعد يأبه لطعام أو صحة أو ملبس وحدثت خلافات بينه وبين زوجته . وشرع يقضى لياليه ساهرا هائما على وجهه مع ليالى القاهرة لارفيق له سوى الأقداح وبقايا الذكريات وشيطان الشعر ...

وانفض عنه معظم أصدقائه الا عدد محدود ظلوا بجانبه فى محنته منهم صديق عمره صالح جودت الذى ظل ملازما له وفيا لصحبته حتى آخر نسمة فى حياة ناجى ، وعندما رحل ناجى كتب صالح جودت ترجمة ممتعة لحياته بعنوان " ناجى حياته وشعره " صدرت عام ١٩٦٠م وقدم لها العقاد بمقدمة تحليلية رائعة عميقة أبرز فيها مفهومه حول الرقة العاطفية عند ناجى وسماتها الخاصة به .

" وغرق الزورق "

وراح شاعرنا يذوب سريعا ... أسرف فى الشراب واتخذ من الليل صديقا له يبثه نجواه علّه يجد السلوى والنسيان وأصبح حطاما يدب على الأرض بعد أن أصابته عدة صدمات ...

كان يعانى من المرض وفرقة الحبيب ومكايد الأعداء وغدر الأصدقاء وعقوقهم بعد عسره وخروجه من الوظيفة بفعل الدسائس وكانت مأساة الطائر الجريح ...

فسرعان ماصمتت القيثارة الشجية التى أبدعت لنا أجمل أنغام الحب والجمال وغرق الزورق ...

ففى ذات ليلة وهو فى عيادته يدنى أذنه الى صدر أحد مرضاه ليسمع دقات قلبه ، سقط الطبيب وعاش المريض ...

مات الانسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف فى أسى مودعا محبوبة العمر بصوت متحشرج :

داو نارى والتياعى	وتمهل فى وداعى
ياحبيب العمر هب لى	بضع لحظات سراع
قف تأمل مغرب العمر	واخفاق الشعاع
وابك جبار الليالى	هده طول الصراع
وضياع الحزن والدمع	على العمر المضاع
وهتاف القلب بالشكوى	على غير انتفاع
مابهم الناس من نجم	على وشك الزماع
غاب من بعد طلوع	وخبا بعد التماع

وعندما مات ناجى فى ٢٥ مارس ١٩٥٣م عن عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت زازا ، بصدمة عنيفة واصرت على أنه لم يمت بل - كما قالت - " ذهب ولم يترك عنوانه ".

" شاعر الحب "

كان ناجي قلبا محبا عاشقا ... يسعى الى المرأة ويستلهم منها أجمل أغاريد الحب والجمال ...

كان شعر ناجي حديث القلب ونجوى الحبيب ومكابدة الفراق ...

وناجي شاعر يبدع كل الابداع في قصائد الحب والعاطفة وتلمس في شعره حرارة الابداع وصدق العاطفة ...

ان شعر الحب Love Poetry عند ناجي يتسم بالرقة العاطفية والصدق الفني وحرارة العاطفة ...

ان شعره العاطفي صادر عن عاشق قوي العاطفة مشتعل الاحساس صادق الوجدان ويرجع هذا الى حرقة وجده وقوة عاطفته .

ان شاعرنا عاشق محب يرى للحب تأثيرا كبيرا في حياته وفي نظرته للحياة والوجود ، فيقول :

ذلك الحب الذى علمني ... أن أحب الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذى صور من ... مجدب القفر لعيني ربيعا
أنه بصرني كيف الورى ... هدموا قدسه الحصن منيعا
وجلا لي الكون في أعماقه ... أعينا تبكي دماء لادموعا

في شعر ناجي العاطفي نجده عاشقا واله القلب قوي العاطفة يتقلب على سعير الوجد ووهج العاطفة والحنين ... وقوة العاطفة هي التي منحت شعره الأصالة والجمال والابداع .

يناجي محبوبته ويصور لها الدنيا كعباب يلعب بهما :

أنا ان ضاقت بي الدنيا أفيء ... لشوان رحبة قد وسعتنا
انما الدنيا عباب ضمنا ... وشطوط من حظوظ فرقتنا

ولقد أطفو عليه قلقـــا   هارفا فى لحظة قد جمعتنـــا

ويجد فى محبوبتـــه الموئـل والحنان والأمان بعد طول غربتـــه ووحشته وأحـزان روحـــه :

وعلى بابك ألقى جعبتـــى   كغريب آب من وادى المحــــن
فيك كف الله عنى غربتـــى   ورسا رحلى على أرض الوطــــن

xxxxxxxxxxx

وطنـى أنت ولكنى طريـــد   أبدى النفى فى عالم بؤســـى
فاذا عدت فللنجوى أعـــود   ثم أمضى بعدما أفرغ كأســـى

ويرى أن حب محبوبتـــه هو المحراب وبيتـــه كعبتـــه التى يقف أمامها بتبتـــل وخشـــوع وقد ســـار اليه على الأشـــواك واستعذب منارج الهول والأهوال ليحظـــى بوصـــال المحبـــوب :

وحبيب كان دنيـا أملـــى   حبـه المحراب والكعبة بيتـــه
من مشى يوما على الورد لـه   فطريقى كان شوكـا ومشيتـــه
خفق القلـب لـه مختلبـــا   خفقة المصباح اذ ينضب زيتـــه
قد سلانـى فتنكرت لـــه   وطوى صفحة حبى فطويتـــه

xxxxxxxxxxx

كان ناجـــى أحد فرســـان الغزل العـــذرى ...

لقد عـــرف الحب العذرى وغنى لـــه ، وهو حب خالـص من شوائب الحـس مـــن فرسانـــه مجنون ليلـــى والعباس ابن الأحنـــف .

ويرى الدكتور زكى مبارك (١) أن الحب العذرى لايقوم على الزهـد المطلـــق

---

(١) الدكتور زكى مبارك / العشـــاق الثلاثـــة / ١٩٤٤م.

فى المتعة الحسية انما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطالع الأفئدة ومطالب الحواس ، فالحب العذرى هو معركة منيفة فى ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه والميدان الثانى ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه وهو فى الميدان الثانى لايطارد فريسة لاتنال بأيسر الجهد وانما يطارد ظبية عصماء لاتنال الا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال والحب العذرى حين نتصوره هذا التصور لايكون الا رياضة أخلاقية فى أنفس من أقبلوا عليه من الشعراء العظام .

وكان الدكتور ناجى شاعرا عذريا عاشقا يرى الحب طريقا الى تهذيب الأرواح وتربية العواطف .

آنه يصرنى كيف السورى هدموا قدسه الحصن المنيعا

وقد خلق شاعر الحب للمرأة فى شعره شمائل تميزها عن سائر بنات حواء فقد خلق منها عروسا للشعر وجعلها امرأة مثالية وقوة روحية تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه وخلق منها مثالا رائعا لاتحده الأوهام والظنون وكثيرا ماصورها عروسا للشعر بعيدة عن دنيا البشر ...

يتغزل شاعرنا فى محبوبته فيصور مواطن سحرها فى أسلوب تصويرى وجدانى رائع ، فيقول :

أى سر فيك ؟ أنى لست أدرى كل مافيك من الأسرار يغرى
خطر ينساب من مفتر ثغر فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر زورق يسبح فى موجة عطر
فى عباب غامض التيار يسرى وأملا مابين عينيك وعمرى

أنه هنا يجيد التعبير العاطفى Emotional Expression فى رسم صور متتابعة حية لجمال محبوبته وسحرها القهار ويجد معها الحنان والمأوى والحب والظل الظليل من هجير الحياة :

هذه الدنيا هجير كلها أين فى الرمضاء ظل من ظلالك

ربما تزخر بالحسن ومـا ... فى الدمى مهما غلت سر جمالك
ربما تزخر بالنور وكـم ... من ضياء وهو من غيرك حالك
لو جرت فى خاطرى أقصى المنى ... لتخيلت خيالا من خيالك

xxxxxxxxxxx

ويرى عباس محمود العقاد أن ناجى من شعراء الرقة العاطفية Sentimentalism والتى كانت غالبة على بعض أصحاب الأقلام فى مصر من الناظمين والناشرين فى أوائل هذا القرن ولكنه يرى أن رقته لها نمط خاص ، فيقول : (١)

" ولاشك فى صدق تعبيره عن تلك الرقة العاطفية شعرا ونثرا ، بل خلقا وشعورا كما عرفناه وعرفه أصدقاؤه الأقربون .

" رقة ودقة ... هاتان الخصلتان اللتان نسجت منهما العاطفية الشعرية فى سليقة ناجى " .

والمعروف أن العقاد كان قد انتقد ناجى عام ١٩٣٤م حين صدر ديوانه " وراء الغمام " واتهم شعره بالاغراق فى البكاء والحنين والرخاوة العاطفية ورد عليه ناجى مما لايتسع له المجال هنا .

كما اتهم ناجى بالافراط العاطفى Sentimentality من بعض النقاد والدارسين ولكن غاب عن بالهم تكوين ناجى العاطفى ورقة عاطفته ورفاهة احساسه ثم أنه كان صادقا مع نفسه فجاء شعره انعكاسا لمشاعره وأحاسيسه وعواطفه وذلك هو غاية الصدق الشعورى والفنى .

وشعر ناجى ملىء بالحنين واللهفة والألم والعتاب والمناجاة ولكن هناك لوحات تصويرية مرحة مبتهجة منها هذه اللوحة المرحة الراقصة لحبيبين أضاء لهما الحب أضواء البهجة فانطلقا يمرحان ويشبقان ظلهما الراقص :

هل رأى الحب سكارى مثلنا ... كم بنينا من خيال حولنا ؟

---

(١) مقدمة العقاد لكتاب " ناجى حياته وشعره " / ص :

ومشينا فى طريق مقمـــر | تثب الفرحة فيه قبلنـــا
وتطلعنا الى أنجمـــه | فتهاوين وأصبحن لنـــا
وضحكنا ضحك طفلين معـــا | وعدونا فسبقنا ظلنـــا

ويرى فى محبوبتـــه الأمـــل والربيـــع والبهجـــة والاشـــراق :

عندما أقفرت الدنيا جميعا | لحت لى تحمل عمرا وربيـــعا
ان يكن حلما تولى مسرعـــا | أجمل الأحلام ماولـى سريعـــا
ان يكن ماكان دينا يقتضى | خلـى أدفعه عنك دموعـــا
قد شريناه عزيزا غاليـــا | ان تكن بعت فانى لن أبيعـــا

وهذه لوحـة مرحـة مبتهجـة لمحبيـن نسبيا كل شىء فى الوجود وقد أجـاد ناجــى فى رسـم صور متحركـة Moving picture , لمـرح المحبيـن وبهجتهمـا فى ظل الوصال والنجـوى :

نمشى وقد طال الطريق بنـا | ونود لو نمشـى الـى الأبـد
ونود لو خلت الحياة لنـا | كطريقنا وغـدت بلا أحـد

xxxxxxxxxxxx

نبنى على أنقاض ماضينـا | قصـرا من الأوهـام عملاقـا
ونظـل ننسج من أمانينـا | وشيا من الأحـلام براقـا

xxxxxxxxxxxx

وأظل أسقيهـا وتملأ لـى | من مورد خلف الظنون خفـى
حتى اذا سكرت من الأمـل | وترنحت مالت على كتفـى

بعد هذه البهجـة والسعادة فى ظـلال الوصـال والحب والنجوى ينتبـه على صوت النذيـر يروعـه بالفرقـة بعد ساعات الهناء والسعـادة :

حان حرمانى ونادانى النذير | ما الذى أعددت لى قبل المسيـر
زمنى ضاع وماأنصفتنـى | زادى الأول كالزاد الأخيـر
رى عمرى من أكاذيب المنـى | وطعامى من عفاف وضميـر

وعلى كفك قلـب ودم وعلى بابـك قيد وأسيـر

وبعد الفرقة ينتابه الأسى ويعكف على كاسه وعلى سرابه ينتظر على أمل أن تلبى محبوبته النداء وتعود اليه ليالى الوصال والنجوى والنغم :

انى على يأس وكأسى كابـى وعلى سرابى عاكف وشرابـى
ولقد فرغت من التعلل بالمنى الا وميضا فى السراب الخابـى
رمقا يعللنى بأنك عائـد يوما لقلبى قبل يوم ذهابـى
أنرى شروقك فى أفول مغاربى وأشم عطرك فى ذبول شبابـى؟

xxxxxxxxxxxxx

يرى الشاعر صالح جودت أن شعر الحب عند ناجى خالد وأصيل ، فيقول : (١)

" ان أجمل مقياس لخلود الشاعر ، هو أن تظفر بالبيت له ، فتسأل نفسك " الى متى يعيش هذا البيت " ولست أشك فى أن أكثر شعر ناجى فى الحب قمين بأن يعيش الى أن تنتهى قصة الحب على الأرض •

" هذا هو الشاعر الخالد وهذا هو الخلود " •

ويرى بعض النقاد أن شعر ناجى فى الحب قد أثر فى الشعراء الذين جاءوا بعده •

" ان ناجى قد بلغ الذروة فى التعبير من ظمأ الروح واللهفة الخالدة الى الحب ، وعاش طول حياته روحا ظامئا لهيفا يبحث عن العواطف ويعبر عن أشواقه المتدفقة •

" وامتد هذا الظمأ والحنين فى شعره حتى آخر حياته فى دواوينه الثلاثة " وراء الغمام سنة ١٩٣٤م " و " ليالى القاهرة سنة ١٩٤٤م " و " والطائر الجريح الذى صدر بعد وفاته سنة ١٩٥٧م " •

---

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ص : ١٥٦ •

" في هذه الدواوين نلمح ناجي المتعطش الى الحب يمثل تيار أبوللو أصدق تمثيل ، ولقد أثر في كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، بل لعلنا نحس آثاره حتى الآن في شعرنا المعاصر " (١) .

xxxxxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فهذا هو شاعر الحب ، ناجي ، الذى كانت أغاريده العذبة دافقة بالشعور الحي والحرارة والجمال وكانت تتسم بالصدق الفني لأنه قبسها من نار روحه ونور وجدانه .

لقد كان شعر الحب Love Poetry عند ناجي لونا جديدا وفريدا في شعرنا العربي المعاصر .

---

(١) عبدالعزيز الدسوقي / جماعة أبوللو / ص: ٥٧٣ .

مختارات

من شعر ناجى

١ - أغنيـــة فى هيكـل الحــب

٢ - البعـــث

٣ - الغـــد

٤ - الـــوداع

٥ - الخريـــف

١ - أغنية فى هيكل الحب

كم تجرعنا هوانا
ولقينا فى هوانا
وبلونا نار حب
لم نذق فيها أمانا
واذا حل الهوى
هيهات تدرى كيف كانا
فاذا ماملك الأنفس
أملاها هوانا
فهو نصل مستقر
ولهيب لايدانى

xxxxx

ياحبيبى هدأ الليل
ولم يسهر سوانا
لاالدجى ضمد جرحينا
ولا الصبح شفانا
لا الهوى رق على
الشاكى ولاقاسيه لانا.
قد غدونا غرض الرامى
كما شاء زمانا
والغنى بالله نطرق
هيكل الحب كلانا
ساعة نبكى على الكأس
ونشكو من سقانا

٢ - البعث

ياجمالا وجلالا يتدفق
رجع الليل أم عاد الربيع
بهر النور عيوني ، فترفق
حين تدنو ، انني لا أستطيع

xxxxxxxx

أيها الورد الذي طاف بنا
أيها الطل الذي بل الظما
لا أراك الله حالي وأنا
أطأ الشوك ويغزوني الظما

xxxxxxxxx

يا أمانيَّ وحبي وخيالي
لاتضيع لحظة ، فالعمر ضاع
لا أراك الله حالي ، والليالي
كاسفات ليس فيهن شعاع

xxxxxxxxx

قد بلوت الويل فيها ، لابلوتا
وأنا أبدا يومي بالمساء
وعرفت الضيق ، ضيق القلب ، حتى
لم أجد في الكون ثقبا من رجاء
لا وربي ، ليس في الدنيا ختام
حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلب من منام
والمنادي أنت ، والحب مجيب

٢ - الغـــد

ياحنانا كيد الآتي الرؤوم
وشعاعا يشتهي بعد الغيوم
أنا في بعدك مفقود الهدى
ضائع أعشو الى نور كريم
أشترى الأحلام في سوق المنى
وأبيع العمر في سوق الهموم
لاتقل لي في غد موعدنا
فالغد الموعود ناء كالنجوم

xxxxx

أهكذا قلت ؟ فعلمني اصطبارا
ليتني أختصر العمر اختصارا
عبرت بي نشوة من فرح
فرقصنا أنا والقلب سكارى
وعرانا طائف من خبل
فاندفعنا في الأماني نتبارى
سنذم النور حتى يتلاشى
ونذم الليل حتى يتوارى

xxxxx

أنفردنا أنا والقلب عشيا
ننسج الآمال والنجوى سويا
فركبنا الوهم نبغي دارها
وطوينا الدهر والعالم طيا
فبلغناها وهللنا لها
ونزلنا الخلد فينانا نديا
ولقينا الحسن فذا والصبا
وتملينا الجلال الأبديا

xxxxx

قال لى القلب : أحقا مابلغنـــــا ؟
كيف نام القـــدر الساهـــر عنـــا ؟
أتراهـــا خدعـــة حاقت بنـــــا ؟
أتراهـــا ظنـــة مما ظننـــــا ؟
قلت : لاتجزع فكـــم من منــــــزل
عز حتى صـــار فوق المتمنـــــى
أذن الله بـــه بعد النــــــوى
فثوينا واسترحنا وأمنـــــــا !

xxxxx

ياجنان الخلد قدمت أعتـــــذارى
اذ يطوف الخلد سقمى ودمـــــارى
أيها الآمر فى ملـك الهــــوى
اعف عن لهفة روحـــــى وأوارى
أشتهى ضمـــك حتـــى أشتفـــى
فكأنـــى ظامىء آخـــذ ثـــــارى
غير أنـــى كلما امتـــدت يـــــدى
لعناق خفت أن توذيك نــــــارى.

xxxxx

أيها النـــور سلاما وخشوعـــــا
أيها المعبد صمتا وركوعــــــا
ملكـت قلبى ولبـى رهبــــــة
عصفت بالقلب واللـب جميعـــــا
رب قول كنت قد أعددتـــــــه
لك اذ القاك يأبى أن يطيعـــــا
وحبيـــس من عتاب فى فمــــى
قد عصانى فتفجـــرت دموعـــا !

xxxxx

لذمتني دمعة تلفح خدى
شبهتني من ضلال ليس يجدى
اختفت تلك الرؤى من ناظري
وطواها الغيب في سحري برد
وتلفت فلا أنست ولا
جنة الخلد ولا أطياف سعد
واذا بى فارق فى محنتى
وبلاشي ، أقطع الأيام وحدى

xxxxxx

هات قيثاري ودعني للخيال
واسقني الوهم ... وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده
الحجى خصمى فاغمر بالضلال
وخذ الأنوار عنى ، ربما
أجد الرحمة في جوف الليالي
خلني بالشوق أستدني غدا
فغدا عندى كآباد طوال!

---

٤ - الــــوداع

حان حرمانى ونادانى النذير
ما الذى أعددت لى قبل المسير
زمنى ضاع وما أنصفتنى
زادى الأول كالزاد الأخير
رى عمرى من أكاذيب المنى
وطعامى من عفاف وضمير
وعلى كفك قلب ودم
وعلى بابك قيد وأسير

xxxxxx

حان حرمانى فدعنى ياحبيبى
هذه الجنة ليست من نصيبى
آه من دار نعيم كلما
جئتها أجتاز جسرا من لهيب
وأنا إلفك فى ظل الصبا
والشباب الغض والعمر القشيب
أنزل الربوة ضيفا عابرا
ثم أمضى عنك كالطير الغريب ! [1]

xxxxxx

لِمَ ياهاجر أصبحت رحيما
والحنان الجم والرقة فيما ؟
لم تسقينى من شهد الرضا
وتلاقينى عطوفا وكريما ؟
كل شىء صار مرا فى فمى
بعد ما أصبحت بالدنيا عليما
آه من يأخذ عمرى كله

ويعيــد الطفــل والجهــل القديمــا ؟

xxxxxx

هل رأى الحــب سكارى مثلنــــا ؟

كم بنينــا مــن خيـــال حولنـــا

ومشينـــا فى طريـــق مقمـــر

تثـب الفرحـة فيـه قبلنـــا

وتطلعنـــا الـى أنجمـــه

فتهاويـــن وأصبحـــن لنــــا

وضحكنـــا ضحك طفليـــن معـــا

وعدونـــا فسبقنـــا ظلنـــا

xxxxxx

وانتهينـــا بعد مازال الرحيـــق

وأفقنـــا .. ليت أنا لانفيـــق

يقظـة طاحت بأحـلام الكـــرى

وتولـى الليـل ، والليل مديـــق

واذا النـور نذيـر طالـــع

واذا الفجر مطـل كالحريـــق

واذا الدنيـــا كما نعرفهـــا

واذا الأحباب كـل فى طريـــق

xxxxxx

هات أسعدنـى ودعنـى أسعـــدك

قد دنـــا بعد التنائى مـــوردك

فأذقنيـه فانـى ذاهـــب

لافـدى يرجـى ولايرجـى غـــدك

وابلائـى مـن ليالـى التـــى

قربت حينـى وراحـت تبعـــدك

لاتدعنـى لليالـى غـــداً

تجرح الفرقة ماتاسو بدك

xxxxxx

أزف البين وقد حان الذهاب
هذه اللحظة قدّت من عذاب
أزف البين ، وهل كان النوى
ياحبيبي غير أن أُغلق باب؟
مضت الشمس فأمسيت وقد
أغلقت دوني أبواب السحاب
وتلفت على آثارها
أسأل الليل .. ومَن لي بالجواب ؟

---

٥ - الخريف

يا حبيبى غيمة فى خاطرى
وجفونى ، وعلى الأفق سحابة
غفر الله لها ماصنعت
كلما شاكيتها تندى كآبة
صرخ القفر لها منتحبا
وبكى مستعطفا مما أصابه
فأصم الغيث عنه أذنه
ماعلى الأيام لو كان أجابه ؟

xxxxx

كثر الهجر على القلب فهل
من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجر من جمال وصبا
كل فجر طالع ذكر نبيه
كيف ناجيتك أبغى سلوة
ثم ناجيتك فى كل شبيه
أيها الساكن عينى ودمى
أين فى الدنيا مكان لست فيه ؟

xxxxx

عندماأزمع ركب العمر
رحلة نحو المغانى الأخر
ظهرت تجلوك كف القدر
صورة أروع مافى الصور
تتراءى فى الشباب العطر
نفحة تحمل طيب السحر
وقف العمر لها معتذرا

وشى الركـب منـان البقـر

xxxxxx

عندما انفـرت الدنيـا جميعـا
لحت لـى تحمل عمرا وربيعـا
ان يكن حلما تولـى مسرعـا
أجمل الأحلام ماولى سريعـا
ان يكن ماكان دينا يقتضـى
خلنى أدفعه عنـك دموعـا
قد شرينـاه عزيـزا غاليـا
ان يكن بعت فانى لن أبيعـا

xxxxxx

ياندامى الحب سمـار الهـوى
سكبوا لى السهـد فى ذاك السـراب
أرقونى أجـرع السقـم وبـى
صفرة الكأس وأوهـام الحبـاب
كلمـا تقبـل أيـام المنـى
تنجلى النعماء من ذاك السـراب
وترى أيامـى الحيـرى علـى
عرسها الضاحك أحزان الضبـاب

xxxxxx

لم أقيدك بشىء فى الهـوى
أنت من حبى ومن وجـدى طليـق
الهوى الخالص قيـد وحـده
رب حر وهو فى قيـد وثيـق
مزقت كفيـك أشـواك الهـوى
وأنـا ضقت بأحجار الطريـق
كم ظمـى بظمـى يرتـوى

وفريق مستعبين بفريـــــق

xxxxxx

ياليالى العمر ماسر الليالى
البطيئات المملات الطـــوال
مسرعات مبطئات ولهــــا
خفة الموت وأثقال الجبــــال
كاسفات البال مرجاء المنـــى
عاثرات الحظ شوهاء الظـــلال
عجبا للعمر يمضى مسرعــــا
للمنايا بسلحفاة المـــلال

xxxxxx

ياكنار الروض فى أيك الهـــوى
جفت الروضــة من بعد النديـم
حل بالأيك خريــف منكـــــر
وظـلال قاتمـات وغيـــوم
ماتت الروضــة الا طائفـــا
من هـوى حى على الذكرى يقـوم
فاذا أنكـــر ماحل بهـــا
فر يبغى سربـه بين النجـــوم؟

xxxxxx

شاهدت الدنيا وجوهـــا ورؤى
ونـولاها سهـــوم ووجـــوم
ياعذارى الحســن فى ظل الصبا
كل حسن بعد ليلاى دميـــم
يانعيم العيش فى ظل الرضـــا
آه لو أعرف ماطعم النعيـــم
أنكر الجنــة قلب هجـــر
أبدى النار موصول الجحيـــم

xxxxxx

طالما موهت بالضحك فما
غير التمويه رأيا لك فيا
كلما تنظر فى عينى ترى
سرى الغافى ومعناى الخفيا
وترى فى عمق روحى زهرة
قد سقاها الحزن دمعا أبديا
ويراه الناس طلا وترى
أنت دمعا غائما فى مقلتيا

xxxxxx

يافؤادى ماترى هذا الغروب
ماترى فيه انهيار العمر؟
ماترى فيه غريقا ذا شحوب
يتلاشى فى خضم القدر؟
ماتراها اتأدت قبل المغيب
ورمت من عرشها المنحدر
لفتة الحسرة للشط القريب
قبل أن تسقط خلف النهر

xxxxxx

يافؤادى قاتل الله الفجر
وعذابى بين حل وسفر
ماترى قنطرة من بعدها
راحة ترجى وبال يستقر
ذلك الجرح وما أقدحه
ماعليه لو الى السلوى عبر
قد طواه اليوم فى بردته
وأتى الليل عليه فانفجر

xxxxx

مر يومى فارغا منك ومـــــن
أمل اللقيا فما أتعس يومـــى
أنت يومى ، وغدى أنت ، ومـــا
من زمان مر بى لم تك همـــى؟
آه كم أغدو صغيرا ، حاجتـــى
لك كالطفل الى رحمـــة أم
ولكم أكبر بالحب الـــــى أن
أغتدى مستشرفـــا آفاق نجـــم

xxxxxx

أى سر فيك انى لســـت أدرى
كل مافيك من الأســرار يغـــرى
خطر ينساب من مفتــر ثغـــر
فتنة تعصف من لفتة نحـــر
قدر ينسج من خصلـــة شعـــر
زورق يسبح فى موجـــة عطـــر
فى عباب غامض التيار يجـــرى
واصلا مابين عينيك وعمـــرى!

xxxxxx

ذات ليل والدجـى يغمرنـــا
أترى تذكر اذ جزنـــا المدينـــه؟
كلما روعت من نار شـــج
حر مايعلى تلمست جبينـــه
بيد شفافة مثل الندى الرطـــب
تعيد النار بردا وسكينـــه
أيها الآســى لنــارى هــــذه
ما الذى تصنع بالنار الدفينـــه؟

xxxxxx

آخيالا كان هـــذا كلـــه
ذلك الجسر الذى كنا عليـــه ؟
والمصابيح التى فى جانبيـــه
ذلك النيل ومافى شاطئيـــه ؟
وشعاع طوفت فى مائـــه
وظلال رسبت فى ضفتيـــه
وحبيب وادع فـــى ساعـــدى
ووعود نلتهـا من شفتيـــه !

xxxxxx

رب لحن قص فـى خاطـــرى
قصة الحادى الذى غنى سهـادنا
وكأن الصمت منـه واحـــة
هيات من عشبها الرطب وسادة
هأنا عدت الى حيث التقينـــا
فى مكان رفرفت فيه السعـــادة
وبه قد رفرف الصمت علينـــا
ان فى صمت المحبين عبـــادة

xxxxxx

رفرف الصمت ولكن أقبلـــت
من أقاصى السهل أصداء بعيـــدة
تتهادى فى عبـاب صاخـــر
مرسل للشط أمواجـا مديـــدة
كم نداء خافت مبتعـــد
تشتهى أذن الهوى أن تستعيـــدة
عاد منسابا الى أعماقهـــا
هامسا فيها بأصداء جديـــدة

xxxxxx

رفرف الصمت ولكــــن هاهنـــــا
كل مافيك من الحسن يغنـــــى
آه كم من وتـــر علــــى
صدر عود نوم غـاف مطمئـــــن
وبه شتى لحون مـــن أســـى
وحنيـن وأنيــن وتمــــن
رقد العاصف فيه وانطـــــوت
مهجة العود على صمت مــــرن

xxxxxx

هذه الدنيا هجيـــر كلهـــــا
أين في الرمضاء ظل من ظلالــــك
ربما تزخر بالحســـن ومـــا
فى الدمى مهما غلت سر جمالـــك
ربما تزخر بالنـــور وكـــم
من ضياء وهو من غيـرك حالـــك
لو جرت فى خاطرى أقصى المنـــى
لتمنيت خيـالا مـــن خيالـــك

xxxxxx

أنا ان ضاقت بى الدنيا أفـــىء
لشوان رحبة قد وسعتنــــــا
انما الدنيا عبـــاب ضمنـــا
وشطوط من حظـــوظ فرقتنـــــا
ولقد أطفو عليه قلقـــــا
فارقا فى لحظة قد جمعتنـــــا
كلما تترى المعانـى أجلتـــــى
خلف معناها لأســرارك معنـــى

xxxxxx

ما الذي صبك صبا في الفؤاد ؟
ما الذي ان أقصه عنى عاد ؟
طاغيا يعصف عصفا بالرشاد
ظامئا سيان قرب وبعاد
ساهر العينين موصول السهاد
ما الذي يجري لهيبا في الرماد؟
ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يجري حياة في الجماد؟

xxxxxx

كم حبيب بعدت صهباؤه
وتبقت نفحة من حبه
في نسيج خالد رغم البلى
عبث الدهر ومايعبث به
ما الذي في خصلة من شعره ؟
ما الذي في خطه أو كتبه ؟
ما الذي في أثر خلفه
من أفانين الهوى أو عجبه ؟

xxxxxx

ما الذي في مجلس يألفه
عقد الحب عليه موعده ؟
ربما يبكى أسى كرسيه
ان نأى عنه وتبكى المائدة
ربما نحسبها هشت اذا
عاد هش لها أو عاوده
ربما نحسبها تألفنا
حين نمضى أفراق لعده ؟

xxxxxx

كم أعدت لك سترا فى الخفـــاء
وتوارت عن عيـون الرقبــاء
كم أعـدت نفسهـا وانتظــرت
واستوت موحشــة تحت السمــاء
وهى لـو تملـك كفـا صافحـت
كفـك الحلـوة فى كـل مسـاء
وهى لـو تملـك جـودا بذلـت
كل ماتملك كـف من سخــاء

xxxxxx

رب كرم مـده الليـل لنـا
فتواثبنـا لـه نبغـى اقتطافـه
وعلـى خيمتـه آســوده
عربـى الجود شرقـى الضيافـه
وجـد العـرس على بهجتـه
وسـنـاه دون ورد فأضافـه
ثـم وارت يــده جنيــه
وطوتـه كـأساطيـر الخرافـه

xxxxxx

أرج يعبـق فـى أنحائـه
حملتـه نحو عرشينـا الريـاح
كل عطـر فى ثنايـاه سـرى
كـان سـرا مضمـرا فيه فبـاح
يالهـا من حقبـة كانت علـى
قمر فيها كآمـاد فسـاح
نتمنـى كلمـا طابـت لنـا
أن يظـل الليل مجهـول الصبـاح

xxxxxx

يافؤادي العمر سفـــر وانطـــــوى
وتبقت صفحة قبـــل النـــــوى
ما الذي يغريـــك بالدنيا ســـــوى
ذلك الوجه ، وذياك الهـــــوى

صالح جودت

شاعر العيون الزرق والشعر الذهب

(١٩١٢-١٩٧٦)

أيها الملاح قد أغرقتني
في محيط الحب قذفا واندفاعا
كيف أنقذت الورى من لجة
ضيعت مني ضحى العمر ضياعا

" صالح جودت "

" بيـن الأدب والسياسـة "

كان ذلك على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط : فى تركيـا ....

كان مؤسسى الأسرة وعميدها سياسيـا محنكا وأديبا لامعـا يجيد الكتابـة بأكثر من لغـة ...

كان هذا الرجـل هو جودت باشـا ...

وكما يقـول عنه معجم " المنجـد " : (١)

" جودت باشا (١٨١٢ - ١٨٩٤) ولد فى لوفجـة من ولاية الطونة وزيـر عثمانـى ألف بالعربيـة والتركيـة والفارسيـة .

" من كتبه " تاريخ جودت " بترجمـه عن التركيـة عبدالقادر الدنا وفيـه احوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الانكشاريـة " .

وقد تزوج جودت باشـا وانجب فيمن أنجب من أولاد اسماعيل جودت وشب اسماعيـل وروحـه تشتعل وطنيـة وغيرة على الوطن والديـن .

xxxxxxxxxxxx

كان اسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبـا لامعـا ووطنيـا ثائرا وشاعرا رقيقـا ينظم الشعر بالتركيـة والفارسية وقـد لعب دورا بارزا وهامـا فى مقاومـة السلطات الحاكمـة فى بلادهفاضطهد ولاحقتـه السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريـد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار فى كل مكان وزمان ، فشد رحالـه اليها واستقر بها واتخذها وطنا له وبرغم أرومتـه التركية الا أنه أحـب مصر وشارك فى أحداثها وانفعـل بقضيتها وتحمس لها....

وعمـل بالمحامـاة .....

---

(١) المنجـد / الأعـلام / بيـروت / ص : ١٤٤ .

والظاهرة الملفتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركى كالهمشرى وشوقى وصالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالها ، وفى تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركية .

وعندما بشبت الثورة العرابية (١٨٨٠ - ١٨٨٢) انفعل بها وشارك فى أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا فى مقاومة الخديوى والانجليز ، فقد ساءه ماوجده من الأحوال السيئة التى تثير الأسى ، والمظالم التى ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الثوار الأحرار وسيق اسماعيل جودت الى المحاكمة ثم قضى عليه بالنفى الى " البحر الأبيض " بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١).

ولكن السلطات آثرت ابعاده الى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس فى السودان على الانجليز والخديوى ، فنفى الى اسطنبول .

وفى اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢...

وفى حوالى عام ١٨٩٦ عاد اسماعيل جودت الى مصر مرة آخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذى لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب فى سبيل الوطن والحرية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره ....

واستأنف اسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماه ....

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أدبية أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل مقامات الحريرى والأغانى والأمالى وغيرها من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبى وأبى تمام والبحترى وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكاد لايكاد يستقر فى بلد واحد بحكم ظروف عمله . وفى عام ١٩٠٨ تزوج كمال الدين من سيدة من آسرة علم

---

(١) عبدالرحمن الرافعى / الثورة العرابية / ص : ٤٩١ .

كان والدها الشيخ عبد الرحمن من أصل تركى ووالدتها من أصل مغربى كانت سيدة مؤمنة تقية صافية القلب هادئة الطبع ....

وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتب شعرا رقيقا فى الحب والغزل وقد نظم "جغرافية مصر " بالزجل وصدر فى كتاب .

ومن شعره قصيدة يصف فيها رقصة باليه رائعة أثارت اعجابه ، فرسم هذه اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن تلك الرقصة عام ١٩١٢م بعنوان " وصف بال " يقول فيها :

راقصات عاريات	فى ضياء الكهرباء
ناظرات قاتلات	لنفوس الأبرياء
ماشيات بقدود	كغصون فى هواء
قادمات كنسيم	طائرات فى الفضاء
راجعات كنجوم	تائهات فى الجواء
مائلات دون سكر	لأمام ووراء
سالبات لاعبات	بعقول العقلاء
ليس هذا الخلق شأن	الخلق من طين ودماء
انما هذا مصاغ	من لجين وصفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الضياع والثروة ، ولكنه كان شاعرا أراد أن يمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته ......

" طفولة شاعر "

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس زراعي .....

وفي مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا ....

وكان والده يعاني سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه " عبد الرحمن " تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفي اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة ، وأراد الله أن يمد في عمره ....

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذي اسمه عبد الرحمن والذي يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا في دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح جودت (1) وكان للأب ما أراد ...

وصدر اعلام شرعي بتغيير الاسم الى صالح جودت ثم مالبثت الأسرة أن انتقلت الى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ...

xxxxxxxxxx

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة خضراء جميلة .....

وفي طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر في الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ويقرأ عليهم من الشوقيات ، اذ كان مفتونا بشوقي ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

---

(1) من مؤلفاته : آمة الملايو (١٩٠٨) ومصر في القرن التاسع عشر (١٩٣١) ، وترجم الكثير من القصص منها " كيد الغانيات" و " جهاد القلوب " تأليف لوين آينو ومسرحية " الايمان " تأليف أوجين بريو (١٩١٤) وترجمات جوستاف لوبون توفى عام (١٩٦٨) عن الثمانين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يسمعه كل ليلة ، فشرب موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظافره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ، وأعجبته الصنعة فى هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعا وهو فى الثانية عشرة ، وخلبته موسيقاها حتى أصبح وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول مايكون موسيقا وأن على من ينظم الشعر اذا لم يحسن الموسيقا أن يهجر الشعر الى النثر

وكان الابن تختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ، كان الأب يعجبه شعر حفنى ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بالأدب الحديث وروادة الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء ، شوقى ، وبدأ شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقة وهذا هو السر فى احتواء شعره على قدر كبير من الموسيقية والرقة والعذوبة نتيجة قراءاته لشوقى فى سن مبكرة .

وعندما لقى كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيب ميراث ..

xxxxxxxxxxxx

اختلف صالح جودت الى مدرسة انجليزية فى مصر الجديدة وكان فى تلك الحقبة مرحا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة من طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياة ويشعل مجموعة من الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة انجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة ... كانت وقتئذ فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من عمره ...

ورغم فارق السن الكبير الا أن الشاعر العاشق الصغير الفتون . هام بها حبا ونظم فى حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلى الأفلاطونى يبثها حبه ونجواه وعواطفه الشبوبة .

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعته وظلت تلك الحسناء المثقفة هى المثال الحى للجمال فى رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة الفرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركى بايزيد أفندى لشقاوته ....

xxxxxxxxxxxxxx

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ....

وعندما وقف لأول مرة فى طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى ناظر المدرسة اسمه وقال : ان هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية فى تاريخ هذه الشهادة ...

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة هذا أنه تعثر بالسنة الأولى لمدة ثلاث سنوات متصلة ....

كان شاعرنا الصغير العاشق يقضى جل وقته فى مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج وكانت كثيرة ....

وفى هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال شرب النغم وتعرف على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولايعود الى البيت الا قبل الثانية صباحا ...

أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا ...

واندفع فى هذا التيار الساحر بلا وعى ...

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق فى هذا التيار الساحر الجارف ...

قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيا بالمنصورة أن ينتزعه من جو القاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح .

واتجه صالح جودت الى المنصورة عام ١٩٢٧ الى المدرسة الثانوية ليلتحق بها..

ونجحت المحاولة ...

ومرة أخرى أصبح دائما ترتيبه الأول على فرقته كل سنة ....

" فى المنصـــــــورة "

وفى مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية فى نظم الشعر وبالرغم من بساطة ماكان ينظمه الا أنه كان يعد ارهاصات لما سيجئ بعد من مولد شاعر كبير..

وكان ينظم فى المدرسة قصائده ويقرؤها على التلاميذ والأساتـــذة ...

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبى الى المنصورة ، واستضافته المدرســـة هـــو وأعضاء فرقتـــه ، وقال صالح فى تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان :

هذب نفـــوس شبيبـــــــة ليلخلـــق أحـــوج ماتكـــــون

فالخلق ان بلغ الكمـــــال بأمة ، هـــدم السجـــــــون

ويبدو أن القصيـــدة قد أعجبت المحتفى به ، فأخذها منـــه ونشرها فـــــى احـــدى مجـــلات القاهـــرة الكبيـــــرة ....

وفى العام نفســـه ، قرأ فى مجلة " الصبـــاح " وكانت يومئذ من أشهـــر المجلات الفنيـــة والأدبيـــة مقالا يتهجـــم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكان نشأ على حب فنهـــا ، فامتشـــق قلمـــه ، وكتب مقالا طويـــلا دافـــع فيـــه عـــن أم كلثـــوم وبعث به الى المجلـــة ، التى نشرته تحت عنوان " بقلم الأستـــــــاذ الكبيـــــر صالح جودت " ...

ومنذ يومئذ ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة ، سواء بالشعر أو النثـــــر ، ومن هنا بدأ اتصالـــه بالصحافـــة الفنيـــة والأدبية التى برع فيها وأجـــاد ...

xxxxxxxxxxxxx

وفى المنصورة فى الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلـــة يغنـــى فيها شاعـــر الأطـــلال ، ناجى ، وشاعر الجندول على محمود طـــه ، وشاعـــر الأعـــراف الهمشــــرى ....

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرون فى شتى ألـــوان الأدب والفـــن والجمـــال ....

وكان الأربعة يحلوا لهم الالتقاء عند "صخرة الملتقى" ويستوحون منها أجمل الشعر وأعذبه ...

ومن المنصورة بدأ صالح جودت يتصل بصحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته الشعرية فى تلك الحقبة ، لقد بدأ يتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما ابداع .

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم .

وفى المنصورة بدأ الحب يتسلل الى قلبه ... فأحب ملكة جمال المنصورة حينئذ واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته " تسورى " التى يقول فيها :

قلت لها تصورى ... يافتنة المصور
تصورى حكايتى ... فى حبك المحير
حكاية كأنها ... خرافة المعمر

وصالح جودت هو ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذى أوحى اليه بأعذب أشعاره...

وأنجز شاعرنا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه الشعراء الاربعة الى القاهرة فى عام واحد ، هو عام ١٩٣١م كل الى وظيفته ودراسته .

ودع صالح جودت المنصورة وفى قلبه حسرات على فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال .

ودعها بقلب مشبوب يتحسر على لياليها الشاعرية الساحرة :

آه مما بى ، وهل تدرين مابى ... يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى ... ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال فى مدينة الحسن والجمال حينما كان ينتهب بعينيه

شوارد الحسن على شطآنها الخضر :

مادعما لحني ولاغنى نشيدي
غير غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسول الدعاب
آه مما بى وهل تدرين مابي
يوم ودعتك ودعت شبابي

ثم يودع محبوبته فيها ، فيقول :

لى حبيب فيه أفديه بعمري
سمرة النيل على خديه تجري
هو الهامي وأحلامي وشعري
ونعيمي بين عينيه وسكري
كان عند الليلة الظلماء بدري
وله نجواي فى دنيا اغترابي
ياترى يذكرني بعد الغياب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته ،المدينة التى زاق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن والجمال .

" مع جماعة أبوللـــو

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م ، وفى هذه الفتـرة قامت جمعية " أبوللو " عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقى والدكتـور أحمد زكى أبو شادى.

وينضم الركب القادم من المنصـورة الى تلك الجمعيـة وهكذا التفوا حـول رسالـة أبوللـو .

ووجد صالح جودت نفسـه وهو دون العشريـن ، عضوا بمجلس ادارة الجمعيـة ، ممثلا للشباب ، يجالس كبار الشعراء والأدبـاء ...

ثم نشبت المعركـة بين مدرستى شوقى والعقـاد ، فيهب صالح جودت مدافعـا عن شوقـى ، مهاجما خصومه بعنف وقـوة .

وتشهـد صفحات أبوللـو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحـب والغزل والحـيرة والقلـق ...

فى عدد أول ابريل عام ١٩٣٣م بجد له قصيدة غزليـة رقيقـة لم يتجـاوز العشرين بعد بعنوان " الشـارد " يقول فيهـا : (١)

أيها الشارد من وكـر الهـوى
قد عفا من بعدك القلـب وذاب
كنت لا أشهـد الا نضـرة
فاذا النضـرة قد أمست يبـاب
كنـت لا أسمـع الا بلبـلا
فاذا الشادى علـى الأيك غـراب
كنـت لا أشـرب الا خمـرة

---

(١) أبوللو / ابريـل ١٩٣٣م / ص : ٨٨٢ .

فى كئوس قد ملئن اليـــوم صـــــاب
كنـــت لـــى ياتاركى فى لوعتـــــى
أنـــت والألحـان والكأس وطـــــلاب

xxxxxxxxxx

لست أنســى فى حياتــى ليلـــــة
أنصفتنـــا بعد ماطال الغيـــــاب
قربـت منـا فما نحـو فـــــم
وتقضـت بين لــوم وعتـــــاب
وسكــون الليــل أذكى شجونـــا
وظــلام الليــل مسدول النقـــاب

xxxxxxxxxxx

لــك شعــر ذهبــى ساحـــر
ضاع فى موجاتـــه قلبـــى وذاب
لــك خـــدان تبـــدت فيهمـــا
حمـــرة تنســاب من قلبـــى المذاب
والعيـون الـــزرق مـــن فوقهمـــا
رائحـات غاديـــات كالسحـــاب
حيـــن قالـوا ان آلام الفتـــى
ليـس يفنيهـا من الدهـر الذهـــاب
خفـت هذا العيـش أن يمضى بنـــا
أو بعيـد الشيب أهوال الشبــاب
مشفقـا بالصـب مـــن آلامـــه
أن يضيـع العمر فى هذا العــذاب

ومن نفس الملهمة صاحبة " العيون الزرق والشعر الذهب " وكانت ممثلـــة جهيرة أحبهـا أكثر من شاعر وأديب منهـم ناجى وأحمـد عبد المجيد وأحمد راسـم

استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنـوان " العيون الزرق " نشـرت فـى أبوللـو يقـول فيهـا : (١)

عين من يهواك تشتاق الكـرى
قلب من يهـواك يشدو بالحنيـن
هل رأيت الدمـع من عينـى جـرى
هل سمعـت القلـب موصول الانيـن

xxxxxxxxxxx

يا شقيق الزهـر والطيـر... امـا
سالـت نفسـك عنى أخويـك
أنـا فى روضـك أرويـه بمـا
فاض من دمعـى مدى العمـر عليـك

xxxxxxxxxxx

أزرع الآمـال فى روض هـواك
وأرويهـا بدمعـى ودمـى
فاذا ماعدت ألفيـت نـواك
فى ثنايـا الروض يبنـى مأتمـى ؟

xxxxxxxxxxx

أيها الهاجـر من غيـر سبـب
لو نجـانـى أنا راض بجفـاك
العيـون الزرق والشعـر الـذهب
الجانـى ياحبيبـى لهـواك

وفى تلك الحقبـة كان يعانـى - كشاب فى مطالع العمـر - من الحيـرة ، والقلـق والشك فى كل شيء وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات فى عدة قصائد منهـا

---

(١) أبوللـو / سبتمبـر ١٩٣٣م / ص : ٦٠ .

قصيدة " على الرمس " التى يقول فى مطلعها :

قمت فى الليل أناجى مضجعك
ليتنى فى الرمس أمسيت معك

وقصيدة " أكذوبة الموت " التى يقول فى مطلعها : (١)

قد حرت فى الموت وفى أمره
وما زواه الله من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد فى نفسه فى مطولة بعنوان " الراهب المتمرد "(٢) استخدم فيها الشاعر الأسطورة Math والرمز الفنى فى ابراز فكرته وهى عبارة عن حوار فلسفى طويل فى دير بين راهب متمرد شاك فى جوف الفلاة وبين كاهن الدير الذى يناقشه ويرد عليه ويحاول اقناعه .

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شئ باعثا على حملة ضارية من الشيوخ ، فهجر شاعرنا الشعر حينا ، ولكنه سرعان ماعاد يغرد مرة أخرى ، عاد اليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته ، وتعمق فيما يقرأ ، ولاسيما فى أدب التصوف والمتصوفين ، فعاد الى الله قوى الايمان ، مفرطا فى الحب لذاته ، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبدائع الجمال للتقرب من الله ...

وفى عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته " رمس الهوى " فى فبراير (ص ٤٩٣) وفى نفس العدد قصيدة عاصفة (ص ٥٠٣) وفى عدد أول ابريل قصيدة " القصيدة الأخيرة " (ص ٦٨٥).

وكتب الدكتور ابراهيم ناجى يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التى تعرض لها بسبب جراته (٣) .

---

(١) أبوللو / ص: ١٢٥ / أكتوبر ١٩٣٣م.
(٢) أبوللو /ديسمبر١٩٣٣م / ص: ٢٩٣ - ٣٠٣ .
(٣) أبوللو /ديسمبر١٩٣٣م / ص: ٣٠٣ .

" صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجزئيين ، الذين لايبالون في سبيل الحرية الفكرية بأي حقبة ولاحائل ، وهو لذلك ماض الى الأمام دائما ، مفطرد التقدم .

" وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يضمنا له سبقا وتجلية في الميدان الذي اختاره لمواهبه الكبيرة " .

xxxxxxxxxxx

ديوان صالح جودت :

صدر أول ديوان لشاعرنا في بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره بعنوان " ديوان صالح جودت " .

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحماس ...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامة وحلاوة الجرس والطلاوة ويحتوى على قصائد مضمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب في عنفوان تفتحه ومايدور في النفس من هواجس وتساؤلات كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الابداع والعذوبة .

وقد كتب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحي الابداع والتجديد في شعره وأصالته المتميزة ، فقال عنه : (١)

" ان صالح جودت بفطرته شاعر فنائي حساس ، حلو العبارة ، فياض العاطفة ، جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ولكنه الى جانب ذلك الشاعر الوطني والشاعر الفلسفي حينما تثيره ظروف خاصة فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هذا الجيل " .

---

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبو شادي .

كان هذا رأى الدكتور ابو شادى فى شاعرية صالح جودت وقد تبين منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذى جمع فيما بعد بين العاطفية والوطنية فى مزاج جميل خاص .

وقد أهدى شاعرنا الديوان الى ملهمته الأولى صاحبة " العيون الزرق والشعر الذهب " .

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له آثره المتميز فى تطور شعرنا العربى المعاصر .

" ملامح شخصيته "

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الصدق والصراحة والوضوح . هذه الصفات كانت هى السبب المباشر فى كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية ...

وقد صور مشاعره وعواطفه وأحاسيسه فى شعره بصورة نابضة بالصدق والصراحة وأبرز هواجس نفسه ومايعتمل فيها من صور الهوى والهدى بصورة صريحة .

وقد سافر صالح جودت الى كثير من بلدان العالم ، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس وكان من نتاج ذلك كتابه فى أدب الرحلات " قلم طائر " .

وهو عاشق مفتون يهيم بالحسن وألوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان .

ونفسيته مشرقة واضحة تلمس ملامحها فى أشعاره التى رسم فيها صورة لنفسه وأفكاره ومشاعره .

xxxxxxxxxx

قرأ صالح جودت فى صباه ويفاعته الكثير من أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل الأغانى ومقامات الحريرى ودواوين المتنبى والبحترى والشريف الرضى وفى الحديث والشوقيات التى وحفظها من ظهر قلب .

وفى فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) استوعب مع رفاقه شعر شيللى وكيتس ووردز ورث وبايرون وفتن بشعرهم وأغرم فى بداية حياته الأدبية بشعر الطبيعة فى الأدب الانجليزى والأدب الفرنسى واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسى واستوعبه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره .

فهو شاعر رومانسى حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بصدق وحرارة .

xxxxxxxxxxx

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م ثم ظفر بالماجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دفعته وكانت رسالته بعنوان " الدولة المثالية فى الاسلام " .

وقد عمل فترة فى الديوان الاقتصادى ببنك مصر ثم مالبث أن تفرغ للأدب والشعر والصحافة الأدبية والفنية والسياسية .

" شاعر الحب والجمال "

لاشك أن شعر صالح جودت العاطفى نسيج وحده فى شعرنا العربى المعاصر، فهو منفرد بأصالة خاصة وسمات معينة وقد وصل الى ذروة الكمال الفنى فى السنوات الأخيرة ...

وقد صور صالح جودت مشاعره وأحلامه وعواطفه فى شعره أعمق تصوير وأصدقه ورسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق ، فبزغ شعره رقيقا شجيا ...

وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر فى طرقها وأبدع صورا جديدة وفريدة هى ثروة فى قاموس الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر ، فاتسم شعره العاطفى بالبساطة والغنائية والصدق .

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفى Emotional Expression فى شعره وأضاف لشعرنا العربى الكثير من المعانى والتعبيرات الجديدة المبتكرة ...

من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة " فى جزيرة معك ، التى تبين رومانسية شاعرنا الحالمة وفيها يود لو غاب هو وملهمته بعيدا عن الناس حيث النجوى والوصال بين الطبيعة الساخرة وفى جزيرة نائية ، فيناجيها قائلا[1]:

ان تسلنى ياحبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن أقضى عمرى
فى فراغ أنت فيه
فمتى تأمرنى أن أتبعك
وأغنى فى جزيرة معك

ثم يصور لنا جوا عاطفيا مشحونا بالظلال والشاعرية ، صور

---

(١) صالح جودت / حكاية قلب / ص : ٨٤ .

لنا فيه صورة شاعرية جميلة للقاء العاشقين وخفقات قلبين وهمسات روحين يتناجيان :

أسأل الليل اذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدرى أنا
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
أجتنى من شفتيك
رشفة منك اليك
وأسوى فوق صدرى مضجعك
وأغنى فى جزيرة ... معك

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة فى صور شعرية متتابعة متناسقة :

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعونى هنا
أى شىء لك فى تلك الدنا ؟
لاتجبها واجب قلبى أنا
واسأل الأقدار بى أن تجمعك
لأغنى فى جزيرة معك

ومن أجمل قصائده العاطفية قصيدة " الملاك الأبيض " التى يقول فيها :

ياملاكى نشر الليل غلالات الظلام

فافتحي قلبك للأحلام والنجوى وناموسي
واتركيني في اشتياقي واحترامي بإغرامي
جئت أستشفي من الحب فضاعفت سقامي

ثم يستثير قلبها لتعفو عنه وتعود إليه :

ياملاكي سامحي طيشي ورقي لجنوني
واغفري الماضي ومايوحيه من سود الظنون
وارحمي ضعفي إذا ماشئت ألا ترحميني
هل ترين اليوم الاك خيالا في عيوني

xxxxxxxxxxx

وهذه قصيدة من شعره الغزلي الرقيق ، وهي تعبير عن وجدان شاعرنا ، وتصوير لأثر الحب في نفسه وفيها تجديد في الروح والمضمون وهي تعبير عن تجربة عاطفية مع ملهمة يقول فيها : (١)

والضحى والغدائر الذهب
والعيون الشهباء كالسحب
ونجديك كأس العنب
وبنهديك حلو اللعب
قسم صنته من الكذب

xxxxxxxxxxxx

ذكريات اللقاء لم تنم
يقظات في مهجتي ودمي
غردات في نظرتي وفمي
فبحقي وحق ذا القسم

---

(١) الرسالة / ميعاد ليلة الأحد / ١٩٤٠ .

هل تعيدين ليلة الهرم ؟

ثم يصف ليلة الهرم التى سعد فيها مع محبوبته فى ظلال سيدنا أبو الهول :

ليلة كابتسامة القدر
كنت فيها أحلى من القمر
جمعتنا بجانب حذر
من أبى الهول ساخر النظر
ليت لى مثل قلبه الحجرى

xxxxxxxxxx

قد رآنا بطرف مقلته
تنقش العهد فوق رملته
بالجهل الصبا وضلته
وغرور الهوى وغفلته

ثم يناديها ويناشدها الرحمة به وبقلبه المفتون :

علمى الرفق قلبك القاسى
ذكرى بى فؤادك الناسى
ملأ الحب بالغنى كأسى
فارفقى ساعة باحساسى
أنا ماعدت غير أنفاسى

" شعر الغـــزل الحسـى "

صاغ صالح جـودت كثيرا من عواطفـه وأحاسيسه بصدق وصراحة وبجانب ما أبدعـه من شعر الحب والغزل العفيف نجد فى الجانب الآخر صورا شعريـة جزئية أجاد فيهـا التعبير وعكس فيها التجربة الحسيـة Sessuous expreience فجـاءت أكثر صـدقا وحـرارة .

ولكنـه رسم تلك الصور بـلا ابتذال أو اسـفاف ، فجاءت فى أسلوب جميـل شفـاف .

ان شاعرنا الرومانسـى لجأ الى المرأة واتخذها ملاذا ومهربا من قسوة الواقع وهجير الحياة بجمالها وسحرها علـه ينسى أحزان روحـه مثلما فعل الشاعر المدلل: اللورد بايرون .

فشاعرنا دائما كان يشكو الظمأ الى حنان المرأة وحبها ، ويود لو أصبـح ملاحا فى بحـار الحب والجمال ، ليرتوى بعد ظمـأ ...

ان قصيدة " ظمآن " التى كتبهـا وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمـره تفصح عن نفسية محبة عاشقة للحسـن والجمال يقول فيهـا : (١)

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهـرك
خذينى فى ذراعيك وضمينى الى صـدرك
دعينى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغـرك
هبى لى ليلة أثمل ياليلاى من خمـرك
تقولين : جمعت السحر ياظمآن فى شعرك
وأنت قصيدتى الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليلى رأيت القلب لايسأم من ذكـرك

---

(١) أبوللـو / ينايـر ١٩٣٤م / ص : ٣٩٨ .

خيال أنت فى فكرى فهلا جلت فى فكرك
كأنى راهب الفتنة يستشهد فى ديرك
وقد يشرك بالله ، وبالفتنة لايشرك
على أنى عرفت الله لكن حرت فى أمرك
أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهرك

xxxxxxxxxxx

ومن قصائد الغزل الحسى قصيدة " ليلة الوداع " وهى تفصح عن مدى ولهه لجمال المرأة وفتنتها ، يقول فيها : (١)

أسرعى الآن أسرعى
فات وقت التمنع
لم تعد غير ليلة
من غرام مودع
كنت بشرى وجنتى
ومراحى ومرتعى
كم على صدرك الحنون
توسدت مضجعى
وعلى ثغرك الحبيب
تخيرت موضعى
وحوالى فرحتى
وحواليك أذرعى
أن تكونى بعيدة
عن عيونى وأدمعى
فالهوى ملء غرفتى
والجوى ملء أضلعى

---

(١) ليالى الهرم / ١٩٥٧م ٠

ويصور فلسفته في الغزل ، وأبيقوريته المنتشية المبتهجة بالحياة ، فيرد على منتقديه بقوله : (١)

ومادروا أن الهوى رحلة
في زورق الله الى الشاطئ،
الى جنان الله في أرضه
الى جناها العاطر الدافئ،
الى صلاة في محاريبها
وخلوة في ديرها الهادئ،
الى صيام عن جمال الدنا
الاك في عش الهوى الهانئ،

xxxxxxxxxxx

ان شعر الغزل الحسي عند صالح جودت شعر صادق أصيل ، لأنه كان وليد تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الأفكار بالعاطفة ، وخرجت الى العاطفة الانسانية الرحبة وقد صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة وصدق مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان في أدبنا العربي المعاصر.

---

(١) حكاية قلب / ص: ١٢ .

" شاعر النيل والنخيل "

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطالع شبابه المبكر...

وقد جمع فى شعره الحب والوطنية فى مزاج جميل فهو يعد "شاعر الحب والوطنية " .

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الذاتى العاطفى والاتجاه الوطنى القومى .

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية والقومية فى تعبير فنى عميق لايعتمد على صخب الألفاظ وضجيج الكلمات بل يعبر فى موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات فى شعر مهموس رقيق .

ولشاعرنا مواقف مشرفة فى مواجهة الفساد والطغيان والانجليز فى فترة ماقبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

نشر قصيدة بعنوان " أخرجوا من بلادنا " قبيل ثورة ١٩٥٢م وهى صرخة قوية فى وجه الاستعمار ليرحل عن مصر والا سقيناه كئوس الصاب والعلقم والهلاك :

أخرجوا من قناتنا فهى منا والينا وبالجلاء تحل

ان رضيتم به خرجتم كراما أو أبيتم فثم روع وويل

أخرجوا من بلادنا واتركونا واحملوا جندكم من النيل واجلوا

xxxxxxxxxxxxxx

وفى شعره القومى حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحسن والجمال فى ربوعها ، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بفتنتها وسحرها الأخاذ ...

وفى قصيدة " ليالى الهرم " تتجلى خصائص " شاعر الحب والوطنية " بأحلى صورها وأدقها ...

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين حضارة الماضى التليد وعبقها وعطورها ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل مافيها من حضارة وتقدم انه هنا يرسم صورة حية Living image لنجوى عاشق رومانسى لمحبوبته فى ظلال الهرم ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة وعظمتها الغابرة : (١)

ياحبيبى نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكا يختال تيها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
xxxxx
ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاتم الأسرار من عهد منا
هيأ الأحلام والنجوى لنا
xxxxx
عبقرى الصمت منذ القدم
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحث محبوبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة :

ياحبيبى هذه الربوة لغز العالمين
رقية من سحر فرعون لصيد الفاتحين
أين قمبيز وأنطونيو وركب الواهمين؟
أين نابليون ؟ هل ردته مرفوع الجبين؟
xxxxx
هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم

---

(١) صالح جودت / ديوان ليالى الهرم / ١٩٥٧م ٠

زالـــت الأعـــــلام الا علمــــــى

فتمتــع بليالـــى الهـــــرم

ثم يحدث محبوبتــه عن سحـر مصر وجمالهـا فى صورة شعريــة جميلة نلمـس فيهـا نظـرة العاشـق المفتون بمواطـن الفتنة والجمال فى وطنه ومرابع السحـر والخيال فى ليالـى القاهـرة :

ياحبيبى هذه أمجاد مصر الساحـــرة

كل روح خطـرت فوق رباها شاعـــرة

قـف على الربوة فى ضوء النجوم الساهرة

وتأمل فتنة النيل وسحـر القاهـــرة

xxxxxx

وسنـى البـدر على الوادى يميـــل

والهـا يلعـب فى شعـر النخيـــل

راقصـا فى مسرح الموج الجميـــل

بشعـــاع شاعـرى ملهـــــم

فتمتـــع بليالـــى الهـــــرم

ان قصيدة "ليالـى الهرم" تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانيـة والروحية أصدق تمثيل وأعمقه وهى تمثل اتجاهه الفنى فى الجمع بين الحـب والوطنيـة والغزل فى عبادة الحسن وعبادة الوطن وهذا مادعانى الى تسميـة " شاعر ليالـى الهـرم " و " شاعر النيل والنخيـل " •

xxxxxxxxxxx

وقد صدرت لشاعرنـا ستة دواوين شعرية تمثل التطور الورحى والوجدانـى والفنى لشاعرنا أروع تمثيل وأصدقــه •

فى صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنمـا ، وقد سيطرت عليه فى فورة الشبـاب روح التساؤل والشك والحيرة والتمرد ثـم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقـع والقيود والأغـلال التى تحد من حركتــه •

ثم انطلق شاعرنـا انطلاقة خلاقـة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفاتـن

الحياة أجمل مافيها ويغنى لها أجمل أغاريده وأعذبها وفتح قلبه للحياة والنور والحب ...

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا سواء كان الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا وقد عكس فى هذا الشعر أشواق روحه وترانيم وجدانه .

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره باسم " ديوان صالح جودت " ثم صدر له ديوان " ليالى الهرم " عام ١٩٥٧م وديوان " أغنيات على النيل " عام ١٩٦٢م وديوان " حكاية قلب " عام ١٩٦٥م ، ثم ديوان " ألحان مصرية " عام ١٩٦٨م الذى يجمع بين الشعر العاطفى والشعر الوطنى . و " الله والنيل والحب " عام ١٩٧٥م.

تلك هى دواوين شاعرنا التى تمثل تطوره الروحى والفنى أصدق تمثيل وأعمقه منذ عهد أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤) .

ان صالح جودت فنان أصيل فى اخلاصه وعذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفنى فى شعره والتجديد فى شعر الحب والغزل وطرافة صوره الشعرية .

لقد جدد فى الشعر شكلا مضمرنا فى الألفاظ والمعانى والأخيلة والصور .

لقد أبدع لنا أجمل أغاريده وأعذبها فى الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية مبدعة رسمتها ريشة فنان صادق أصيل يغنى للحب والجمال والوطنية .

" شاعر غنائى حسى لعـــوب "

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جــودت : (١)

" صالح جودت شاعر غنائى حسى لعـــوب .

ولعلنا نستطيع أن نعين هذه الخصائص بسهولـة فى الجزء الخاص بالعاطفة فــى ديوانه " ليالى الهرم " الذى يمثل مرحلة نضجة ، فهو يضم ماقال من شعر منـــذ سنـــة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م ، بينما ديوانه الأول لايضم الا ماقال من شعر قبل العشريـن من عمره ، وان يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعـة عنيفـة من النقد الذى قـام به المحافظون من رجال الأزهر الشريف بسبب قصيدة الراهب المتمرد والذى صور فيهـا راهبا يتمرد على الدين جريا وراء لذات الحس ، وهذا التيار أصيل فى طبيعــة صالح جودت الذى لايحجم فى ديوانه ليالى الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم " دين جديـــد " هو دين الحب المعربد وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبى ربيعة فـــى الحجاز وحول مناسكه .

" وصالح جودت يحدثنا فى استخفاف شعرى كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبــة الى الكنيســة حيث " نحاها ركنا من الدير هادئا " ليقبلهـا فيـــه .

وغانيـة من أرز لبنـان غضــة
عليبيـة الأهواء ليس تليــن

"ولقد يقول البعض ان فى هذا الشعرمجونا وعبثا بالمقدسات ، ولكننا فى الحق لانراه يتجاوز المجون الكثير من قصائد الغزل التى يلقى بها الشعر العربى القديم منذ امـــرىء القيـــس صاحـب :

اذا مابكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لـم يحـــول

حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يترصد الحسان فى مناسك الحج ، ولايتورع عــن أن يشبب تشبيبــا سافرا بشريفـــات المسلمـــات .

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى / ص : ٥٢ :الحلقـــــــة الثالثـــة .

" ونحن لانحس بعد ذلك فى مجون صالح جودت فخـــورا :

" بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليها ماوصف به نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان " ليالى الهرم " بقولـــه : وأحس أن الروح المصرية هى أخص خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنـه " أى صالح جودت نفســه .

" وان تكن الحسية طاغية على مايسميه صالح جودت فى ديوانه شعر العاطفـة ، وهذه الحسية قد تصيب شعـره بالسطحية أحيانا ولكنها لاتفقده قط تلك الأناقـة الأصيلة فى شعر صالح ، وفى شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحـة ودعابتـه المجنحـة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورا ولا تهالكا حتى عندما يوغـل فى تلك الحسية مثل قصيدته عن رقصة الساميـــا :

ودقت نغمة الجاربند ايذانا بما تملـــى
وهل تملـى سوى الرغبة فى ثورتها تغلـــى
حتـى :
كجــــزأين حبيبين قد ارتدا الى الكل

" ثم يقول مندور عن صالح جــودت :

" وأما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية [1]، وما يجـرى فيها من دعابات غزليــة عابثـة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد فـــى " ليالـى الهـرم " مثل قصيدتـه " ما اسمـك " (ص ٤٩) .

ما اسمـــك بيـــن الأسامى   يافتنتـــى ياغرامــــــى
ان قلت أم لم تقولـــــى   فاسمـك أحلـى الأسامـــى

....

انـــى أسميك ليلـــــى   لتبعثـــى فى خيالـــــى
ذكرى شهيـــد غـــرام   كم عذبتــه الليالــــى
حتـى :
ان قلت أم لم تقولـــى   فاسمك أحلى الأسامـــى

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقـــى / ص: ٥٥ .

" حيث يرد على سمعها عدة أسماء مثل : نجوى وسلوى ورضوى وفدوى ونورا ، وفى النهاية يسميها روحى ويبلغ به العبث وشيطنه أهل الحضر من المصريين حده فى القصيدة التى يسميها " تسورى " أى تصورى " بعد ترقيق الصاد كما كانت ترق قبل بين شفتى الفتاة التى كان يغازلها :

وقلت لها تصورى يافتنة المصور

تصورى حكايتى فى حبك المحير

"ومع ذلك فان هذا الشاعر الغنائى الطروب صاحب تسورى لايلبث أن ينقلب الى شاعر انسانى عميق مشج عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه الى مافيها من آلام ومافى تلك الآلام من عمق ، وذلك نحو ماتحس من قصيدة فريدة له هى " نحو الآخرة " التى نظمها على اثر مرض عضال ألقى به فى مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره ، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة " .

" وكم يكون شيقا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها فى ظروف مماثلة وهى قصيدة " المساء " التى نظمها وهو عليل فى مكس الاسكندرية :

داء ألم فخلت فيه شقائى

من صبوتى فتضاعفت برحائى

xxxxxxxxx

ومنذ عام ١٩٧٤م بدأ المرض يثقل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة والحب ، وكان غالبا يضيق بأوامر الأطباء وتعليماتهم ، وسافر الى مستشفيات لندن فى أواخر عام ١٩٧٥م ، وظل يعانى من المرض العضال الذى قواه ، وأرهقه .

ومن أكثر المآسى فى حياته أنه عرف أن نهايته قريبة فى مطالع عام ١٩٧٦ حيث أطلعه الأطباء على حقيقة مرضه وهو فى لندن ، فآثر أن يكون موته على الأرض التى أحبها وعشقها : أرض مصر الخالدة ، ومالبث أن فارق الحياة فى ٢٢ يونية ١٩٧٦م عن عمر يناهز الرابعة والستين وترك زوجته تبكيه أحر البكاء لحلو صفاته وطيب شمائله ....

مختارات

من شعر صالح جودت

١ – فى جزيـــرة ... معـــــك .

٢ – أغنيـــــة حـــــــب .

فى جزيرة ..... معك

ان تسلنى ياحبيبى
اى حلم أشتهيه
فهو أن اقضى عمرى
فى فراغ أنت فيه
فمتى تأمرنى أن أتبعك ؟
وأغنى فى جزيرة معك ؟

xxxxxxxxxx

أسال الليل اذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدرى أنا ؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
اجتنى من شفتيك
رشفة منك اليك
وأسرى فوق صدرى مفجعك
وأغنى ... فى جزيرة معك

xxxxxxxxxx

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح

---

* ديوان حكاية قلب / دار المعارف / ١٩٦٥م

كـل هـذا الحسـن يدعـوك هنـا
أى شىء لـك فى تلـك الدنيـا ؟
لاتحبها واجب قلبى أنـا
واسأل الأقـدار بى أن تجمعـك
لأغنى فى جزيـرة معـك

xxxxxxxxxxx

ياحبيبى ضمنى يوما اذا كنت بقربى
تسمع اللحن الذى تعرفه أوتار قلبى
انه باسمك يشدو .. وعلى حبك ينبى
وبأحلامك يشجى .. وبالهامك يصبى

xxxxxxxxxxx

ضمنـى واسمـع دعائـى
فـى صباحـى ومسائـى
لاتعـذب كبريائـى
ان أحلـى أملـى أن أمتعـك
وأغنـى ... فى جزيـرة معـك

أغنيـــة حـــب

لن أناديك ياحبيب النـداء ... لم لاأدعو من لايلبي دعائــي ؟
كلما هزني للقياك شــوق ... صرخت لهفتي وثار اباشــي

xxxxxxxxxxx

ياعذابا هيهات منه هروبــي ... أفتديه بقلبي المشبـــوب
كل يوم يمـــر دون لقـــاء ... هو في عيبنا نذير الغـــروب
وأنا مهجة تذوب حنانــــا ... فاتق الله في حنان القلـــوب

xxxxxxxxxxx

ياحبيبي ، ولاتزال حبيبــي ... رغم خوفي ، والحب رهن المغيب
آه لما دعا الهوى فالتقينا ... بعيون أشواقها من لهيـــب

xxxxxxxxxxx

أسكرتني عيناك نجوى وهمسا ... أسكرتني ، وماتذوقت كأســـا
بحديث يحرك القلب شجـــوا ... ولحاظ تحول الليـــل شمســـا
وحنان معطــر بالأمانـــي ... كيف أنسى عبيرة ، كيف أنسى ؟

xxxxxxxxxxx

كيف أنسى جماله اذ دعاني ... ويداه علـــى حانيتـــــان
وعلى راحتيه باقـــة ورد ... تحمل الشوق والرضا والأمانـي

xxxxxxxxxxx

أي شيء يصبو اليه خيالــي ... أنت حققت أجمـل الآمـــال
أنا من فرحتي بقربك أخشـي ... نظرة الغدر في عيون الليالـي
لاتقل لي بعد اللقاء وداعا ... بل سلامـا الى اللقاء التالـي

xxxxxxxxxxx

كم رويت الهوى بدمعة فرحي ... كيف أرويه بعد هذا بجرحـــي ؟

---

* مجلة العربي / نوفمبـــر / ١٩٦٩م / ص : ١٢٢ .

بعد حلم الهناء فى كل ليـل   وجميل الضياء فى كل صبـاح

xxxxxxxxxxx

الهوى فاتنى على شاطئيـه   آه من ظالم أحن اليـه

وأدارى عواطفى عنه حتـى   لا أذل الدموع بين يديـه

رب ليل بكيت منه فلمـا   فاتنى ظالمى مابكيت عليـه

xxxxxxxxxxx

ياحبيبى وأنت فرحة عمـرى

ومنى خاطرى ، وليلة قـدرى

ان مضى حبنا ، فقد ضاع شـىء

منك ، أما أنا ، فقد ضاع عمرى

علي محمود طه

شاعر الجندول

(١٩٠١-١٩٤٩)

أيها الهاجر عز الملتقــــى
وأذبت القلب صدا وامتناعـــا
أدرك التائه فى بحر الهــوى
قبل أن يقتله الموج صراعـــا
وارع فى الدنيا طريدا شاردا
عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعـــا

(على محمود طــــه)

" شاعر من المنصـــــورة "

فى عام ١٨٤٠ تقريبا نزحت أسرة من بطون الجزيرة العربية الى مصر بغايـــــة الاقامة فيها . ونزلت الأسرة ببلدة ديسط التى تقع على فرع دمياط بين المنصـــورة وشربين وفيها أقامت فترة طويلة ثم انتقلت الأسرة من ديسط الى طلخا حيث ولــــــد محمود طه والد شاعرنا ، ثم انتقلت الأسرة بعد ذلك الى المنصورة فطاب عيشهـــــا فيها وقد كان منزل الأسرة بطلخا منتدى العلماء والأدباء والمفكرين يلتقون فيهـــا وتدور أحلى الأسمار والأحاديث فى مختلف فنون الأدب والثقافة .

وقد كانت هذه الأسرة تشتغل بالتجارة (تجارة المانيفاتورة) وكان محمود طـه رجلا عصاميا لماحا طموحا صقل نفسـه بالثقافة والدين ، فقرأ عشرات الكتــــــب الدينية والأدبية ، وكان يتردد على الندوة التى كانت تعقد بمنزل الأسرة حيــــث تدور المناقشات والأسمار فى أمور الدين والدنيــــــا .

وعبرت السنوات وهو يزود نفسه بالعلم ، ويصقلها بالدين وتجتمع لـه مــــن قراءاتــه مكتبــة ضخمـة نفيسـة .

ثم تزوج محمود طه من سيدة فاضلـة هى ابنة " على الهاكـع " أحد كبــــار المانيفاتورة بالمنصورة والذى كان متزوجا من سيدة سورية الأصل تنتمى الى عائلـــة " أبى سريـــة " وأثمرت هذه الزيجة خمسة أولاد وبنتـــان .

كان محمود طه وسيما هادىء الطبع دسـم الأخـلاق .

هـــذا هو محمود طـــه والد شاعرنــــا .

xxxxxxxxxxx

كان ذلك فى ٣ أغسطس عام ١٩٠١م... حين خـــرج على محمود طه الى النـــور فى بيت الأسرة بحارة الشيخ الظاهر المتفرعة من شارع البزار بمدينة المنصـــورة مهد الحب والجمـــال وكان على محمود طه ثالث اخوته السبعـــة .

وشب على من الطوق فألحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وجوده ثـــم

أن ألحقه والده بمدرسة الرشاد الابتدائية فأظهر تفوقا ونبوغا على أقرانه .

وتفتح وجدان الطفل الصغير وعقله على مايسمع ويرى فى الحجرة التى كانت تعقد فيها الندوة الأسبوعية العامرة وأنس هذه الندوة فكان يجلس مصغيا بكل وجدانه لما يدور فيها من مناقشات وأسمار ومساجلات .

وكثيرا ماكان يقضى جانبا من الليل وهو يستمع الى شاعر الربابة فى أحد المقاهى ينشد ملحمة أبى زيد الهلالى وسيف بن ذى يزن وعلى صغر سنه حفظ ملحمة أبى زيد وكان كثيرا ماينشدها لأترابه فيفتتنون لقدرته على انشادها بيسر وسلاسة .

وقد ورث على عن أبويه كثيرا من خلالهما ....

ورث عن أبيه حب العلم والمعرفة والدأب على القراءة والذاكرة القوية ، وقوة البأس وكان أقرب أشقائه الى والده . وورث عن أمه انسانيتها وعزيمتها القوية ورقة شمائلها ...

وهكذا ولد بين عطور الفن والأدب والعلم والدين ...

xxxxxxxxxxx

تفتح خياله على ضفاف المنصورة الفيحاء ، وعلى النيل والموج والشاطىء ، وكانت ملاعبه بين تلك المروج الفيح فالتصقت كل هذه الصور والمشاهد فى وجدانه لتسيل شعرا رقيقا رائعا فيما بعد .

وعبرت الأيام بالأسرة السعيدة فى هناء ويسر .

وفى عام ١٩٠٨ مات والد على محمود طه فى شرخ الشباب وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره وخلف وراءه أسرة كبيرة ولم يترك لأبنائه من متاع الدنيا شيئا يذكر ...

كان أكبر أبنائه يبلغ من العمر اثنى عشر عاما .

ورأى شاعرنا نفسه وكان قد بلغ من العمر سبعة أعوام فحسب يتيما ويحرم من أبيه وهو مازال طفلا صغيرا ....

وكان ذلك مدعاة لطمع الكثيرين فى الاستيلاء على أموال الأب الراحل فصفيت تجارته وأغلقت بل امتد طمع الطامعين وجشعهم الى حد الاستيلاء على المنزل الذى كانت الأسرة تقيم فيه .

وتحملت الأم هذه المحنة بصبر وشجاعة نادرة المثال وبحسن تدبيرها ورجاحة عقلها وقوة عزيمتها استعانت بايراد عقارين آلا اليها بالميراث لايماثل بأية حال المستوى الرفيع الذى كانوا يعيشونه فى كنف الأب الراحل .

فكانت وفاة الأب صدمة عنيفة للطفل الصغير المرهف ، فقد كان طفلا رقيقا حساسا هادئا ، ولعلها أذاقته ضروبا من الحرمان المبكر .

وأنجز شاعرنا دراسته الابتدائية بتفوق والتحق بمدرسة المنصورة الثانوية عام ١٩١٥م ولكن موت والده حال بينه وبين مواصلة دراسته فضلا عن كرهه للدراسة بها وعدم تقيده بمواردها ، فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع ببولاق القاهرة .

وأثناء دراسته الثانوية كثرت قراءاته وكان كثير الخلوة الى نفسه فى ظلال الطبيعة وبجانب أمواج البحر .

وظهر اتجاهه العلمى ... فى تلك الحقبة ، فقد كان محبا للخلق والابتكار فقام بتصميم آلة طباعة بدائية استخدمها فى طبع بعض مؤلفات له من شعر وقصص .

xxxxxxxxxxxx

وشبت شاعرية على محود طه على ربى المنصورة ، والمنصورة أرض طيبة ، تلهب الشعر والخيال ، وتنبت الحب والجمال .

وتفتح وجدان شاعرنا على جمالها ولكنه كان يعانى القلق والحيرة والحزن والكآبة لضروب الأحباط التى أصابته خاصة بعد وفاة والده .

وكتب فى تلك الحقبة الكثير من المقطوعات الشعرية الغرامية. كانت تتسم بالسذاجة والسطحية ولكنها كانت تعد ارهاصات لموهبته وعبقريته الشعرية فيما بعد ...

ولم يقتصر في تلك الحقبة على نظم الشعر بل كان يكتب بعض القصص والمسرحيات يسكب فيها خلاصة مافي نفسه من مشاعر وأحاسيس ولكن سرعان ما أعرض عن القصص واتجه صوب الشعر يبثه ذوب قلبه وأحلام روحه .

وشعره في ذلك الطور شعر التقليد والمحاكاة لما كان يقرؤه من شعر كبار الشعراء من القدامى والمحدثين .

" عاشق البحر والطبيعة "

فى تلك الحقبة فى حوالى عام ١٩١٧م كان شاعرنا يقضى جل وقته متنقلا بين الرياض والغناء ، مستظلا بأغصان الشجر الوارفة ، مرتادا البحيرات ، خاصة بحيرة المنزلة والبقعة الممتدة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، حيث أكواخ أشتوم الجميلة والتى تشرف على آثار قلعة مهدمة كان الشاعر كثيرا مايسبح فى البحيرة ويوغلون فى البحر وقد تعرض عدة مرات للغرق لولا لطف الله .

وهكذا شب شاعرنا على حب للطبيعة وللبحر حيث الخضرة اليانعة على شط البحيرة الزرقاء الهادئة وحيث الحقول الخضراء ...

وهكذا شب بين جمال الطبيعة وسحرها .

وقد استلهم شاعرنا فى تلك السن المبكرة عدة قصائد عن البحر يشبه يصف نفسه فيها بالملاح الذى يجوب البحار كالسندباد ويصطاد اللآلىء من مجاهيل البحار وكانت تلك القصائد مفعمة بالخيالات والرؤى والأحلام .

وكان يحرص على اصطحاب رفاقه وينطلق الى القرى البعيدة بأطراف المنصورة بالقرب من البحيرة ، حيث تمتد الحقول وتنساب الجداول ، ويفوح عبير الأزهار ، فيمرح ويلهو ويجرى وراء أسراب الطيور بمرح وانطلاق .

وتنعكس كل هذه الصور الطليقة الباسمة فى وجدان الصبى المرهف الحس الرقيق الوجدان وشكب فى روحه من موسيقاها مابعث النشوة وأثار الخيال ونمى احساسه بالحرية والجمال .

وكان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفاف البحر .

ولقد عكس شاعرنا كل هذه الصور بعد أن كبر وعاد الى مسرح الذكريات فقال :

انى لأذكر حقلنا ، ولياليا أزهرن فى ظل لدية وريف

ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا — تحت العرائش فى ظلال اللسوف
نلقى الخمائل بالخمائل حولنا — متعانقات ، سابغات الفسوف
ذكرى الطفولة آنت وحدك للصبا — حلم يرفه عنه بالتشويف
نقتاف آثار الطيور شواردا — بين النخيل على رمال السيف
شاد هنا وهناك رنة مزهر — وجه تألق من وراء نصيف
والنهر سلسال الخرير كأنه — قيثارة سحرية التعزيف
تومى عذارى الريف والشمس الربى — نضرا وغنى بالغدير وطوفى
وتضيىء الروح الظليل ومربآ — للفن تحت آزاهر وقطوف

xxxxxxxxxxxx

كان على محمود طه فى صباه ويفاعته ذكيا لماحا يتسم بالحيوية الدافقة والشاعرية الملهمة .

وبدأ يترنم بالشعر منذ صباه المبكر ...

وقد بدأت اتجاهاته الشعرية تتبلور وتتفتح معالم شخصيته الفنية وعمره لم يتجاوز الرابعة عشرة ، وكان يلقى معارضة شديدة فى هذا الشأن من شقيقيه اللذين يكبرانه " عوض وعثمان " وذلك لخوفهما من أن تصرفه هذه الهواية عن اهتمامه بدراسته والتفرغ لهما .

" فى خضم الحيـــاة "

فى عام ١٩١٩م اتجه على محمود طــه الى القاهرة ليلتحق بمدرسة الفنــون والصناعات (الفنون التطبيقيــة) بعد أن ترك دراسته الثانوية وكان يبلــغ من العمــر وقتئذ الثامنة عشـــرة .

وصادف نزوحــه الى القاهرة اشتعال ثورة ١٩١٩م فعاشها وشارك فى أحداثهــا ، فقد كان على حداثتــه وطنيــا مخلصــا فكتب عدة قصائــد يشيــر حمية الثوار وحماستهم .

وأثناء دراستــه بمدرســة الفنون والصناعات لم ينقطع عن قول الشعــر .

وفى عام ١٩٢٤م حصل على دبلوم مدرسة الفنون والصناعات وعمره ثلاثة وعشــرون عامــا ، وعمــل أول ما عمل مهندسا لمبانى تفتيش الشرق بالمنصورة ولم تستطــع وظيفتــه الحيلولــة بين قراءاتــه وانتاجــه ، فقد بدأ يراســل صحف القاهـــرة الأدبيــة وتنشــر له انتاجــه الأدبــى فى مكان حفــى .

وبدأت الأسمــاع تعرف اســم شاعر المنصورة ، على محمود طــه ، وكـــان يغلب على شعــره فى تلك الحقبة الكآبة والحزن لما كان يعانيــه على محمود طــه وتتشــــذ من اخفــاق فى الحــب لفتاة جميلــة تزوجت من غيره لضيـــق ذات يــده ، فعبر عن أحاسيســه شعــرا حزينــا قاتمــا ...

عند صخرة الملتقى

وفيما بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١م التقى جمع أربعة شعراء فى المنصورة كما ذكرنا وهم على محمود طه وابراهيم ناجى وصالح جودت والهمشرى .

ولقد قضوا أجمل الليالى على شاطئ النيل فى حديث الشعر والفن والجمال .

وكانوا يؤثرون قراءة دواوين شعراء الرومانسية الموهوبين مثل شيللى وكيتس ووردذورث وبايرون .

وكان يحلوا لهم الالتقاء عند " صخرة الملتقى " التى تقع فى مكان ناء بأطراف المنصورة ، واستوحى منها شاعر الحب ، ناجى قصيدة عاطفية واستوحى منها شاعر التأمل والحب على محمود طه ، قصيدة تأملية فلسفية فيها تصوير لأحزان شاعرنا الروحية وهى تفصح عن شاعر يمزقه القلق والحيرة والحزن . يقول فيها :

صحراء الحياة كم همت فيها ... شارد الفكر تائه الخطوات
سرت فيها وحدى ، وقد حطم ... المقدار فى جنحليلها مشكاتى
ولكم أرمد الهجير جفونى ... ورمتنى الحرور باللفحات
لم أجد لى فى واحة العيش ظلا ... أو غديرا يبل حر لهاتى

ثم يصور نفسه فى صورة قاتمة فيقول :

أنا قيثارة جفتها الليالى ... فى زوايا النسيان والغفلات
وأرثت أوتارها فهى تبكى ... من شجاها حبيسة النغمات
أنا طيف الماضى على صخرة ... الآباد أستشرف الزمان الآتى

ويرسم صديق عمره الأستاذ أحمد حسن الزيات ملامح شخصية شاعرنا فى المنصورة فى تلك الحقبة فى مطالع العشرين ، فيقول :

" كان منضور الخلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لاينشد غير الحب والاينشد غير الجمال ، ولايطلب غير اللذة ، ولايحسب الوجود الا قصيدة من

الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر ، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لاتكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة الا التنقل ، ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فاذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية ، واذا الشاعر الناشىء يغدو الشاعر المحلق تارة بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس "

" مع جماعة أبوللو "

انضم شاعرنا الى جمعية أبوللو فور تأسيسها عام ١٩٣٢م وشهدت مجلة أبوللو انتاجه الفنى ....

فنشر فيها قصيدتين هما : " ميلاد شاعر " و " فى مخدع مغنية " كما نشر مقالا بعنوان " شوقى الشاعر " .

وقد نشر أولا مطولة شعرية مزج فيها الأسطورة بمظاهر الطبيعة وفيها تركيز على رسالة الشاعر فى الحياة والوجود ، ورسالة الحب والخير والجمال يقول فيها : (١)

هبط الأرض كالشعاع السنى

بعصا ساحر وقلب نبى

لمحة من أشعة الروح حلت

فى تجاليد هيكل بشرى

ألهمت أصغريه من عالم الحكمة

والنور كل معنى سرى

وحبته البيان ريا من السحر

به للعقول أعذب رى

ويصور لنا فى قصيدته " فى مخدع مغنية " جوا من الفتنة والسحر مع امرأة فاتنة فى ساعة وصال معه وكيف دار الحوار بين نداء الحب ونظرته المثالية يقول : (٢)

كشفت من جمالها كل خاف

---

(١) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٢٨٩ .

(٢) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٧٢٧ .

وأباحت لهن مالايباح
معبد للجمال والسحر والفتنة
يفدى لقدسه ويراح
نام فى بابه العزيز " كيوبيد "
ولكن فى كفه المفتاح
ان ينم فالحياة شدو ولهو
أو ينبه فادمع وجراح

ثم يقول :

هتفت بى تراك من أنت ياصاح؟
فقلت المعذب الملتاح
شاعر الحب والجمال فقالت
ماعليه اذا أحب جناح
واحتوى رأسى الحزين ذراعاها
ومرت على جبينى راح
وأحست لفح اللظى من شفاه
أحرقتها الأنفاس والأقداح
فمضت فى عتابها كيف لم تدر
بما برحت بك الأتراح
ان أسأنا اليك فاليوم نجزيك
بما ذقته رضا وسماح
ولك الليلة التى جمعتنا
فاغتنمها حتى يلوح الصباح

ولكن شاعرنا تغلبه نظرته المثالية الرفيعة فى تلك الحقبة فيكتفى من الربيع بالشذى ومن الزهرة بعبيرها :

قلت حسبى من الربيع شذاه
ولعينى زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض
كلنا فيه بلبل صداح

" الملاح التائـه "

فى مايو ١٩٣٤م صدر الديوان الأول لشاعرنا بعنوان " الملاح التائه " ... صدر هذا الديوان وقد جاوزعلى طه الثانية والثلاثين من عمره وأرى أن هذا الديوان كان انعكاسا للمرحلة الرومانسية الأولى فى حياة شاعرالجندول وهى مرحلة المنصورة بما تحفل به من قلق وحيرة وشك وتمرد وحزن وكآبة وتأمل ...

ان على محمود طه فى هذا الديوان يفكر فى الحياة أكثر مما يشعر بها ويتأملها أكثر مما يحاول الاندماج فيها • وينحدر قصائده من تأملاته الطويلة فتحمل صفوة مافى التأمل من عناصر الجلال والهدوء ...

وقد أحدث صدور الديوان أصداء واسعة ووجد فيه النقاد لونا جديدا من شعر التأمل الفكرى العميق •

واستقبله الدكتور طه حسين بترحاب وقال عنه : (١)

" ان شخصيته الفنية محببة إلىّ حقا ، فيها عناصر تعجبنى كل الاعجاب وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لاحد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض •

هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحا تائها حقا ، والتى تقذفه من شك الى شك ومن وهم الى وهم ، ومن خيال الى خيال ، والتى لاتستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها ازعاجا وتدفعه عنها دفعا ، وتقذف به الى حقيقة أخرى لايكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشىء حتى يراها أشد هولا وأعظم نكرا ، واذا هرب يهرب منها ويجد فى الهرب " •

كان هذا هو استقبال طه حسين الحار لهذا الديوان الجديد •

xxxxxxxxxxxx

---

(١) السياسة / يونية ١٩٣٤م•

ولكن مادلالة تسمية شاعرنا بالملاح التائه ؟

وماصلة هذه التسمية بشاعريته وحياته ؟

ان نعت على محمود طه لنفسه بالملاح التائه ظاهرة تتصل بالأعماق الروحية والنفسية لحياته وشاعريته ٠

أرى أن شاعرنا كان يعانى حيرة وقلقا ممزوجا بالرغبة فى الهرب من آلامه الروحية — كشأن الرومانسيين — باللجوء لحمى الجمال والانغماس فى أبيقورية مرحة منتشية بالحياة لعله ينسى أحزان روحه فسبح شاعرنا فى بحار الحب والجمال ٠

ويعبر عن بعض هذه المعانى فى قصيدته " الملاح التائه " فيقول : (١)

أيها الهاجر عز الملتقى
وأذبت القلب صدا وامتناعا
وارع فى الأرض طريدا شاردا
عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضل فى الليل سراه ومضى
لايرى فى أفق منه شعاعا

وهو دائما يهوى الغوص فى أعماق الحقيقة :

ملاح وادى النيل الا أنه
أغرته بالتيه السحيق بحار
أبدا يطوف حائرا بشراعه
يرمى به أفق ، وتقذف دار

xxxxxxxxxxxxx

---

(١) الملاح التائه / ص : ٣٢ ٠

فى هذا الديوان استوحى على محمود طه فكره وخياله أكبر ما استوحى الحياة الواقعية وكان ذلك انعكاسا للطور الأول من حياته حتى الثلاثين ، وهى تلك الحقيقة التى كانت حافلة بالتأمل والحيرة والرومانسية المحلقة بين روابى المنصورة وطبيعتها الهادئة الجميلة ، التى تبعث على التأمل والفكر .

ومن أكثر قصائده تعبيرا عن أحزان قلبه وشعوره الحاد بالاغتراب الروحى هذه الأبيات التى تصوره يعانى القلق والحيرة والألم فى ظلال الطبيعة المتفتحة المبتهجة :

ياصبح : مالشمس غير مضيئة ؟
ياليل : مالنجم غير مبين
يانار : مالنار بين جوانحى ؟
يانور : أين النور ملء جفونى
ذهب النهار بحيرتى وكآبتى
وأتى المساء بأدمعى وشجونى
حتى الطبيعة أعرضت وتجاهلت
وتنكرت للهارب المسكين

xxxxxxxxx

ولكن هذا العقل الذى برح به التأمل نجده خصبا مزهرا محلقا بأجنحة قوية فى سماء الفكر الشعرى الخالص فى قصيدة مبدعة هى " الله والشاعر " .

فى هذه القصيدة يتكلم الشاعر بلسان العالم ويرفع الى الله شكوى الخلق للخالق ويشكو اليه مايلمسه فى الحياة من بؤس وشقاء وألم ويسأله عن سر الوجود ومن السبب فى كل هذا الشقاء وعن معنى الحياة ومعنى الألم . ثم يرتفع بشكاياته وصيحاته الى ضرب من الايمان الصوفى المتقد الحار .

ان لهذه القصيدة لونا منفردا فى شعرنا المعاصر ، فهى تقوم على فكرة منسجمة متماسكة ، وهى عمل فنى له كيان ومنطق عميق .

يقول فيها :

لاتفزعي يا أرض لاتفرقي
من شبح تحت الدجى عابر
ماهو الا آدمي شقي
سموه بين الناس بالشاعر

xxxxxxxxx

ما أنا بالزاري ولا الحاقد
لكنني الشاكي شقاء البشر
أفنيت عمري في الأسى الخالد
فجئت أستوحيك لطف القدر

ثم يتساءل عن عذابات البشر وبؤسهم فيقول :

أفي سبيل العيش هذا الصراع ؟
أم في سبيل الخلد والآخره
وهؤلاء البائسون الجياع
تطحنهم تلك الرحى الدائره ؟

ثم يقول أن سر شقوته هو قلبه الساعي للمثاليات :

يارب ما أشقيتني في الوجود
الا بقلبي ليته لم يكن
في المثل الأعلى وحب الخلود
حملته العبء الذي لم يهن

xxxxxxxxxxx

خلقته قلبا رقيق الشغاف
يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بعالم الحسن ودنيا الخيال

وتمضى هذه المطولة بعودة الشاعر الى الايمان الحار المتقد ، وهى قصيدة من أعمق وأجمل مافى شعرنا العربى المعاصر .

يقول مؤرخ الأدب العربى الحديث المستشرق الألمانى بروكلمان عن ديوان الملاح التائه [١] :

" يدين على محمود طه بالفضل للرومانسية الفرنسية فى القرن التاسع عشر وهو الاتجاه الخيالى والفنى والقومى والعقلى . فقد تأثر بهذا الاتجاه وانتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن قومى فى ديوانه " الملاح التائه " .

---

(١) بروكلمان / تاريخ الأدب العربى / ط ليدن / ١٩٣٩م.

" الشاعر التصويري "

كان على محمود طه من أصدق الشعراء التصويريين فى شعرنا المعاصر . وقد منحت الصور الشعرية شعره الجمال والأصالة .

اننا نراه فى شعره مصورا بارعا تنقل الينا ريشته من تلك الصور الخاطفة ، والخطرات اللامعة ، التى ومضت فرآهـا ، ونظرها فبهرته ، فاختطف منها ماشاء ، وقطف من ثمارها ماناله وقدمه لنا ، فكان شاعرا وصافا ، وفنانا بارعا صور لنا أجمل مارآه وانفعل به من مشاهد الطبيعة وصور الجمال .

لقد كان بارعا فى تصويره لاحساساته ومشاعره هى براعة المصور الماهر القدير والمتفنن المبدع الموهوب .

وهو بارع فى خلق الجو العام للقصيدة وابتكار الصورة الشعرية poltic image الأصيلة بحيث يصبح الجو العام للقصيدة مليئا بالاشعاع والايحاء والفتنة وجمال الصور ، وتتسم الصور الشعرية لديه بأنها صور حية يرسم لنا هذه الصور الحية Moving picture فى قصيدته الرائعة " الجندول " وفيها تصوير شعرى رائع لنزهة لشاعرنا مع ملهمته فى جندول يجتاز به قنوات مدينة البندقية فى فينسيا ، وكانت أنيسته فى نزهة الغروب حسناء ايطالية ، ذهبية الشعر ، شرقية السمات ، مرحة الأعطاف ، حلوة اللفتات ومر بهما الجندول تحت جسر التنهدات متجها نحو القنال الكبير :

ذهبى الشعر ، شرقى السمات
مرح الأعطاف ، حلو اللفتات
كلما قلت له خذ قال هات
ياحبيب الروح ، يا أنس الحياة

ويتحسر على أحلام البحيرة الجميلة :

أين منى الآن أحلام البحيرة

وسماء كست الشطآن نضره
منزلى منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من عينى هاتيك المجالى
ياعروس البحر ، ياحلم الخيال

وفى ذروة نشوته مع صاحبته هناك ، يتلفت الى مصر فى لهفة :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى
هاجت الذكرى ، فأين الهرمان؟
أين وادى السحر صداح المغانى
أين ماء النيل ؟ أين الفتيان؟

ثم يتلفت الى ملهمته ويتمنى لو كان هذا اللقاء على صفحة النيل :

آه لوكنت معى نختال عبره
بشراع تسبح الأنجم اثره
حيث يروى الموج فى أرخم نبره
حلم ليل من ليالى كيلو باترة

xxxxxxxxxxx

والصور الشعرية عند على محمود طه تتصف بالحيوية التى تجعلها تنبض بالحرارة وهى غالبا تتصف بالخيال المجنح المبدع وهو يستخدم فى شعره الضوء واللون وهو يجيد توزيع الظلال والأضواء فى صوره الشعرية Poetic imagery

ولقد أبدع بصفة خاصة فى قصائد الوصف الغنائى التى تمتاز بجانب التصوير الشعرى على قسط كبير من النغم فتلك القصائد تتسم بالموسيقا والتصوير ... انه يستخدم الموسيقا التصويرية التى تصاحب المشهد التعبيرى فى قصيدته " ليالى كيلو باترا " يبلغ ذروة التصوير الشعرى بريشته المبدعة فضلا عن الرقة الموسيقية فخلق لوحة شاعرية تتسم بالأصالة والتلاؤم والجمال .

هذه عدة صور شعرية للفتى الأسمر الجبهة كالخمرة " فى النور المذاب " يقول :

ياضفاف النيل بالله وياخضر الروابي
هل رأيتن على النهر فتى غض الأهاب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من صنع أحلام الشباب؟

ويرسم عدة صور مرحة مبتهجة تساعد فى خلق جو الوصال والنجوى على صفحة النيل فى الزورق الحالم بين شاعرنا المفتون وملهمته الساحرة كيلو باترا ، فالطبيعة كلها نشوى مرحة تشارك المحبين أفراح قلبيهما ونشوتهما :

ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا
وشراع سابح فى النور يرعى ظلنا
كان فى الليل سكارى ، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا

وينثر شاعرنا الكثير من الأضواء والألوان فى قصيدته عن " القمر العاشق " وهى تصوير دقيق لمشاعر الملاح التائه الظامئة المتعطشة لسحر المرأة وجمالها ...

فى هذه القصيدة يبرز عنصر التشخيص واضحا ...

اذ يصور " القمر " بصورة انسان عاشق مفتون يحاول التسلل لمخدع الفاتنة ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة فى ليالى الصيف المقمرة :

اذا ماطاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم ، أو اشراقة المعنى
وأنت ٧ على فراش الطهر، كالزنبقة الوسنى

فضى جسمك العارى وصونى ذلك الحسنا

ثم يصور كيف تسلل هذا القمر العاشق المفتون لكى يقترب منها :

تحدر من وراء الغيم، حين رآك ، واستأنى
ومس الأرض فى رفق يشق رياضها الغنا
عجبت له وما أعجب كيف أستلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك ؟ وكيف تسلق الغصنا

ثم يرسم شاعرنا صورة لغيرته وهو يشاهد القمر مع الفاتنة :

أغار ، أغار ان قبل هذا الثغر أو ثنى
ولف النهد فى لين وضم الجسد اللدنا
فان لفوشه قلبا وان لسحره جفنا
يصيد الموجة العذراء من أغوارها وهنا

ثم يقدم لنا هذه الصورة المتحركة للقمر المفتون أمام سحر فاتنته :

وكم من ليلة لما دعاه الشوق واستدنى
جثا الجبار بين يديك طفلا يشتكى الغبنا
أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ،فلم يصب حصنا
حوتك ذراعه ، رسما وأنت هويته فنا

وفى صورة أخرى نرى لوحة تصور القمر العاشق حقودا غاضبا لاخفاقه فى مواطلة فاتنته الساحرة فمضى بنظرته الغاضبة يطوى السهول على مضض :

عصيت هواه فاستضرى كأن بصدره حضنا
مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبارا يهز صراخه الكونا

وفى صوره الشعرية نرى التجسيم والتشخيص والتلوين فضلا عن النغم والعذوبة مما يجعله فنان الصورة الشعرية فى شعرنا العربى المعاصر وله الكثير من الشعر التصويرى خاصة فى الشعر الوصفى الغنائى .

xxxxxxxxxxx

هذا هو شاعر الجندول ، على محمود طه ....

الملاح التائه فى بحار الحب والفكر والجمال ....

لقد كان شعلة متوقدة من الاحساس بالجمال ، كما وصفه الناقد أنور المعداوى ، الجمال فى شتى صوره وألوانه ومعانيه ، جمال الصداقة ، وجمال الكرامة ، وجمال الحياة ...

أخلص للجمال الأول فاعترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثانى فقبس الكرام من وهج ابائه ، وهام بالجمال الأخير ، فقصر الشعراء عن بلوغ مداه .

مختارات

من شعر على محمود طه

١ - امـــــــــرأة .

٢ - رجوع الـهـــارب .

٣ - ليالى كيلو باترا .

٤ - الملاح التائـــــه .

١ - امــــرأة

اقبلـــت أم أمعنت فى الاعـــــــراض
انى بحبـــك ياجميلـــة راضـــى
والله ما أعرضت بـل جنبتنـــــى
شـــطط الهوى وسمـــوت عن أغراضـــى
القاك لســـت أراك الا فتنـــــة
علويـــة الاشــــراق والايمــــــاض
كم رحـــت أغمض ناظـــرى من دونهـــا
فأراه لايقـــوى علـــى الاغمــــــاض
وذهبـت ألتمـــس السلـــو فأطلقــت
نفســـى زمام جوادها الركــــــاض
يجتاز نار مفــــازة مشبوبـــــــة
ويخوض بـــرد جداول وريــــــاض
ولقيــت غيرك غير أن حشاشتـــــــى
لم تلق غير الوقـــد والارمــــاض
واعتضت باللذات عنك فلم تجـــد
روحـــى كلذة طعمك المعتـــــاض
وأطعت ثـــم عصيــت ، ثم وجدتنـــى
بيديك لاعن ذلـــة وتغاضـــــــى
لكن لأنك ان خطـــرت تمثلــــــت
دنياك تسعـــى لى بأروع ماضـــــى

---

٢ - رجوع الهارب

قربت للنور المشع عيوني
ورفعت للهب الأحم جبيني
ومشيت في الوادي يمزق صخرة
قدمي ، وتدمي الشائكات يميني
وعدوت نحو الماء وهو مقاربي
فنأى ورد الى السراب ظنوني
وبدت لعيني في السماء غمامة
فوقفت ، فارتدت هنالك دوني
وأصخن للنسمات وهي هوازج
فسمعت قصف العاصف المجنون
ياصبح : ماللشمس غير مضيئة ؟
ياليل : ماللنجم غير مبين ؟
يانار : أين النور ملء جفوني ؟
ذهب النهار بحيرتي وكآبتي
وأتى المساء بأدمعي وشجوني
حتى الطبيعة أعرضت وتصاممت
وتنكرت للهارب المسكين؟

xxxxxxxxxxxx

ان لم يكن لي من حنانك موئل
فلمن أبث ضراعتي وحنيني ؟
آثرت لي عيش الأسير فلم أطق
صبرا وجن من الأسار جنوني
فأعدتني طلق الجناح وخلت بي
للنور جنة عاشق مفتون

وأشـــرت لى نحو السمـــاء فلم أطـــر
ورددت عيـــن الطائـــر المسجـــون
نس السماء وبــــات يجهل عالمـــا
ألقى الحجاب عليه أسر سنيـــــن
ولقد مضى عهد التنقـــل وانتهـــى
رمنى اليـــك بصبوتـى وفتونــــى
لم ألق بعدك مايشـــوق نواظـــرى
عند الرياض ، فليس مايصبينـــى
فهتفت أستوحـى قديـــم ملاحنـــى
فتهدجت وتعثـــرت بأنينـــــى
ونزلـــت أستذرى الظـــلال فعفننـــى
حتى الغصون غدون غيـــر غصـــون
فرجعـــت الوكـــر القديم وبى أســـى
يطغـى على وذلـة تعرونـــــى
لما رأته اغرورقت عيناى مــــن
ألم ، وضـــج القلـــب بعـــد سكـــون
ومضـــت بى الذكرى فرحـــت مكذبـــا
عينى ، ومتهما لديـــه يقينـــى
وصحوت من خبل وبـى ممـــــا أرى
أطراق مكتئب وصمـــت حزيـــــن
فافتح لى الباب الذى أغلقتـــــه
دونى ، وهات القيـــد غير ضنيـــن
دعنى أرو القلـــب من خمـــر الرضـــا
وأنـــم على فجـــر الحنان عيونـــى
وأعد الى أسر الصبابـة هاربـــا
قد آب من سفـــر الليالـى الجـــون
عاف الحياة على شـواك طليقـــة
وأتاك ينشدها بعين سجيـــــن ؟

٣ - ليالى كيلو باتــرا

كيلو باترا .. أى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئــــان
وهفا كــل فؤاد وشدا كــل لســـان
هــذه فاتنــة الدنيــا وحسناء الزمــان
بعثت فى زورق مستلهــم من كل فــن
مرح المجداف يختال بحوراء تغنـــى
ياحبيبــى هــذه ليلـــة حبـــى
آه لــو شاركتنــى أفراح قلبـــى؟

xxxxxxxxx

نبأة كالكأس دارت بيـن عشــاق سكــارى
سبقــت كل جناح فى سماء النيـــل طــارا
تحمل الفتنــة والفرحة والوجد المثــارا
حلوة صافيــة اللحن كأحلام العـــذارى
حلــم عذراء دعاها حبها ذات مســاء
فتغنت بشــراع من خيال الشعـــراء
ياحبيبى هذه ليلـــة حبـــــى
آه لو شاركتنــى أفــراح قلبـــى

xxxxxxxxx

وتجلى الزورق الصاعــد نشوان يميـــد
يتهاده على الموج نواشى عبيــــد
المجاديف بأيديهم هتـاف ونشيـــد
ومصلون لهم فى النهر محراب عتيـــد
سحرتهم روعة الليل فهم خلق جديـــد

كلهم رب يغنى والـه يستعيد
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

xxxxxxxxx

اصدحى أيتها الأرواح باللحن البديع
امرحى ياراقصات الضوء بالموج الخليع
قبلى تحت شراعى حلم الفن الرفيع
زورقنا بين ضفاف النيل فى ليل الربيع
رنحته موجة تلعب فى ضوء النجوم
وتنادى بشعاع راقص فوق الغيوم
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى؟

xxxxxxxxxx

ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا
وشراع سابح فى النور يرعى ظلنا
كان فى الليل سكارى وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا
كلما فرد كأس شربوا الخمرة لحنا
ياحبيبى كل مافى الليل روح يتغنى
هات كأسى انها ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

xxxxxxxxx

ياضفاف النيل بالله وياخضر الروابى
هل رأيتن على النهر فتى غض الاهاب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من صنع أحلام الشباب ؟
ان يكن مر وحيا من بعيد أو قريب

فصفيه ، وأعيدى وصفه فهو حبيبى؟
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

xxxxxxxxxxx

أنت يامن عدت بالذكرى وأحلام الليالى
يا ابنة النهر الذى غناه أرباب الخيال
وتمنت فيه لو تسبح ربات الجمال
موجه الشادى عشيق النور ،معبود الظلال
لم يزل يروى ، وتصغى للروايات الدهور
والضفاف الخضر سكرى ،والسنى كأس يدور
حلم لم تروه ليلة حب
فاذكريه واسمعى أفراح قلبى!

الملاح التائـــه

أيهـــا الملاح ، قم واطو الشراعـــا
لم نطوى لجة الليل سراعـــــا
جــدف الآن بنـــا فى هينـــــة
وجهــة الشاطىء سـيرا واتباعــا
فغدا ياصاحبـى تأخذنـــــــا
موجـــة الأيام قذفـا واندفاعـــا
عبثـا تقفو خطـى الماضى الــــذى
خلـــت أن البحر واراه اتباعـــا
لــم يكــن غير أويقات هــــوى
وقفت عن دورة الدهــر انقطاعـــا
فتمهـــل تسعــد الروح بمــــا
وهمـــت أو تطـرب النفس سماعـــا
ودع الليلـــة تمضى انهـــــا
ســوف يبدو الفجر فى آثارهــــا
ثم يمضى ... دواويل تباعــــا !

أحمد فتحي

شاعر الكرنك

(١٩١٣-١٩٦٠)

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعل
فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلي
وضقت بليلي ، ساهدا ولو انني
تعزيت لم أشك التسهيد في ليلي
وعشت حياتي وحشة ليس ينتهي
مداها ، ودوني سامر الصحب والأهل

(أحمد فتحي)

" ميلاد شاعـــر "

كان ذلك فى حوالى عام ١٧٩٠م تقريبا حين هاجرت أسرة " فايد " من " نجـد " بالحجاز وحطت رحالها أولا فى قرية " تل مشتول " بمديرية الشرقية ولكن اختلفت أسرة فايد مع سكان " تل مشتول " الأصليين فقامت بينهما معارك طاحنة انتهت بانتقال أسرة فايد الى موضع يقال له " كفر الحمام " ونصبوا خيامهم هناك ثم عمروها وبنوا البيوت والدور .

واتجهت الأسرة الى تعليم أبنائها فى الأزهر الشريف ....

وكانوا يملكون موهبة قول الشعـر على السجيـة ....

وفى هذه القرية نشأ الشيخ ابراهيم سليمان وقد أتم تعليمه بالأزهر وأصبح من علماء الأزهر يدرس فى المعاهد الدينية .. وكان شيخا مثقفا ورعـا ينظـم الشعر ويلقيـه ...

وعندما استعلت ثورة ١٩١٩ شارك بمنظوماته وخطبه فى اشعال نيران الثـورة وطفق يعقـد الاجتماعات الوطنية الملتهبة وقد زج به فى السجن وتعرض بيتـه لغارات الشرطة عدة مـرات ...

وكان الشيخ ابراهيم قد تزوج وهو طالب وأنجب ولدا واحدا هو الشيخ محمـد وبعد أن توفت زوجته تعددت زوجاته حتى تزوج السيدة " فاطمة حسن العويضـى " وهى بنت عمدة بلدة " فراشـة " ناحية أبو كبير بالشرقية فأنجب منهـا أول ما أنجب شاعرنا أحمد فتحـى ثم ثلاث هن : عفاف ، وعواطف ، وعنايـات (١)

xxxxxxxxxxxx

---

(١) أخبرنى بهذه المعلومات فضيلة الشيخ محمد ابراهيم سليمان وهو أخ غير شقيـق لشاعرنا أحمد فتحى فى لقاء يوم ١١ يونية عام ١٩٧١م بمنزله فى ضاحيـة " دير الملاك " بالقاهـرة .

ولد فتحي ابراهيم سليمان سليمان بقرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية في الثاني من أغسطس عام ١٩١٢م .

وكان طفلا وسيما أزرق العينين متوسط القامة يشبه والده، وقد ورث زرقة عينية عن والده ....

وبعد مولد أحمد فتحي انتقلت الأسرة الى الاسكندرية بحي " الجمرك " حيث كان أبوه يعمل مدرسا بالمعهد الديني بالاسكندرية ...

والحق أحمد فتحي بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وجوده ...

ثم مالبثت الأسرة أن انتقلت للقاهرة حيث عمل الأب مدرسا بجامعة الأزهر ، والحق أحمد فتحي بمدرسة العقادين الابتدائية وأقامت الأسرة بشارع حيدان الموصلي قسم الدرب الأحمر بحي الأزهر ....

وأظهر أحمد فتحي تفوقا ملحوظا على أقرانه خاصة في اللغة العربية واللغة الانجليزية وظهر ميله الشديد الى القراءة ...

وكان يحلو له أن يسهر بجوار أبيه وهو يقرأ حتى منتصف الليل ، يتطلع اليه في صمت ثم يحاول قراءة الكتب التي تحويها مكتبة الأب ، وكانت المكتبة تضم أمهات الكتب من الأدب العربي والتراث العربي مثل دواوين المتنبي وأبي العلاء والشريف الرضي وشوقي فضلا عن الكتب الدينية والأدبية الأخرى مثل كتاب الأغاني ومقامات الحريري .

وذات ليلة قرأ أحمد فتحي أبياتا من الشعر في أحد الدواوين فنقلها وذهب لأبيه يقرؤها عليه ، وكانت تقول :

مامقامي بأرض نخلة الا	كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله	غريب كصالح في ثمود

وحين سمعها الأب راح يشرح لابنه معانيها وعرف أحمد فتحي أن صاحبها شاعر كبير اسمه "المتنبي " وأعجب أحمد فتحي بهذا الشاعر فعاد الى مكتبة أبيه من جديد وراح يقرأ كل ماكتب عن المتنبي وما نظمه هذا الشاعر ملأ الدنيا وشغل الناس

ثم اتسعت قراءاته لتشمل دواوين البحتري والشريف الرضي وشوقي وحفظ الكثير

من القصائد المطولة واستوقفه بصفة خاصة شعر شوقى ، لما فيها من قوة المعنى وحلاوة الجرس ، وجمال الموسيقا .

ثم أنجز شاعرنا دراسته الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ولكنه تعثر فيها لأنه نغمس فى تلك السن المبكرة فى مغامرات عاطفية جامحة وتأرجحت حياته بين شيطان الحياة وشيطان الشعر !!

فالتحق شاعرنا بمدرسة الفنون التطبيقية (الفنون والصنائع) التابعة لجمعية العروة الوثقى بالاسكندرية .
ويتحدث عن تأثير الاسكندرية فى حياته وفى شعره فيقول : (١)

" وفى الاسكندرية كان ميلادى وعلى صدر شاطئها الجميل ترعرعت ، ومن صفاء بحرها الصداح أخذت ماكان فى بواكير أفكارى وأشعارى من صفاء وأنغام .

وماتت أم شاعرنا عام ١٩٢٣ وعمره يومئذ عشرة أعوام فقط أثناء دراسته الابتدائية ماتت وبعد أن وضعت مولودا سموه " محمود " وأصابتها " حمى النفاس " وكانت فى ذلك الحين داء عضالا وأخطأ الأطباء ، وأصابت الأقدار ، ولم يكن عمرها يوم اختارها الله لجواره قد تجاوز ثلاثين ربيعا ، وقد خلفت وراءها أربعة أطفال كان شاعرنا أكبرهم ، وكان فى العاشرة من عمره وكانت الفجيعة كبيرة فيها ...

شبابها الذى اختضر وأطفالها الأربعة الذين حرموا حنان الأمومة ورعايتها قبل أن يشبوا من الطوى ، فشعر بحزن عميق فتزوج والده بسيدة من أقاربه كانت غاية فى الرفق ، وحسن المعاملة لأحمد فتحى وشقيقاته الثلاث ولكن الفراغ الذى تركته أمه فى صدره راح يبحث من عواطف جديدة .

وفى تلك الحقبة بدأ شاعرنا ينظم قصائد وجدانية يبث فيها بوح قلبه وأشواق روحه ويعبر فيها عن عواطفه الجياشة لمن يحب ...

واتسمت تلك القصائد بالرقة والعذوبة والطلاوة ...

---

(١) صحيفة الشعب / ١٧ أغسطس ١٩٥٧م .

واشتد المرض بالشيخ ابراهيم سليمان فانتقل الى كفر الحمام حيث مات هناك عام ١٩٢٩م ، تاركا ابنه أحمد فتحى وهو فى السادسة عشر من عمره فازداد حزن شاعرنا وشعر بالوحدة والاغتراب الروحى بعد أن أصبح وحيدا فمضى ينظم قصائد حزينة باكية يبثها أحزان روحه وآلام نفسه واحساسه الحاد بالاغتراب الروحى .

وتخرج أحمد فتحى فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠م وعينه خاله المهندس أحمد حسن " مدير جمرك الاسكندرية " موظفا بالجمرك وشهدت له مغانى الاسكندرية صولات وجولات سجلها فى قصائد عاطفية رقيقة ، ولم يستمر طويلا فى هذا العمل فعمل مدرسا بمدرسة الصناعات ببولاق بالقاهرة ثم مدرسا بمدرسة الصناعات بالسويس حوالى عام ١٩٣٢م .

وفى السويس كانت له أيضا تجارب ومغامرات عاطفية ، فقد كان دوما يعشق الحسن ويهفو للجمال .

" مع جماعـة أبوللـــو "

ومن السويس بدأ يراسل مجلـــة " أبوللـــو " ٠٠٠٠

ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسى الحالـــم الـــذى يغلف أحلامـه بأحزان روحيـة حادة ، وغلبت على تلك القصائد فى تلك الحقبـــة الروح الشاكـى الحزين وأفصحت عن نفسية قلقـة حزينة لشاب لم يتعدى العشريـــن من عمره بعـد ٠٠٠ فقد كان احساســه بالاغتراب الروحى يلازمه منذ مطالع شبابه ، لقد كان طموحه أكبر من امكاناته وآماله أكبر من واقعه ٠

ولعل مفتاح شخصيته فى تلك الحقبة والذى ظل ملازما له طيلة حياته يتلخـــص فى احساسه " بالاغتراب الروحى " الذى كان يضنيـــه ويعذبـــه ٠٠٠

وكانت أول قصيدة نشرها بمجلة " أبوللو " وكان يبغ العشرين يومها قصيـــدة يبث فيها أحزان روحه وآلام نفسه لأبيه الراحل بعنوان " نجوى وشكاة " وهى قصيـــدة تتســـم بالروح الشاكى الحزين والنغمـــة الباكية الهامسة رغم شبابه الغـــض يقـــول فيهـــا : (١)

أبى قم ونح الرجم عنك وناجنـــــى
أتسلمنى للدهر وهـــو جـــــؤون ؟
مضـى بالذى خلفـت لـى ثـم فاتنـى
وقلبـى تخيـن بالجراح طعيــــــن
به من لظى وجدى عليـك لواعـــــج
تضـرم نيرانـا بـه وشجـــــون
ولولا جـلال الموت قلـت نسيتنـــى
وألهتك عنـى فى الحياة شئـــــون
xxxxxxxxxxx

---

(١) أبوللـــو / أكتوبـــر ١٩٣٣م / ص : ١٠١ ٠

تمثلت فى ذهنى فأجفل خاطـــــرى
ومهـــدى به فى النازلات رصيـــــن
وماذاك من خوفـــى لقاك وانمـــا
عرانى من هـــول المقام جنـــــون
حنانيك ، هل تبكـى لحالـــى رحمـــة
أعندك ماذا فى غـــد سيكـــون ؟
لعل زمانا أوثـــق العهـــد أنـــه
سيقلب لى ظهـــر المجـــن يميـــن
فنـم واســـترح واهدأ بقبرك انمـــا
خطـــوط البرايا شمأل ويميــــن
ولو أنـــه يبقـى علـــى امـــرىء
فمثلـى بابقـــاء الزمـان قميــــن

xxxxxxxxx

ألا أيها المـــوت الزؤام معجـــل
ينـاديك ، ميعادى متى سيحيـــن
مريـع همـوم طال بالوحدة عهـــده
تمر به الساعـات وهى سنيــــن
فتخشـــى ويستجديـــك من فرط مابـــه
وأنت عليـه ياحمام ضنيـــــن

ثم ينشر قصيدة فى عدد أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان " الوهم " بتوقيع أحمد فتحى المهندس يغلب عليها الطابع الشاكى الحزين الباكى رغم شبابه الغض نلمس فيهـــا سوداوية قاتمة وأحزان قلب كبير لاتتناسب سنه الصغيرة التى لم تتجاوز العشرين بعد يقول فى تلك القصيـــدة : (١)

أمن الأشجـــان آل وصحــــــاب

(١) أبوللو / أكتوبـــر ١٩٣٤م / ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

ومن المدمع ندامى وشـــراب ؟
وكذا الدنيا شجون لاتنــى
ودموع لاينى عنها انسكــاب
لاأرى فى الـــروض الا صادحـــا
مرسل الألحان يحدوه انتحاب
أى وهم لم يـزل يحفزنـــا
فعلى الوهم صراع وغـلاب ؟
كــم سحــاب لم يجدنا غيثـــه
خطف الأبصار بالبرق وغـــاب
وكـلام تحتـه ريشـت فتـــى
هــو فى ظاهـرة شهـد مــذاب
والذى يحسبـه رى الصــدى
هو مهمـا قذ روى الصادى شـراب
كم شكـا الغلـة منا ظامــىء
فشفت غلتـه جرعـة صــاب
وسعى للصيـد مشغوف بــه
وهو شـاة ، لو درى بين ذئـاب
نيم نحيا بالأمانــى خدعـــا
والمنايا آخذات بالرقـــاب

xxxxxxxxxxx

أيهذا المدلـج السارى الـــى
أمل يحدوه أقصر فى الطــلاب
الى الآمــال كـدح قاتــل
والى الآمال ظعن واغتــراب ؟

ما أراها باعثات من بلى
أو معيدات الى الشيب الشباب
صاحب الحاجة ذوهم بها
فاذا أدركها هان المصاب
ضيعة للرأى تذكى نارها
آفة فى المرء منذ شب وشاب
شامخ بالأنف من أوهامه
لم يزل ينشد أطباق السحاب
حسب الكون رهينا بالذى
يشتهى وهو رهين بكتاب

xxxxxxxxxxxx

ثم نجد له فى عدد ديسمبر ١٩٣٤م مقالا ممتعا بعنوان " فى معنى الانتحال " يدل على عمق ثقافته وتنوع قراءاته الأدبية وقد تناول فيه موضوع السرقات الشعرية والانتحال وتوارد الخواطر واشتراك المعانى بين الشعراء ... كما شاهدت صفحات أبوللو بعض قصائده الرقيقة التى تسبق عمره والتى كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر وجدانى كبير .....

" ليالي الكرنك "

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل الى الأقصر مدينة التاريخ العريق والآثار الخالدة ، ليعمل مدرسا بمدرستها الصناعية الثانوية .

وفي هذه المدينة الصامتة الهادئة التي يخيم عليها جلال التاريخ التليد وصمته وهيبته ، أحس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذي تعود أن يقضي أيامه بين مجالى الأنس والطرب وأطايب الجمال هربا من عذابه الروحي الممض وشعوره الحاد بالاغتراب الروحي .

ويشعر بالحنين الى أضواء القاهرة وليالي القاهرة ، فيكتب الى صديقه أنور أحمد بعد ثمانية أيام فقط من وصوله للأقصر يبثه ضيقه وحزنه لبعده عن أجواء القاهرة ولياليها الساحرة ، فيقول : (١)

" تصور أنني أنفقت هنا أياما ثمانية ، كانت في حساب قلبي أعواما ثمانية .

" لو أنك رأيتني الآن لأنكرتني : شحوب وذهول ، وعبرات لاترقأ وكفاتها أبدا ، وظلال من الذكريات القاتمة لاتميل عن المخيلة المكدودة .

" لقد أقفرت كل دنياى من مباهجها ، وهل شيء أبعد أثرا في نفس الشاعر من أن يصبح وحيه أحجارا جاثمة وأطلالا قائمة ، وهذه الأناشيد الحزينة التي تغلف الأحزان وتجعل من الوحدة المكتئبة ضجيج مهرجان وصخب أعياد وقدس مثول في حضرة آلهة السماء ....

" لو كنت في القاهرة ....

" يارحم الله أيامي بالقاهرة ، أو رحمني بعدها " .

كانت هذه أحاسيس شاعرنا في الأيام الأولى لوصوله الى الأقصر ....

---

(١) الهلال / صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / ديسمبر ١٩٦٦م ، من رسالة خاصة ضمن عدة رسائل اطلعت عليها عند صديقه الأستاذ أنور أحمد .

ولكن سرعان ماتبدل الوضع بصورة مختلفة ....

كان شاعرنا يقضى جل وقته - فى الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالى المقمرة ، يتأمل جلال التاريخ وجمال الطبيعة ويسرح بعيدا فى سماوات الخيال ...

وسرعان ماأصبح يهفو الى ليالى الكرنك يتأمل ويستوحى ويستلهم أجمل الخواطر وأعذب الصور ...

وفى ذات ليلة من تلك الليالى الشاعرية الحالمة كان القمر مضيئا ينشر أشعته الفضية على المعابد الفخمة فيضفى عليها سحرا وبريقا ، استوحى شاعرنا أروع قصائده الوصفية التصويرية " أنشودة الكرنك " .

التى يقول مطلعها : (١)

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى فى خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضى بيمن الحاضر

ثم يسرح بعيدا مع جلال التاريخ وأمجاده حيث ملوك الفراعنة وأمجادهم الغابرة التليدة وتوحى كل هذه الأحاسيس والخواطر بصور شعرية رائعة :

ها هنا الوادى ، وكم من ملك
صارع الدهر بظل الكرنك
وادعا يرقب مسرى الفلك
وهو يستحيى جلال الغابر

ثم يمضى يسائل الأطلال بحيرة ونشوة فى آن واحد :

أين يا أطلال جند الغالب ؟

---

(١) ديوان قال الشاعر / ص ١٢٣ - ١٢٥ /أحمد فتحى ١٩٤٩م - القاهرة - دار النيل للطباعة .

أيـن آمون وصوت الراهـب ؟
وصلاة الشمس ؟ وهمس طاربـي
نشوة ترزى بكرم العاصر

وتستغرقه النشوة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابد الكرنك الخالدة تحت ضوء القمر وبين جلال المعابد وصور التاريخ الفرعوني التليد تحيط به من كل جانب :

أنا هيمان ويا طول هيامي
صور الماضي ورائي وأمامي
هي زهري وغنائي ومدامي
وهي في حلمي جناح الطائر

ويصور لنا في هذا المقطع التصويري الرائع الطائر الجريح الذي مازال يغرد أعذب النغم وأرقها بين الرياض الناضرة :

ذلك الطائر مخضوب الجناح
يسعد الليل بآيات الصباح
ويغني في غدو ورواح
بين أغصان وورد ناضر

ثم يختتم أنشودة الكرنك " بهذا المقطع الجميل ، فيقول :

في رياض نضر الله ثراها
وسقى من كرم النيل رباها
ومشى الفجر اليها فطواها
بين أفراح الضياء الغامر

وتغنى محمد عبد الوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م فلاقت نجاحا كبيرا واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليه صيتا ذائعا ، وهكذا اقترن اسم الكرنك

بأحمد فتحى ، وأصبح الناس يعرفونه باسم " شاعر الكرنك " .

وبالمناسبة لم يتقاض الشاعر عن هذه الأنشودة الناجحة الا ثلاثة جنيهات من الاذاعة المصرية حينئذ ....

xxxxxxxxxxx

وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معابد الأقصر الخالدة وأصبحت أجمل أوقات حياته تلك التى كان يقضيها بين المعابد الشامخة : فاستوحى أنشودة الكرنك من معابد الكرنك .. واستوحى أنشودة " نداء الغروب " من وحى " وادى الملوك " وهى قصيدة تتسم بالصور الشعرية المحلقة والخيال الفنى المجنح ، يقول فيها : (١)

عادت الطير الى أغصانها

تتغنى

حين ذاب النور فى ألحانها

وتثنى

xxxxxxxxx

وجرى فى أدمع الذكرى شراعى

مذ دعاه من فم الأجيال داع

xxxxxxxxx

وكسا الليل وشاح الذهب

فى الأصيل

وروى الموج حديث الحقب

للنخيل

xxxxxxxxx

طاف بى همس بعيد كالنداء

أيها السارى على غير اهتداء

قف تأمل

xxxxxxxxxx

(١) ديوان قال الشاعر/نداء الغروب/ص : ١٣٧/ ط دار النيل للطباعة/القاهرة ١٩٤٩م .

هاهنا وادى الخلود

وتمهل

كل مافيه رقود

xxxxxxxx

لاتنبه أعينا طال كراها

سحرها صان على الدهر حماها

xxxxxxxxx

أين منك الفن والمجد العريق

قف تمهل

فسحة من أمل الوادى وضيق

فتأمل

xxxxxxxxx

سأل الرمل وقالت زهرات

أى سار سبقته العبرات ؟

xxxxxxxxx

أنا مداحك ياوادى الجلال

نعم ودعنى

أبصر الدنيا بعينى وخيالى

فأغنى

xxxxxxxxxxx

أخذتنى نشوة السارى الغريب

وتنبهت على صوت الغروب

xxxxxxxxxxx

وتمهلت لعلى أسمع

رجعة الهمس البعيد

وتأملت وعيني تدمع

صور العهد العهيد

وجرى في أدمع الذكرى شراعي

وحاول شاعرنا أن تغني أم كلثوم هذه الأنشودة الرائعة ولكنه أخفق في محاولته .

xxxxxxxxxx

وكان هناك عامل جديد حبب لشاعرنا الاقامة في الأقصر في تلك الحقبة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ...

لقد مر بتجربة عاطفية عنيفة انتهت بالفراق ... فلجأ الى الأقصر " منتفاه المحبب " من القاهرة لينسى جراح قلبه وليفرق أحزانه بين معابد الأقصر ولياليها الحالمة ....

ويصور شاعرنا أحاسيسه بعد هذه التجربة العاصفة ، فيقول في رسالة شجية له : (١)

" ولقد رجعت الى منفاى مختارا طائعا لا ألوى في طريقى على شئ ، وعكفت على مكتبى أنفق فيه سحابة النهار وشطرا من الليل ، كما أفعل الآن .

"وماذا أصنع بهذه الصورة التى تطارد ذهنى فى اليقظة والكرى ؟
" وماذا أفعل بهذا الخافق الوثاب الذى لايفتر ولايهدأ ؟
" وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجعة التى تخف ظلالها بطريقى على الدوام ؟

" ولمن أشكو هذا كله ، وأنا انسان وحيد فى هذه الدنيا ،مثلى كمثل الشجرة اليانعة النابتة فى جوف صحراء جديبة موحشة مقفرة من كل كائن حى ؟

xxxxxxxxxx

ثم انتهت مرحلة الأقصر لتبدأ مرحلة جديدة فى حياة شاعرنا وشعره هى مرحلة الفيوم ....

---

(١) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأستاذ الأديب أنور أحمد .

" فى جنة الفيوم "

أخذ شاعرنا يسعى لينقل الى القاهرة ...

وأخيرا أفلح فى آن ينقل الى الفيوم - وهى قريبة من القاهرة - مدرسا بمدرستها الصناعية فى سبتمبر عام ١٩٤١م...

وعاش شاعرنا بين جمال طبيعتها وسحرها حيث النخيل والسواقى السبع تحوطها عيون " السليين " وعيون " الغدريمين " و " الحدائق المعلقة " و " بحيرة قارون " .

ويسعد شاعرنا بقربه من القاهرةوتبهجه طبيعة الفيوم الساحرة فيكتب الى صديقه أنور أحمد يقول له :

" والسواقى تكاد تطغى على نداءات خواطرى وأنا أكتب لك ، ومع هذا فانه لنواح حبيب .... ياليتنى أستطيع آن أسجله فى أبيات كما سجله رامى فى قصائد ...

" انها بلدة طيبة وادعة جميلة ... ولكن ليس لها سحر وادى الملوك ، وجلال جواره الكريم " .

ويستوقفنا هنا حديثه عن سحر وادى الملوك وجلاله مما يفصح عن مدى استغراق شاعرنا فى هذا الجو التاريخى الحالم فى مرحلة الأقصر بعد آن كان يشكو منه مر الشكوى .

وقد استوحى أحمد فتحى من جمال الطبيعة فى الفيوم وسحرها عدة قصائد رقيقة .

استوحى من وحى سواقى الفيوم قصيدته " صوت السنين " التى تتسم بجمال اللفظ ورقته وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة فضلا عن رومانسيتها الحالمة المبدعة .. يقول فيها : (١)

---

(١) ديوان قال الشاعر / صوت السنين / ص : ١١٥ .

أى سحر بعثت شمس الأصيل
فى ضياء شاحب اللون خجول
ونسيم واهن الخطو عليل
راح يلتف بأعناق النخيل

xxxxxxxxx

ضحك الزهر ، وغنى بلبل
وحكى الموج ، وأصغى الجدول
وتراءى فى الروابى أمل
آخر الأيام فيه أول

xxxxxxxxx

آه من ذكرى مع الليل تعود
طيف ناحل ، واه ، بعيد
يملأ الآفاق والقلب وحيد
يبعث النجوى ويبدى ويعيد

xxxxxxxxx

طال حرمانى وصبرى وحنينى
وسما بى خاطرى ملء السكون
أرهف السمع الى صوت السنين
هائما بين فتونى وذهولى

xxxxxxxxx

يا خيالى هذه الدنيا لنا
ليس الا أنت ، فيها ، وأنا
نقهر الدهر ، ونطوى الزمنا
ونرى فى كل واد وطنا

xxxxxxxxxx

فيم نشكو العمر والجرح القديما

والهوى اليابس واللوعة ، فيمـــــا ؟
نحن صورنـــاه من الوهـــم نعيمـــــا
فى ربيـــع باســم ضــاح ، جميـــــلا

xxxxxxxxx

ولعل انتقال شاعرنا الى الفيوم كان بمثابة الواحة التى ينشد فيها الراحل المجـــد ، بعض الراحة من وعثاء الطريـــق ، ووقد الهجيـــر ، وانك لتحـــس بـــرد الراحـة الذى أظل نفسه من خلال شعر مطرب كانت موسيقاه تـــردده مع سواقـــــى الغدير التى تترجم عن الحنين والنفـــس الملتاعـــــة .

فى قصيدته " صوت السنين " التى أوردناها ، نسمع منه لأول مرة نغما مؤنســا ، وأملا نديا ، وحنانا طوى مرارة دفينـــة ، واستقبل فجـــرا باسمـــــا .

وكانت هذه المرحلـــة (١٩٤١ - ١٩٤٣م) رغـــم قصرها من أكثر الفتـــــرات استقرارا فى حياة شاعرنا وأحفلهـــا بالانتاج الشعرى الخصب الذى يتسم بالتفاؤل والرومانسية الحالمة والاقبال على الحياة ولكن هذه المرحلـــة لـــم تستمـــــر طويـــلا ، فسرعــــان مابدأت مرحلـــة حاسمـــة فى حياة شاعرنا القلق الملول .

الاغتراب الروحـــــى "

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة فى حياة شاعرنـــــا ...

كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لايستقر على حال يعذبه شعوره " بالاغتراب الروحى" فهو دائما يشعر بغربة روحية موحشة ... لم يجد الاستقرار والأمان فى المـــــرأة أو الكأس أو المجد أو المال أو التنقل والسفر .

ويكتب لصديقه يعبر عن ضيقه ومله من خياله ويصور له أحاسيسه المرهفـــــة نحو السعى الى الجديد الذى ينفض عنه أثقال الكآبة ورتابة الملل ، فيعلن لــــه زهده فى القاهرة ولياليها ، فيقـــول :

" كرهت القاهرة ... ومللت حياتى بها . ان كل ركن فى العاصمة يثير دفينـــا من الشجن ، ويهيج ساكنا من الذكرى ، ويرتد بالقلب المثخن بجراحه الى صـــــور من الماضى الحافل بآثامه ومباذله ، الذى شاء القدر أن يضع له هذه الخاتمـــة الأليمـــة .

" فلأقنع راضيا أو غاضبا بهذه الحياة البليدة التى أحياهـــا .

" هنا بعيدا عن مراتع شبابى المسكين ... ولعل البعد ينسى أو يسلـــــى ، ولاأمل فى حياة عاطفية مستقبلة ، بل لارغبة فى شئ من ذلك وجه الاطــلاق .

" لقد أحببت كثيرا وتعذبت كثيرا كما تقول مريم الجدليـــة ولاأظننى مستطيعا أن أعالج حياة الشاعر من جديـــد ....

ولهذا قر قرارى على أن أودع هذا الفن العزيز فيما عدا نفثاتى السانحـــة على ماضى الغار ، الذى يعاودنى كلما بسط المساء جناحه على روحى الهائمـة فـــى القفار والمجاهيـــل " .

كانت حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة حياة تعسة شقية فضلا عما كان يعانى من آلام نفسية تعذبـــه وتضنيـــه ....

وينتهى شاعرنا الى قرار خطير يعد نقطة حاسمة فى حياتـــــه ...

لقد قرر أن يستقيل من عمله ويغادر الوطن ، ليلتحق بالجيش البريطانـــى .

" ومهما يكن فى قراره هذا من اغراب أو مروق ، فان عوامل كثيرة قــــد اجتمعت على الشاعر المسكين ، فحملته على اتخاذ هذا القرار فى ساعة يأس :

" حب ضائع ، وصحة منهارة ، وأمل مفقود فى وظيفة بالقاهرة ، وسخط علـــى الحياة والفن ، وخاصـــة تتركة فى ضائقـــة من العيش ، وهو بين كل هـــــذه العواطف وحيد ... لازوجـة ولاولـــد ولا أهـــل (١) .

xxxxxxxxxx

كانت الحرب العالمية الثانية قائمة فى ذلك الحين ، فانضم شاعرنا لقـــوات الحلفاء وأخذ يشد بقوات المحور ويرحل الى الميدان ويودع محبوبة العمر فـــى الفيوم بقصيدة رقيقـــة يقول فيهـــا : (٢)

أغاريـــد من ذكرى هواك وأنغـــام
تعـــود ، فهل عادت ليـال وأيـــام؟
هنـــا ... كان لى قلب سعيـــد ومرتـــع
رضـــى ، وآمـــال حســـان وأحـــلام
وكان هوانـــا يملأ الرحب بهجـــة
يصورها فى صفحـــة الكون رســـام
تسابق فيهـــا المغرمون ، وقسمـــت
حظوظ ، فمظلـــوم لديك وظـــلام
تخلـــف قلبى فى الزحـــام وخاننـــى
الى نبعك المورود مـــد وأقـــدام
أقابلك فى ضعف العجيب بذلـــه
أغالب دمعى وهو بالوجد نمـــام

(١) صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / مجلة الهلال / ديسمبر ١٩٦٦م .

(٢) أحمد فتحى / ديوان قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص : ١٤٣ .

لقيت الروابي ضاحكات كعهدها
كأن لم ترعها من غيابك آلام
وفي كل شيء ها هنا منك فكرة
وملء خيالي منك وجي والهام
تخيل لي اني آراك وانني
تصافح سمعي من حديثك أنغام
فأغفو على وهم اللقاء سويعة
وأصحو وما بيني وبينك أعوام
هنيئا لك الدنيا ، فان خواطري
اذا هبطت آفاق دنياك آثام
ومادام في بعدي لقلبك راحة
فلاخطرت بي في رحابك أوهام

ويصبح شاعرنا ضابطا بقوات الحلفاء في الصحراء الغربية المصرية ... ولكن كيف حدث هذا ؟

لا أحب أن أعرج على ما اضطرب فيه أحمد فتحي خلال تلك الحرب من تصرفات مبعثها فكر أضر به الحرمان الباكر في صدر حياته ، وأتلفه نهم للذاذات تورث السقم في الجسد وفي العقل، الا برأي لاينفي عنه العتب بقدر مايبحث له عن مخرج يرى منه القارىء شعاعا من العذر .

ومما لاشك فيه أن أحمد فتحي تأثر من قراءاته في كتب الغرب ، بما كان يحدث لمن تتجهم الدنيا حتى تضيق به أرجاؤها ، أو لمن يخفق في حب عنيف لايرى بعده حقا له العيش أو أملا في أمل ... وكان أولئك المصابون بهذه المآسي ينخرطون في " الفرقة الأجنبية " التي كانت تؤلف في فرنسا من متطوعين من كافة الأجناس . لم يكن هم هؤلاء المتطوعين الدفاع عن قضية ، أو بلوغ غاية نبيلة أو مبدأ سام أو احقاق حق ضائع بقدر ماكانوا ينخرطون في هذه الفرقة من أجل البحث عن الموت من طريق آخر غير الانتحار . ان شاعرنا يلقي بنفسه الاضواء على تلك الحقبة الغريبة من حياته في رسالة أدبية ممتعة بعث بها من " برقة "

فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٣م الى صاحبه. تفصح عن نفسية قلقة تحاول أن تجد فى ميدان الحرب ملاذا أو مهربا من الشعور بالغربة الروحية وتفصح الرسالة عن مدى احساسه الحاد بالقلق وعدم الاستقرار والغربة الروحية لشاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد يقول فيها :(١)

" وبعد ، فانك لتسأل ماذا حدا بهذا الشاعر المفتون أن يهجر داره الى غير أمل فى رجعة ، ولقد كانت حياته فى أرض الوطن هنية لينة ، ان أخطاها البذخ ، فقد كان فيها ترف ورخاء ؟

" وفى الحق انى لأسأل نفسى بمثل ذلك اليوم ، وانها لتجيبنى اجابة فيها غموض وابهام ومراوغة .

" أنت تدرى أننى رجل لاسبيل للمال الى استمالته ... ولكن حدث أننى سعيت الى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت فى سبيل ذلك مابذلت من نضرة شبابى ونور عينى .

" فلما بدا نجمى يتألق فى سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة اقبال المشوق ، كان ماتبقى لى من نفسى ذماء لايكاد ينتفع بالحياة فى جملتها ولا فى تفصيلها .

فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقى منذ أيام .

" ولقد فرغت الى الشراب من مواجعى وعذاب دنياى ، فما زادنى الا ضعفا عن احتمال الحياة ، ومواجهة متاعبها ، وعادت علة الحسد تزيدنى من يقظة جراح قلبى ، وأصبحت حياتى كلها مقاساة ونكرا .

" وتلفت حولى ، فاذا أنا ... ولاناصر ولامعين ... واذا بمثلى كمثل الكسرة من الخبز العفن ملقاة فى عرض الطريق ، ان وجدت تقيا يرفعها الى جانب الحائط ، فانها لن تجد من يأكلها بأى حال .

" قلت لنفسى ... لعلنا نصطنع لنا وطنا جديدا ، وعملا جديدا ، وآفاق جديدة ، يرتع فى ظلالها الاحساس الجريح والخيال مهيض الجناح .

" ولعل تغيير الجو المحيط ، وتبديل الوسط وتجديد المعالم لعل ذلك كله

---

(١) من رسالة خاصة لصديقه أنور أحمد .

أن يعين على صفحة الماضي بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير قط .

" وفي بضعة أيام ، أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور أحدا ولم أستأنس برأي أحد ، وحضرت رحلي أطياف الشباب ، ورحلت وأنا لا أدري إلى أين ...

" ولست أدري حتى الساعة ماذا يراد بي ، فان كان خيرا ، فقد أسلفت من الصبر والتجمل مايثبت حقي أن أنعم بما بقي لي في صحبة الحياة من أمد ... وان كان شرا ، فقد : تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر" (يبعث لمحبوبته من الصحراء قصيدة " همسات " التي يقول في مطلعها :

أنا أهمس الحب في سمع الوجود ... فاسمعيني

كان هذا تحليل شاعرنا للظروف والعوامل النفسية التي دفعته إلى الزج بنفسه في أتون الحرب هربا من قسوة الواقع ومرارة الهزيمة النفسية التي تعذبه وتضنيه ....

xxxxxxxxxx

وفي نفس الرسالة يشكو من هجر شيطان شعره الصادح في " برقة " بليبيا فيقول :

" ولكن شر ما أكابد الآن ، هو هجر شيطاني الصادح الذي طالما هششت إلى هزجاته بين تجهم أيامي وفي أسياتها العابسة ، فما عدت أهتف ببيت من الشعر زاحد ، ولا عاد يطرقني طيف من أطياف الخيال " .

ثم تمض الوحدة ممضة ثقيلة على شاعرنا وهو ينتقل مع قوات الجيش البريطاني في الصحراء الليبية وهناك يستطيع أن ينشيء علاقة عاطفية مع حسناء ، فيعود شيطان شعره الهارب ويستلهم منها قصيدة رقيقة بعنوان " الجارة الحسناء " يقول فيها :

أشرقت في ليل أراق ظلامه

في خاطري ، ليزيد فيه عذابي

فرأيت ثغرك ضاحكا عن دره
متألقا فى بشره الخلاب
وتبسمت روحى اليك ، وعادها
طيف التغزل بعد طول غياب
وشكا فؤادى ظلم ماحملته
ليصون عهد أحبتى الغياب
وجرت على شفتى ظلال تحية
تسعى اليك بهمسة الاعجاب
فهتفت والذكرى يلم خيالها
فيرد آثامى على الأعقاب
ياجارتى الحسناء ، مالك موضع
فى القلب بعد تفرق الأحباب
فى ناظريك من الصبا وفتونه
يبدو سؤال ظامئ لجوابى
لكن مشغول الفؤاد يعوذ من
سحر العيون بدمعه المنساب

ثم يتذكر محبوبته التى تركها فى مصر فيقول :

لى فى ربى الوادى السعيد فريدة
فى حسنها ، تشتاق يوم آيابى
عندى لها باقى الوفاء ، وعندها
لهواى اعزاز وحسن ثواب
ولعلنا بعد النوى أن نلتقى
فتقرعين شبابها وشبابى

xxxxxxxxxxx

ويزداد احساس شاعرنا " بالاغتراب الروحى " فى الصحراء حيث الوحدة والسكون والتأمل والليالى الطويلة المسهدة ....

ويسترجع شريط حياته فيجدها باطل الأباطيل وقبض الريح وتنتابه سوداوية قاتمة واحساس مظلم بكل أمل له فى الاستقرار والحياة الهادئة وبقيمة مايكتب ويسجل هذه الأحاسيس الحزينة فى رسالة خاصة الى صديقه أنور أحمد فيقول :

" لاأكتمك ما أحس من فقدان كل أمل فى الحياة المنتظمة والاستقرار وأؤكد لك أن خيال العش الجميل والأليفة والأطفال لم يعد عينى أبدا .

" ولقد أصبحت رجلا بلا ماض ولامستقبل ، ولارجاء فى المستقبل .

"ولاتحسب هذا مصدر ألم لى فقد رضت نفسى عليه رياضة كافية ، وأصبحت أستمتع بالحياة الفردية الموحشة الى غير حد ، وأصبح كل همى أن أركز كل جهدى فى العمل الذى أكسب منه القوت .

"وفى وقت فراغى متسع أنفقه على العمل الأدبى والانتاج الفنى ، وقد يشاء الله أن أظفر منهما بعد بعض الوقت بشىء تكون له قيمة تاريخية تذكر ... فمن يدرى ؟ ".

"وفى رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٤٣م يمضى شاعرنا فيسجل نفس أحاسيسه الحزينة القاتمة ، وكأنه يرثى نفسه فى عنفوان الشباب وفتوة العمر ، فيقول :

" منذ أيام قليلة ، ودعت عامى الثلاثين ، ودخلت فى الحلقة الرابعة ، ولاأكذب عليك ، فان خوفى من الشيخوخة الباردة العاجزة لاحد له ...

" وأخشى ما أخشاه أن تكون خطواتى فى سبيل الفناء سريعة من حيث لاأشعر ".

ويقول فى موقع آخر مصورا أحزانه وآلامه :

" أجدنى حقيقة ضائقا بالزمان والمكان ، ويزيد المرض من حدة هذا الضيق ...

" أذكرتنى العيد ... ولابأس من أن أقول لك أن حياتى لم يعد فيها مكان للأعياد ... واذا أمكن استثناء الأفراح الصغيرة الهادئة التى يغنيها قلبى لالهاته الجاحدات ، تستطيع أن تزعم أن كلمة العيد قد محيت من قاموس أيامى ولياليى .

" وفى السقم والعلة والضعف ، يدرك رجل مثلى فداحة جرمه فى حق نفسه ،

اذ آثر منذ زمن بعيد هذا النوع من الحبس الانفرادى الحافل بالشقاء ، بدلا من سعادة الأسرة وفرحة الحياة بالعيش الهادىء ، والعصافير الصغيرة المغردة " .

كانت هذه خواطر شاعرنا الجزينة فى قلب الصحراء التى ألقى بنفسه فى أتون الحرب لاجئا اليها فرارا من عذابات نفسه وأحزان روحه علة ينسى وترتاح نفسه لكن ذلك لم يزده الا حزنا وضيقا على ضيق ... وكانت هذه حلقة ترسم أبعاد مأساته العاصفة التى كان يتجه اليها بسرعة فى عنفوان شبابه الغض ...

ولعل أصدق مايعبر عن احساسه بالاغتراب الروحى من شعر قوله فى قصيدة تفصح عن نفسية قلقة مفتاحها الاغتراب الروحى : (١)

ظمئت ، على قربى ، من النهل والعل
فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلى
وضقت بليلى ، ساهدا ، ولو اننى
تعزيت لم أشك التسهيد فى ليلى
وعشت حياتى وحشة ليس ينتهى
مداها ودونى سائر الصحب والأهل

xxxxxxxxxxxx

هذه ملامح لأحزان شاعرنا منذ مطالع شبابه ندرك من خلالها مدى عمق المأساة التى عاشها أحمد فتحى من مولده حتى الى يوم رحيله ... ومن هنا كانت مأساة حياته العاصفة .

على أنه بعد أن عمل ضابطا بالقوات البريطانية فى الصحراء الليبية ابان الحرب العالمية الثانية انتقل الى جزيرة صقلية حيث عمل فى قسم الدعاية والنشرات الحربية ...

---

(١) مجلة الرسالة / من وحى الصحراء / ٢٧ يونية ١٩٣٨م.

ثم مالبث أن عاد الى القاهرة فى أوائل عام ١٩٤٤م وحاول أن يجد وظيفة مناسبة فى القاهرة فأخفق ...

فلجأ الى صاحبه المرحوم محمد سعيد لطفى - مدير الاذاعة المصرية يومئذ - وقد كان على صلات طيبة بالانجليز ، فتوسط للشاعر عندهم لتعيينه مذيعا بالاذاعة البريطانية بلندن ...

واستعد شاعرنا للسفر الى لندن لتسلم مهام عمله الجديد ... لتبدأ مرحلة جديدة فى حياته وفى شعره ....

" ليالى لندن "

عين أحمد فتحى بالاذاعة البريطانية بلندن مذيعا ومترجما للأخبار بالقسم العربى بها فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٤م.

وكانت لندن تعانى فى تلك الحقبة من فترة مظلمة ظالمة تكاثرت فيها القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية فى عنفوان اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية .

ووسط ظلام لندن الحالك فى تلك الحقبة المظلمة حاول أن يدفن أحزان روحه وآلام نفسه فى الكأس والمرأة والسفر فأطلق لبوهيميته العنان وكان من أغرب نزوات شبابه فى تلك الحقبة أنه تعلم الطيران فى بقعة من أجمل بقاع الريف ، فى جنوب انجلترا ونجا من الموت فى محاولاته الأولى بأعاجيب غريبة ولم يحاول أن يقيد نفسه بمواعيد ثابتة أو بعمل معين ومرجع هذا كله احساسه الحاد بالاغتراب الروحى والوحشة النفسية مما جعله ينطلق فى بوهيميته وعدم التزامه بقيودها .

ويروى الأستاذ صالح جودت صفحة مجهولة فى حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة فيقول : (١)

" على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته ... لقد أحب هناك أحب شابة انجليزية اسمها " كارول " وهى من بنات الطبقة المتوسطة ، وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة سماها " جوزفين " (٢)

ولكن كان لشاعرنا نشاط خصب ومثمر فى العاصمة الانجليزية ، فبجانب

---

(١) بلابل من الشرق / ١٩٦٠م.

(٢) فى بعض اعترافات شاعرنا أن اسمها عائشة وأن الزواج تم عام ١٩٤٥م.

صولاتــه وجولاتــه العاطفية كان فى نشاطه الثقافــى ...

فى الاذاعة كان يقدم أحاديث أدبيــة وقام أثناء الحرب بترجمة خطب الزعيــم البريطانــى ونستون تشرشـــل .

وفى احدى رسائله يتحدث عن جانب من نشاطه ، فيقـــول : (١)

"عاودنى النشاط الأدبى بعد أن استقر بى المقام ، وقد فرغت من سلسلــة أحاديث عن رحلتى الى الصحراء ، وبدأت سلسلــة أخرى عن الشعراء المعاصرين " .

وفى رسالة لاحقة بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٤م يقـــول :

" بدأت كتابة مؤلف جديد عن لندن فى زمن الحرب ، وربما استغرقنى بضعــة شهور ، وقد بدأت أمس قصيدة غنائية وهى تبشر بشئ من طراز " الكرنك " وان كــان فيها روح أبيقورى ، ربما قاد الى خاتمة تمتاز بلون وطنـــى " .

" ثم تأتى مأساة المآسى فى حياة شاعرنـــا ...

تعود شاعرنا أن يفرط فى الشراب ، فلا يكاد يفيق منه ، وهكذا لم يستطـــع أن ينهض بتكاليف الزوجية وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الانجليزيـــة أن تجدد اقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ويبحث عـن أى مصير كانت هذه مأساة المآسى فى حياة أحمد فتحـــى ...

واستقال شاعرنا من الاذاعة البريطانية فى يونية عام ١٩٤٦م وعاد الى مصــر ولم يتح أن يرى ابنته الا عام ١٩٥٥م لآخر مرة وبعد وفاته بفندق كارلتون بالقاهرة عام ١٩٦٠م وجدت صورتها وهو يحتضنها بين يديه بتشبث وأمـــل ...

---

(١) تاريخ هذه الرسالـــة صيف عام ١٩٤٤م ، وهى من ضمن مجموعة رسائله لصديقـــه الأديب أنور أحمـــد .

" فى الأراضى المقدسة "

أثناء وجود شاعرنا بلندن تعرف على الشاعر السعودى الرقيق الأمير عبدالله الفيصل صاحب ديوان " وحى الحرمان " وبعد أن عاد شاعرنا الى مصر من لندن حوالى عام ١٩٤٧م بعد أن مكث بلندن لفترة بعد استقالته من دار الاذاعة البريطانية ذهب الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٩٤٨م ، وعين مراقبا عاما للبرامج باذاعتها ، بمدينة جدة .

وكان له أثناء ذلك نشاط خصب ، فكان يشارك بالبرامج الجديدة والقاء أجمل ألوان الشعر العربى قديمه وحديثه وغلب على الاذاعة الطابع الثقافى اللطيف وأحدث تجديدات كبيرة فى برامج الاذاعة كما شارك فى النهضة الأدبية بالسعودية ...

وفى تلك الحقبة كان يصطحبه صديقه الشاعر الأمير عبدالله الفيصل فى رحلاته الصيفية بين مغانى أوربا وربوعها فى باريس ولندن وروما وما لبث أن استقال من الاذاعة حوالى عام ١٩٤٩م واستمر يعمل بالمقاولات فى الأراضى المقدسة وجلب له عمله الجديد المال ...

وكانت لرحلات شاعرنا الى مصايف أوربا وربوعها آثار عميقة فى شعره فأمده بزاد وفير من المشاعر والأحاسيس عكسه فى شعره وفى أدبه النثرى فيما بعد ...

وكانت هذه الرحلات البلسم الذى داوى أحزان روحه لبعض الوقت بعد ليالى الحرمان والأحزان والوحشة .

ولكن سرعان ماعاد شاعرنا الى مصر عام ١٩٥٣م بعد أن ظل بضع سنوات فى الأراضى المقدسة فى بحبوحة من العيش والرفاهية ليبدأ فصلاً جديداً آخر فى حياته الخصبة العريضة .

أحمد فتحى صحفيـــــــا "

عاد شاعرنا الى مصر فى حوالى عام ١٩٥٣م ومعه بعض المال ولكنه كان مسرفا، فأنفقه عن آخر فى فترة وجيـــزة ...

وظل يحرر فى بعض المجلات والصحف ينشر فيها مقالات وقصصا مترجمة قصيــــرة ويضع قصائد حتى ألحقه المرحوم صلاح سالم بصحيفــــة " الشعب " ليحرر صفحتهــــا الأدبيــة ... وبدأ أحمد فتحى يحرر فيها بابا أدبيا شيقا تحت عنوان " ســوانــح وذكريــــات " ضمنــه خواطـره الفنيـة والأدبية والذاتيـــة ... واتجـــه منـــذ حوالـى عام ١٩٥٥م الى الكتابـة الأدبيـة والى النقد والى الحديث عن الكتـــب ومايصدر منها فى مختلف شئون الفكر والثقافة والفنون . وقد كان متمكنا مــــن اللغة الانجليزية التى أعانته على أن يطلع على آدابها وفنونها ويغترف منهــــا ماشاء لـه حسن ذوقـه ورقـة مشاعره وولعـه بالطريف فى النقد والأدب .

وأخذ أحمد فتحى يحرر تلك الصفحة الأدبية فى صحيفة " الشعــب " وكانــــت نتاجـا لتجاربـه وقراءاته ، وصدى لمعاناته التى لزمتـه طول حياتـــه .

ولكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كـــل ماتجود قريحتـه . فهى كالمركـز المغناطيسى الذى تتجه اليه سائر أفكــــاره أو كمركز الدائرة الذى تتشعب منه جميع الأشعة فى كل اتجـــاه .

وهذه القاعدة توشك أن تكون أزلية وعامة ، فمن شعراء الجمال فى الغـــرب نجد بايرون وكيتس وشيللى ولامارتين ومن شعراء الطبيعة نرى بوشكين و ورد ذورث الذى سموه " شاعر البحيرات " ومن شعراء الدراما شكسبير وراسين وكورنـى وفيكتور هيجو ، ومن شعراء الأدب المكشوف بودلير الذى أطلقوا عليه شاعر اللذة والألـــم ، وزعيم الرمزية وهو صاحب مجموعة قصائد " أزهار الشـــر " التى كانت السبب فى وقوفه أمام القضاء بتهمة انتهاك حرمة الآداب العامـــة .

ومن شعراء الوطنية فى العالم طاغور ودانتزيو وكبلنج وفردريك شيللـــــر وفولتير الذى مهد للثورة الفرنسية وكان يسمى " شـــرارة الثـــورات " .

ومهما يكن من أمر هذا التخصص ، فان الشاعر لاتقيده قيود ، ولاتقف في سبيله حدود ، ولكن المركز المغناطيسي الذى أشرنا اليه هو الذى يجذف أفكاره ولايغيب أثر عنه مهما انشغل فى شأن من الشئون ....

وقد عرب أحمد فتحى فى تلك الحقبة (١٩٥٥ — ١٩٥٩) عشرات القصص الغربية القصيرة لكبار كتاب القصة القصيرة ...

كما كتب عشرات المقالات التى تملأ عدة كتب أدبية قيمة ...

ومن خواطره الأدبية التى سجلها فى تلك الحقبة فى بابه " سوانح وذكريات " تلك الخواطر الشيقة بعنوان " أمواج وأشعار ونظريات " كتبها فى رحلة الاسكندرية يقول فيها : (١)

" من أسوأ عاداتى أو أحسنها ... لاأدرى ...
اننى لاأستطيع النوم فى ساعة مبكرة ...

وكان الليل قد انتصف منذ ساعة أو نحوها عندما انصرف عنى الأخوان، وتركونى وحيدا ...

" ووجدتها فرصة سانحة للتريض سيرا على القدمين ، والخلوة بصديقى العظيم ، القديم ، البحر ...

" ومشيت ، ومشيت ، والأفكار تداعب صفحة ذهنى كما تداعب أنسام الليل صفحة الأمواج .

" وطافت بى ذكريات من الماضى القريب والبعيد ... الشقى والسعيد ووقفت أتأمل أنوار الطريق فى مرآة الخضم الزاخر ، الذى ألقى عليها الليل وشاحه القاتم وتمتمت شفتاى دون قصد بقولى فى وصف الصورة نفسها منذ سنين :

على الماء قلبى ، فى نساره وفى المساء ألسنة من لهب

---

(١) صحيفة الشعب / ٢٤ أغسطس ١٩٥٧م .

" وامتد بصرى الى صفحة الماء ورأيت فيها ألسنة اللهب تتراقص ، كأنها عبارات مضطربة فى سياق قصة حب خالد ..

" ثم نفذ بصرى الى حنايا ضلوعى : كان قبلى هناك : بلا نار ولا نور.. مجرد رماد باردا !.

" وضللت طريقى فى زحام السنين ، والتى جرفنى موكبها العابر أمام عين خيالى ، صورة بعد صورة ، وكلمة بعد كلمة ، وظلالا بعد أشعة ، وأصداء بعد أنغام .

" وودعت الليل الراحل الى لقاء قريب ، ورحبت بالصباح الوافد لغير بقاء وقلت للبحر : هكذا حظك من الدنيا ، وحظى أنا ، ودوام الحال من المحال " .

وكتب تحت عنوان " الحساب الختامى " بمناسبة حلول عام جديد يقول (١) :

" لعل من أكبر مشكلاتى أننى أحب مناجاة أحداث الماضى أكثر مما أحب التطلع والتشوق ، الى احتمالات أحداث المستقبل ، وأننى كثيرا ماأتسى تعسى، بين غدى وأمسى .

ومع اعترافى نجوفى من تعقيد الحياة ، وعزوفى الدائم عن وضع العثرات فى طريق موكب أفكارى ، لاأجد مندوحة عن التساؤل والاستفسار ، لقد مضى عام كامل بأفراحه وأتراحه ، وأحداثه ، الكبار والصغار ، وأقبل على ، وعلى أعصابى وعلى عواطفى ، وعلى أصدقائى ، وعلى غير أصدقائى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، عام جديد ، كلنا يرجو أن يكون عاما سعيدا ، وكلنا يرجو أن تنبجس أيامه ولياليه ، عن خير شامل ، ونعمة سابغة ، وراحة بال واستتباب السلام العام ....

فهل تصدق الأحلام ؟ من يدري ... لعلها تصدق ...

اذا صدقت الأحلام ، فبها ، ونعمت .

---

(١) صحيفة الشعب / ٣ يناير ١٩٥٧م.

وإذ لم تصدق ، فلا حول ولا قوة .

أحلامى ، وأحلامك ، لايمكن أن تصدق جميعها .

آلامى ، وآلامك ، لايمكن أن تصدق جميعها .

مرحبا بالعام الجديد ، الذى لابد أن يحمل الينا بعض الخير ، ولابد أن يروعنا ببعض الشر ، لأنه لايمكن أن يكون كله خيرا ، ولايمكن أن يكون كله شرا ، فالدنيا دواليك ... يوم لك ويوم عليك ، وتلك سنة الحياة .

" فى باكورة الشباب ، وفى ريعانه ، كنا نشيع العام الماضى فرحين مستبشرين ، غير جازعين لفراقه ، ولاباكين عليه .

" وبعد الأربعين أصبحنا نبكى لفراق كل عام ذهب ونوجس خيفة من كل عام يقبل ، وهذا منطق من يراجع حساب الختام فى نهاية كل عام " .

وبعد ، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا نشاطا ملحوظا فى مجال النشر ، فقد ترجم عدة كتب منها "فن الحياة" لأندريه موروا و جان كريستوف لرومان رولان ولخص كتاب " عظماء معاصرون " لتشرشل وترجم مختارات من شعر ميلتون وبعض كتب برناردشو ، بجانب مؤلفاته التى نشرت فى مطالع شبابه وهى قصة " الله والشيطان " وهى أقرب الى الحوار الفلسفى للقصة وديوانه اليتيم "قال الشاعر " الذى صدر فى القاهرة عام ١٩٤٩م وكان شعره فيه يندرج تحت ثلاثة أبواب هى:

١ - مناسبات : يغلب عليها القصائد السياسية والحزبية مثل محنة العرب - مؤتمر أريحا - الدستور والانتخابات - بإحصاءة السلام ... الخ .

٢ - خصوصيات : يغلب عليها الطابع العاطفى والغزلى والوجدانى مثل قصائد :أحزان البيان - الرسم المحترق - الدمية الحسناء - وصية راقصة - لوم ... الخ .

٣ - أغاريد : وتجمع هذه القصائد بين الشعر العاطفى الغزلى والشعر التصويرى الوجدانى مثل : الكرنك - فجر - حديث عينيى - همسات - أنت - نداء الغروب - اليها وهى قصائد تغنى بها كبار المطربين مثل الموسيقار محمد عبد الوهاب والموسيقار رياض السنباطى وأسمهان ولورد كاش ومحمد صادق .

المرأة فى حياتــه

"ملهمــة قصـــة الأمـــــس"

كانت فى حياة أحمد فتحى قصة حب كبيـــر ... ألهمه أجمل قصائد الحب وأرقهـا فى سنواتــه العشـــر الأخيـــرة ...

كان حبا تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة وكان حبـــا عنيفـــا عاصفا دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة ضار بين عرض الحائـــط بكل العقبات والأشواك التى تعترض حبهمـا العنيـــف .

يقول أحمد فتحى فى بعض اعترافاتـه عن هذه التجربـــة :

" فى هذه التجربة أحسست للحب طعما ومذاقـــا جديديـــن ...

" شعـــرت أننـى أحيا حياتـى من جديـــد ...

" كانت تبحث عن الحب مثلما كنت أبحث عنه والتقينا عند هدف واحـد ...

" وتعانقت روحانا وشعرت يومها أننى كنت تائهـا بشراعى وسـط محيـــط متلاطـم وكانت هى المنار الذى أنقذنـــى ...

" كانت علاقتنا تحوط بها الأسـلاك الشائكة والألسنة الهامســة ...

" تحايلنا على الظروف ... كنا نلتقى وسافرنا الى أراض بعيدة ، ثم عدنـــا مرة أخرى الـى القاهـــرة ...

" ألهمتنى شفتاهـا أجمـل قصائـــدى ...

"وعلى صدرها ارتاحت أروع خواطرى : وكانت كلهـا باسمـــة " .

وعاش شاعرنا هذه التجربـــة عشر سنوات كاملـــة ...

وأخيرا تغلب منطق العقـل على صوت القلب والعاطفـة فطلبت منـه محبوبتـــه الافتراق ، وقالـــت لـــه :

- سأظل أذكرك دائماً ... ومن الجائز أن يكون الحرمان بالنسبة لك منجماً تستهلم منه أعظم أعمالك الأدبية ...

وافترقا وملء قلبيهما اللوعة والأسى .

واعتكف شاعرنا عن الناس ، يعايش وحدته القاتلة وليس له من صديق سوى الكأس والمصباح والذكريات ...

الهمته قصيدته الوجدانية الرائعة " قصة الأمس " التى تنبض بالحرارة والصدق وحرقة الوجد والتى استلهمها من وحى هذه التجربة التى صهرته بالعذاب والتى يقول فيها :

أنا لن أعود اليك مهما
استرحمت دقات قلبى
أنت الذى بدأ الملالة
والصدود وخان حبى
فاذا دعوت اليوم قلبى
للتصافى لن يلبى

xxxxxxxxx

كنت لى أيام كان الحب لى
أمل الدنيا ودنيا أملى
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

xxxxxxxxx

وكنت عينى وعلى نورها
لاحت أزاهير الصبا والفتون
وكنت روحى هام فى سرها
قلبى ولم تدرك مداه الظنون

ثم يبلغ ذروة تأثره وعتابه لملهمته الظلوم ، فيقول :

وعدتني ألا يكون الهوى مابيننا
الا الرضا والصفاء
وقلت لي أن عذاب النوى
بشرى توافينا بقرب اللقاء

xxxxxxxxxx

ثم أخلفت وعودا
طاب فيها خاطري
هل توسمت جديدا
في غرام ناضر

ثم يطلق شاعرنا هذه الصرخة الحارة المتقدة من قلب حزين مكلوم على هذا الغرام الذاهب وهذا الحب الغارب :

فغرامي راح
ياطول عرامي اليه
وانشغالي في ليالي
السهد والوجد عليه

ثم تخفت النغمة في عتاب هادىء حزين :

وكنت روحي هام في سرها
قلبي ولم تدرك مداه الظنون

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه لايجد له أنيسا الا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي
وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي
يالذكراك التي
عاشت بها روحي على الوهم سنينا

ذهبت من خاطري

الا صدى يعتادني حينا فحينا

وتمر لياليه طويلة ممضة مفعمة بالجراح والأحزان تخايله أطياف الذكريات فتؤرقه فى معبده الصامت :

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدى

وأماني حسان رقصت فى معبدى

وجراح مشعلات نارها فى مرقدى

وسحابات خيال هائم كالأبد

وعندما تغنت أم كلثوم بهذه الأنشودة الرائعة بلحن رياض السنباطي الدسم عكف أحمد فتحى فى غرفته يستمع اليها ويبكى وحيدا يعانى مرارة التجربة ويستنشق عبير الذكريات ...

وظل أحمد فتحى " شاعر الجراح والمصباح والأقداح " يحمل لهذا الحب أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة فى حياته ....

كان عندى وليس بعدك عنى

نعمة من تصوراتى ووجدى

ياترى ماتقول روحك بعدى

فى ابتعادى وكبريائى وزهدى

ثم تبلغ ذورة يأسه فيرجو لمحبوبه أن يعيش كما يهوى أما هو فسوف يعتكف وحيدا لارفيق له سوى الجراح والمصباح والأقداح وليالى السهد والوجد والشجن .

عش كما تهوى قريبا أو بعيدا

حسب أيامى جراحا وشواحا ووعودا

ولياليّ ضياعا ، وجحودا

ومضاء يترك القلب وحيدا

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه لايجد أنيسا له الا المصباح والأقداح والذكريات .

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى
يالذكراك التى عاشت بها
روحى على الوهم سنينا
ذهبت من خاطرى
الا صدى يعتادنى حينا فحينا

" مأساة شاعر الكرنك "

كان أحمد فتحى قد عانى منذ صباه ، ألم الحرمان من حنان أبويه اللذين رحلا عنه فى صدر صباه الباكر ، ثم لم يلبث أن تقلب فى أتون من عذابات القلق والحيرة والاكتئاب .

وطافت به مطالب العيش بين مختلف الأصقاع فى غرب أو شرق . وكان حظه من متاع الحياة أقل من القليل .

ولولا نوازع انسانية فى قلوب بعض من أحاطوا به لساء حاله عما كان عليه ، فماذا تنتظر من هذا الشاعر الذى لقى من دهره كل هذا العناء من ضن النصيب وقسوة الحرمان ؟

عاش أحمد فتحى حياة قلقة مضطربة ، كما لو كان قاربا فى محيط ، ضاع منه المجداف ، وانفصلت منه دفته ، وتمزق من فوقه الشراع ...

وكان هو يطلب العلم فى انجلترا (١٩٣٠ - ١٩٣٣) على نفس القدر من القلق والحيرة وهو فى الأقصر (١٩٣٨) فلقد نشأ قلقا منذ طفولته ولازمه قلقه الذى كان يسرى مع دقاته حتى آخر يوم فى حياته .

والقلق نعمة فى صورة نقمة للشاعر الملهم . انه من ذخائره من حيث لايدرى ... وهو من هواتفه من حيث ينحى عليه باللائمة وهو من قبل ومن بعد ، نار ونور ، يتلظى منها ساعة ، ثم لايلبث أن تعكس حرقتها نورا على ماينظمه من قصيد أو نشيد أو أغنية . انه القائل :

نوحى على قلق الغصون ورجعى
ياطير آهات الفؤاد الموجع
واستودعى الألحان من حرق الجوى
وشجونه ماشئت أن تستودعى

xxxxxxxxx

والنفس اذا استبد بها القلق والحيرة ، نفس من عناشها بالغناء تنظمه في شعر يفيض بالموسيقا العذبة الشجية .

والطير والغريب والمحروم والعاشق ، سواء في رقة مايتغنون به . وكانما تشاء قدرة الله وارادته أن تعوضهم عما يعانون ، فتغدق عليهم من الملكات أروعها وهو الغناء والموسيقا .

وكان شعر أحمد فتحي في جملته يغني ، وترى ألفاظه وهي تصدح كأنها الوتر الحزين أو الكنار الشجي الباكي .

أنظره في هذه الموسيقا الشعرية :

قالوا يراعك قد تنكب في القوافي قلت أنه

ما فضله ان لم يخلد مجد صاحبه وفنه

بالقافيات الرائعات المحدثات فنونهنه

xxxxxxxx

كانت مأساة أحمد فتحي أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه وواقعه ... وكان دائما لديه احساس حاد بالاغتراب الروحي ، فعاش قلقا حزينا مشردا في الأرض ، لازوجة له ولاولد ، ولامال ولاصديق وفي ، لاترى حوله ان شقي أو مرض أحد من ذويه ولاصاحب الا الكاس ، يرشفها في نشوة ، وتصرعه في قسوة .

ويلقي شاعرنا الأضواء على سر انغماسه في اللذة فيعلل سر أبيقوريته المتشية المرحة ، فيقول : (١)

" ان تنشئتي الموحشة قد ملأت قلبي ظمأ الى أنس المجتمع ، ومباهجه السافرة. " كانت أيام شبابي الأولى ضروبا من الوحدة والضعف والألم ، وليس معنى هذا أنني كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله ، كما تحيا الشجرة

---

(١) أحمد فتحي / الله والشيطان / ١٩٣٩م / ص : ٨ .

النابتة فى جوف الصحراء ، ولامعنى ذلك أننى نشأت مهيض الجناح معتل البدن ، ولا أننى كنت أعيش فى بوتقة تنصهر فيها الدموع .... كلا ... ولكننى كنت فى محيط أشعر فى أعماقى أنه لايمنحنى من الحب بعض ما أمنحه ، وأرجو أن يمنحنى ، وكان هذا يشعرنى دائما بأننى ضعيف بمن حولى ، فما كان بوسعى اعتبارهم قوة أصمد بها فى وجه الأيام .

" وكان هذا الشعوريجعل حياتى معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتى على قلتها " .

من هنا كانت مأساة شاعر الكرنك ...

هرب الى المرأة والكأس والسفر والحرب يحاول أن يجد فيها ملاذا من أحزان قلبه وآلام روحه فتحطم ....

وكانت مأساة شاعر كبير حساس .

وفى سنواته الست الأخيرة (١٩٥٤ - ١٩٦٠) بلغت مأساته ذروتها ...

كان يذوب تدريجيا ....

كان فى تلك الحقبة يعانى من علة الكبد ،وكان ساخطا على الأدب والفن ، وقلة ذات اليد بالاضافة الى أنه بين كل هذه العواصف وحيد لازوجة ولا ولد ولاأهل .

وفى تلك الحقبة كانت الصدمة التى هزته من أعماقه هزا عنيفا ...

فقد قررت محبوبته اللمسة الحانية فى حياته ولمحة الضوء فى الأفق المظلم - قررت الافتراق عنه بعد حب دام سنوات ...

وأحس بالمرارة والضياع فلجأ الى الليل وأهمل نفسه وصحته وهام بالعزلة وكلف بالوحدة وطفق يسرف فى الشراب يدفن فيها أحزانه وانطوى على نفسه بعيدا عن المجتمع فى وحدة قاسية ممضة لارفيق له سوى المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح
والذكرى معى
وعيون الليل يخبو

نورهــــا فــــى أدمعـــــــــى

ثم راح يذوب تدريجيـــــــا ...

واشتدت عليه العلة ودخل المستشفــى الايطالــى بالقاهرة وبعد أن خــــرج من المستشفى فى شهر أكتوبــر عام ١٩٥٩م خــرج ومعه ذكرى لملاك أبيــض رآه ... راهبــــة فى شبابها البيضــــاء زاهـدة الا من انسانية لاتمن بها وانما تحــاول أن تعطيهــا وهى تحنو عليــه مع جمال روح ورضــاء نفس وابتسامـــة نقــــاء...

وكان أحمد فتحى يعيش فى تلك الحقبة من حياته فى جو من الروحانية والصفاء فكتب وهو على فراش المرض قصيدة بعنوان " أراهبة أم مــلاك " يقول فيها : (١)

أجل والمسيح الحى والجو الفانــــى
لقد عاش فى قلبــى ، مع الحب ، طيفــان
رجاء وشيــك البرء ، ترقص روحــــه
بخفة مفتون ، ونشــوة فتــــــان
ويأس قرير العيــن مايرنو خيالــــه
الى جنة الفردوس ، فى العالم الثانــى
فلا تجزعى ، ياأخت ، أنــك خاطـــر
يطل على حانــى ، ليسمع ألحانــــى
وماألحان الا معبــدى ، وبقدســــه
أقيــم صلاواتــى ، وأخلو بايمانــــى
وهبت صباه للسماء ، فطهــــــرت
جمال ، فلم يدنس ، بقــــاص ، ولادان
وزهدك فى دنيا الـــورى ، ومتاعهـــا
تبلــور نفســى ترتضى كل حرمــــان
وياأخت : هذا الزهد آية نعمـــــة

---

(١) الأهــــرام / ٢٨ أكتوبــــر ١٩٥٩م.

من الله ، توحى باحتساب ، وغفران
فداوى سقام الناس ، وابتسمى لهم
بلطف سماح ، أو بشاشة احسان
فان الثواب الحق ، ليس ينالـه
سوى قلب واف مالا يضن بقربان

وعندما أقبل العام الجديد ... عام ١٩٦٠م كتب قصيدة يكاد يرثى فيها نفسه .... والغريب أنه توفى فى هذا العام بالذات ... يقول فى هذه القصيدة : (١)

قال لى ، والليل يسرى بيننا
نغم يسرى ، سؤالا ، وجوابا
ماترى الأيام ، فى آثارنا
مسرعات الخطو ، تنساب انسيابا ؟
مالنا ننكر من موكبها
انه يدهم شيبا ، وشبابا
قلت والفجر جبين مشرق
وجناح الليل فى الأنوار ذابا
هكذا الدنيا ، وفى حالاتها
حيرة الفكر ، يقينا ، وارتيابا
ذهب العام الذى روعنا
منه ، ماروع ، سقما ، وعذابا
ماترانى طمست آثاره
فى خيالى لوعة ، الروح ، عقابا
لم أعد أرجو ، ولاأخشى ، ولا

---

(١) الأهرام / أول يناير ١٩٦٠م.

أحب اليوم ، لأعوامي ، حسابا

وعندما اشتدت عليه العلة بجانب أحزان روحه في عامه الأخير (عام ١٩٦٠) كتب قصيدة عن رحيل الشتاء تفصح عن روح حزين ونفسية شقية تكشف عن أبعاد المأساة لشاعر في عنفوان رجولته ، يقول فيها : (١)

مال عني الشتاء ، في شفق العمر
ومالت بشمسه الأنواء
رعدة ، من برودة ، وذبول
من جفاف ، قد طال فيه العناء
وأعاصير ذكريات ، كما تعوى
ذئاب يخاف منها الفضاء
وسقام تدب في جسد ذاو
عليل مايسعى اليه الغناء
قال لي صاحبي ، سلمت ، وهل
يسلم ، طيف ، أعضاؤه أشلاء؟
قلت : مالي وللربيع ،وروحي
غصن بان ، أوراقه صفراء
دع أزاهيره ، الغيرى ، وما أكثر
ماتنتشي بها الأهواء
ثم دعني ، ووحدتي ، فلعلي
ترحم الأرض وحدتي والسماء
ليس عندى الا الصدى ، ولدى
الناس ، هتاف ، مجلجل ، وغناء
وبهم فرحتي اذا فرح القوم

---

(١) الأهرام / ١٤ مارس ١٩٦٠م.

سواء ان أحسنوا ، أو ، أساءوا

وفى صيف عام ١٩٥٩م زار شاعرنا ملاعب صباه بالاسكندرية وذهب الى شاطئ البحر يبثه همسات قلبه ونجوى روحه :

قلت لموج البحر ياموكبا
تراه عينى بين حين وحين
أمواجك الزرقاء تروى لنا
قصة حب عاش ملء السنين
هو الهوى الخالد يسعى به
الى ضفاف الشك همس اليقين
وهو - على قلة علمى به -
آية جبار الحظى مستكين
يوحى الى الزورق أحلامه
فيهجع الليل وراء السكون
ولى ، شراع ، سابح لونه
كلمحة الفجر يضىء العيون
يهمس للشاطىء فى رقة
تذوب فيها عبرات الحنين
مابال هذا الرمل حباته
تسمع منا كل رجع السنين
نشكو اليها بادرات الأسى
فيما يكون اليوم أو لايكون
ونسكب السر على سمعها
وقد تصون السر أو لاتصون

ورغم أن شاعرنا حاول أن يدفن فى الكأس والشعر ذكريات غرامه الكبير لينسى الا أن طيف الحب كان يطارد خياله فى صحوه ومنامه ، فكتب

يعاتب محبوبته بعد الفراق يقول : (١)

آنا لست أعفو عنك ، آنك ظالم
والظلم لاأرضى ، ولاأخشاه
ان كان بى ضعف اليك ، فقد مضى
عهدى به ، وشقائه ، ورضاه
أنت الذى أحرقت سفر غرامنا
بجماله ، وضلاله ، وهداه
ورسمت لى هذا الطريق ، فلم يعد
لى من طريق فى الحياة ، سواه
أمضى به وحدى فبعدك لم يكن
لى ، غير وحشته ، وطول ضناه
عثراته لاتنتهى ، وظلامه
لاينقضى ، وأقول : أين مداه ؟
مهما يطل بى السير فيه ، فاننى
مترقب لظلاله ، وصداه
ولك الثناء بما صنعت بمهجتى
فلقد كشفت عن الفؤاد ، عماه
وأعدت لى نفسى ، وكم من غائب
قد ورد غربته اشتداد جواه

xxxxxxxxxxx

ثم راح يذوب تدريجيا .. حتى تحطم كشاعر ثم كانسان .... وكما عاش وحيدا ... مات وحيدا فى الغرفة التى قضى بها أعوامه الأخيرة بفندق كارلتون بالقاهرة .

---

(١) الأهرام / ١٦ ابريل ١٩٦٠م .

وكانت العلة - علة الكبد من أثر الكأس - فقد اشتدت عليه فى عاميه الأخيرين ، وعاودته أكثر من نوبة حملته الى المستشفى أكثر من مرة ، حتى كانت ليلة الأحد ٣ يوليو عام ١٩٦٠م حين آوى الى غرفته بالفندق بعد منتصف الليل ، وعاودته النوبة ، فاستنجد بطبيب من أصدقائه ، وجاء الطبيب ، فوجده قد أسلم الروح واستراح ...

ووجدت بجانب فراشه صورة ابنته الوحيدة " عائشة " البعيدة فى لندن كما وجدت قصيدة على مكتبه ... كانت هى القصيدة الأخيرة التى كتبها ولم يجف مدادها بعد قبل رحيله ... وكانت قصيدة حب .... وكما بدأت حياته بالحب انتهت به ، وحل الشاعر وهو يهمس لمحبوبته قلبه الهاجرة :

أحبك جهد الحب ، بل فوق جهده
وأطوى الى يوم اللقاء الليا ليا
أحب خيالى فيك ، أبيض ناصعا
وأخضر ريان ، وأحمر قانيا

xxxxxxxxxxx

مكانك عندى ليس عندى سوى المنى
بذلت قصاراها على الوصل ، والهجر
.... لك الدنيا ، فان عدت
لصبر

xxxxxxxxxxx

رمت بى الى دنيا هواك المقادر
فلا أنا معذور ، ولا أنا عاذر
على أنها الأيام دارت مدارها
فلا أنا منهى ، ولا أنا آمر

xxxxxxxxxxxx

وهكذا كان نصيبه من الدنيا ... الدنيا التى عاشها صفر اليدين .. وخرج منها صفر اليدين من كل شيء ... من المال ، ومن الحب ، وحتى من الذكرى ...

ان الذين يذكرون أنشودته " الكرنك " وقصيدة " قصة الأمس " الآن ، قد لايذكرون اسمه .. أو يعرفون عنه شيئا ...

لقد عاش أحمد فتحى لآخر لحظة من لحظات حياته - رغم أحزان قلبه وآلام روحه محبا للدنيا بكل مافيها وبلغ توهجه مداه فاحترق فانطفأ وبيت من الشعر على شفتيه ....

رحل شاعرنا فى الثالث من يوليو عام ١٩٦٠م وملء قلبه الحسرة والمرارة والأسى ودفن بمقابر الامام الشافعى بالقاهرة .

تلك كانت ملامح مأساة شاعر عاش للحب وظل يغنى للحب حتى آخر نسمة فى حياته الخصبة العريضة ...

لقد كان شاعر الكرنك ، أحمد فتحى من أرق شعرائنا الرومانسيين ، عاش كالطائر الجريح : قلقا ، حزينا ، حائرا ، لايجد للاستقرار سبيلا أو للراحة معنى ...

ومن هنا كانت مأساته ...

وقد قدمنا فى الصفحات السابقة قصته مع الليل والمرأة والسفر والاغتراب الروحى .

" شاعر الرقة العاطفية "

كتب عباس محمود العقاد فى مقدمة كتاب صالح جودت " ناجى ، حياته وشعره " يصف أسلوب ابراهيم ناجى بأنه ينتمى الى مدرسة الرقة العاطفية وقال أن مدرسة الرقة العاطفية كانت غالبة على بعض أصحاب الأقلام الناظمين والناثرين من أدباء تلك الفترة فى الثلاثينات ....

وهذه الصفة يشترك فيها كل الشعراء الرومانسيين الغزليين وجلهم ظهرت بواكير شاعريته على صفحات مجلة " أبوللو " فى الثلاثينات وبهذا تندرج هذه الصفة على شعر ناجى وصالح جودت وعلى محمود طه وكامل الشناوى .

وبهذا المقياس نقول أن أحمد فتحى كان شاعر الرقة العاطفية sentimentalism وخير مصداق على هذا قصائده الرقيقة الهامسة التى تذوب رقة وعذوبة وموسيقية يقول فى قصيدته " فجر " التى يغنيها رياض السنباطى : (١)

كل شئ راقص البهجة حولى هاهنا
أيها الساقى بما شئت اسقنا ثم اسقنا
واملأ الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنا
نسيتنا ، لم لاننسى أغاريد المنى
علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا

وابدع شاعرنا فى الأسلوب الشعرى poetic style فى قصائده فى نفس القصيدة نجد تلك التعابير الموحية القوية مثل " هتافات الربى " و " جبين الغد " وغيرهما ، يقول :

ذهب الأمس بما راع ، وبيومى ذهبا
يسرع الليل فرارا ، من هتافات الربى

---

(١) أحمد فتحى / قال الشاعر / ص: ٢٧ / القاهرة / ١٩٤٩م.

وجبين الغد يلقى ، عن سماه الحجبا
باعثا فى جانب الأفق بشيرا محسنا
تسبق الفرحة خطاه ، قبلما يبدو لنا

كما نجد الرمز الشعرى poetic symbol فى القصيدة حين يهيب بالساقى آن يبعد الكأس عن فمه لأنه يريد آن يفيق من أوهام الخيال وشطحاته :

رد كأسى عن فمى يأيها الساقى ودعنى
كل مامر بنا وهم خيال وتمنى
حسبنا وهما ، وحلما ، وخيالا ، حسبنا
أقبل الصبح ، فهل تدرى بماذا جاءنا ؟

وفى أسلوب أحمد فتحى نرى الاشراق والتوقد والعذوبة والرقة ، وكلها تندرج تحت صفة " الرقة العاطفية " وكل ذلك فى حسن نسق وجمال ايقاع وموسيقا هامسة رقيقة فى شعره موسيقا معبرة رقيقة تطبع شعره كله بجرس هامس وايقاع رقيق هادئ .

يقول فى قصيدته الوجدانية " ظنون " (١)

ألقاك مفتون الخيال معذبا
مابين شك حاشر ويقين
أشكو اليك من الظنون وربما
سبقت اليك هواجسى ، تشكونى
وأرى السنى والطهر فيك فتنطوى
عنى خيالاتى ووهم ظنونى

---

(١) قال الشاعر / ص : ١٠٥ .

وفى قصيدته الغزلية الرقيقة " أنت " التى يتغنى فيها بسحر محبوبته واشراقها نجد رقة اللفظ وجمال الصياغة وطرافة المعنى فى أسلوب موسيقى هامس رقيق يقول : (١)

سألتنى عنك أشواقى وأحلام سهادى
وأمانى التى تصحبنى فى كل واد
وخيالاتى ، وما أكثر ماتفشى فؤادى

xxxxxxxx

أنت فى عينى ضياء لاترى عينى سواه
كلما أشرق حياتى شعاع من سناه
تبعث الفرحة والنشوة فى روحى خطاه

xxxxxxxx

أنت فى سمعى نشيد قداسى النغم
كلما طاف بآفاقى توارى ألمى
وتناسيت نواحى ، وجراحى ، ودمى

xxxxxxxxx

أنت فى قلبى معنى سره الباقى مصون
يملأ الدنيا ولاتدرك مرماه العيون
لو يقولون عرفناه ، فوهم ، وظنون

xxxxxxxxx

أنت فى عينى،وفى سمعى ،وفى قلبى،مقيم
أبدا أشدو بذكراك وأصبو وأهيم
هى فى بعدك الحانى ، وكأسى ، والنديم

---

(١) قال الشاعر / ص : ١٣٥ .

اننا نجد هنا المعنى العميق والموسيقا الهامسة والرقة العاطفية واللفظة الحية .

والرقة عند شاعرنا طبع أصيل عنده وقد ابتكر تعبيرات جميلة وأضاف الى قاموس الوجدان تعبيرات قوية ومعانى عميقة رائعة ، يقول فى قصيدته " اليها " : (١)

كيف أنساك ، وقد طاف الهوى أمس علينا
فشربنا صفوة حتى روينا وانتشينا
ونسجنا حولنا الأحلام من وشى يدينا

كما وفق فى استخدام الصورة الحية Living image فى شعره .

يقول فى نفس القصيدة :

كيف لا أسترحم الطيف اذا مر وحيا
وأناجيه بحبى ، وأناديه اليا
علة يرحم ، أو يعطف ، أو يحنو، عليا

ولأحمد فتحى قدرة بارعة فى التصوير بالضوء والظل والصوت فهو من الشعراء التصويريين المبدعين الذين يجيدون اضفاء الظلال فى شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا وصدقا وجمالا .

ان الصورة الشعرية عنده دقيقة ومعبرة ونابضة بالحرارة والصدق الفنى .

فى قصيدته التصويرية الوصفية " الكرنك " يبلغ أقصى غايات التصوير بالضوء والظل ، فهو فى أبيات القصيدة الأولى يرسم لوحة جميلة يبزغ فيها الشعاع الجميل الساحر : (٢)

---

(١) قال الشاعر / ص: ١٣٩ .
(٢) قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص: ١٢٣ .

طاف بالدنيا شعاع من خيالـــــى
حائر يسأل عن سيـــر الليالـــى
يالـه من سرهـــا الباقى وبالـــى
لوعـة الشادى ووهـــم الشاعـــر

xxxxxxxx

كيف لايدرى الى أين الشعـــــاع
وأماسيه لقـــــــــــاء ووداع
وخطاه فى السبيليـــن متـــــاع
راحـة المضنى وهـــدى الحائـــر

كما يتردد " الصـــوت " فى شعره ، فهو يصور منظـر الدنيـا حين صحت علـــى ضوء الصبح " الرطـــب " وكيف أصغى المعبد للحن القريـــب :

صحت الدنيا على صبح رطيبــــب
وصفـــى المعبد للحن القريـــب
مرحنـــا ينســاب من نبع الغيـــوب
ويهاديـــه بفـــن الساحـــر

ويبلغ ذروة تصويـــره بالضوء والظل والصوت فى هذا المقطع الرائـع :

حين ألقى الليل للنور وشاحــــه
وشكـــا الظل الى الرمـــل جراحـــه
ياترى هل سمـع الفجـر نواحـــه
بين أنـــداء النسيم العاطـــر

بعد هذا التصوير الشاعرى بالضوء والظل : بالأبيض والأسود لليل والفجـــر وبعد تصوير صوت النواح .... يصور شاعرنا بريشته باللون الأحمر جراح الطائـــر لكنه يضفى جوا من البهجـة ويرســم لوحة شاعريـة يسودها الضـوء المتألـــق

والأنوار المبهجة ، فرغم جراح الطائر (وهو هنا الشاعر) ، فهو يرسل النغم حلوا رقيقا ناعما وكأنى به صوت الشاعر نفسه الذى تصدر قيثاره أعذب الأنغام وأرق الألحان رغم جراح روحه وآلام نفسه :

ذلك الطائر مخضوب الجناح
يسعد الليل بآيات الصباح
ويغنى فى غدو ورواح
بين أغصان وورد ناضر

وبعد ، فأسلوب أحمد فتحى فى مجموعه صورة من نفسه الملهمة وطبعه الرقيق ، وان ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة فى شعره أصدق تمثيل وأعمقه ولذا جاء شعره انعكاسا صادقا لانفعالاته وأحاسيسه ويصدق عليه قول " بافون " ان الأسلوب هو الرجل نفسه .

هذا هو غاية الفن الأدبى الأصيل الصادق الخالد على مر العصور والأجيال .

مختارات

من شعر أحمد فتحى

قصة الأمس

أنا لن أعود اليك مهما
استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فاذا دعوت اليوم قلبي
للصفاء فلن يلبي

xxxxxxxxxxx

كنت لي أيام كان الحب لي
أمل الدنيا ودنيا أملي
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

xxxxxxxxxxx

وكنت عيني وعلى نورها
لاحت أزاهير الصبا والفتون
وكنت روحي هام في سرها
قلبي ، ولم تدرك مداه الظنون

xxxxxxxxxxxx

وعدتني ألا يكون الهوى مابيننا
الا الرضا والصفاء
وقلت لي ان عذاب النوى
بشرى توافينا بقرب اللقاء
xxxxxxxxxxxxx

* الأهرام / مارس ١٩٥٨م.

ثم أخلفت وعـــــــــودا
طـــاب فيهـــــا خاطـــــــرى
هــل توسمـــت جديــــــــدا
فـــى غـــرام نـاضـــــــر

xxxxxxxx

فغرامــــــــــــــــــى راح
ياطـــول غرامــــــى اليـــــه
وانشغالـــــى فـــى ليالـــــــى
الـسهــد والـوجـــد عليـــــــه

xxxxxxxxx

كان عندى وليـــس بعدك عنـــــى
نعمـــة من تصوراتـــى ووجـــدى
ياتـــرى ماتقـــول روحك بعــــدى
فى ابتعادى وكبريائى وزهــــدى

xxxxxxxxx

عـــش كما تهـــوى قريبـــا أو بعيدا
حسـب أيامى جراحا ونواحا ووعـودا
ولـيالى ضياعـــا ، وجحــــــودا
وعنـــاء يترك القلب وحيـــــدا

xxxxxxxxx

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى
يالذكراك التى عاشت بهــــــا
روحـــى علـى الوهـــم سنينـــــا
ذهبت من خاطــــــــــــــرى الا

صدى يعتادني حينا فحينا

xxxxxxxxx

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدي
وأماني حسان رقصت في معبدي
وجراح مشعلات نارها في مرقدي
وسحابات خيال هائم كالأبد

النيل ... مجد الزمن

ثمل الزهر ... هل سقيت الزهر حتى ثملا
كمل البدر ... هل رعيت البدر حتى كملا ؟
وبدا في نوره للأعين
موكب الدنيا ومجد الزمن

xxxxxx

أيها النيل تغني
بين أحضان الليالي
طرب الموج فغني
بأهازيج الرمال
وطوى الغم جناح الأفق
وأقام الدوح عرس المشرق
فترسل وتدفق
وارو أحلام العصور
وتمهل وترفق
بنفاثات الصدور
أيها السحر الذي طاف بنا
راعنا بين الرؤى ما راعنا
نغم رنح أعطاف الغصون بالجراح
عندما فاضت شكايات السنين للنواح
أيها الليل ترقرق وتهادى
هتف الشادي في الغيب ونادى
وسمعنا ... همسات الزمن المنحدر
ورجعنا ... لليالي في ضفاف النهر
فسقانا عبرة الأيام ساق
يسكب الراح على شجو الرفاق

xxxxxx

هل شربنا ...
ذكريات [illegible] و[illegible]ان؟
أم طربنا ...
دون أن [illegible] الز[illegible]ان؟

الهمشــــرى

شاعر الأعراف

(١٩٠٨ـ١٩٣٨)

لقد كنــــت فى الدنيــــا جمالا لايزينها
بما شاده شعـــرى على هذه الدنيـــــا
خلقــــت لروحى سحرهـــا ، لا لغيرهـــا
ومن آجلهـــا اقضى ، ومن آجلها آحيــــا
اذا ذبل النـارنـــج عـــاش عبيـــــره
وكان لـــه فى الوهـــم من نفحه محيـــا
ويخلـــد بعد البدر فى الفكر رونـــــق
يغـذى خيــال الشعر والحب والوحيــــا

(الهمشـــــرى)

" شاعر من المنصورة "

هاجر أحمد الهمشري منذ مائة عام تقريبا من ألمانيا الى مصر .... (*)
وتزوج وأنجب فيمن رزق من ولد ، بعثمان الهمشري والد شاعرنا ....

تعلم عثمان الهندسة ، وأقام " وابور طحين " على مقربة من الأرض التى تركها له أبوه فى السنبلاوين ، وتزوج زيجة لكنه لم يرزق منها بولد فتزوج من مصرية ، من المنصورة ، هى السيدة " عائشة محمد وهبه " شقيقة الكاتب الصحفى اللامع محمد التابعى .

ورزق منها خمسة أولاد وبنتا هم على التوالى : محمد ، ويوسف ، وزينب ، وأحمد ، وسعد ، ومحمود .

xxxxxxxxx

كان ذلك فى يولية عام ١٩٠٨م ....

حين خرج محمد عبد المعطى الهمشري الى النور على شاطئ رأس البر ، اذ كانت الأسرة تصطاف هناك كما اعتادت كل صيف ...

وقد سمى عثمان الهمشري أبناءه بأسماء ثنائية فسمى شاعرنا " محمد عبدالمعطى " ...

وشب شاعرنا وترعرع بين ربوع السنبلاوين الخضراء ومنذ صغره شد انتباهه الكلمة المكتوبة ، ومنذ صغره حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية وجدده وفى المرحلة الابتدائية زادت قراءاته الشعرية وأعجبه شعر البحترى والمتنبى والشريف الرضى ثم استوقفه طويلا شعر أحمد شوقى وشد انتباهه لقوة معانيه وحلاوة جرسه .

ثم أنجز دراسته الابتدائية بالسنبلاوين ، فالتحق بمدرسة المنصورة الثانوية وهنا ظهرت مخايل عبقريته وموهبته الأصيلة فى نظم الشعر .

xxxxxxxx

(*) كان ذلك عام ١٩٧٥م حين أنجزت هذا الكتاب .

وفى المنصورة كانت هناك ارهاصات لشعراء أربعة أصبحوا فيما بعد من أبرز فرسان شعرنا العربى المعاصر ...

فى الفترة مابين أعوام (١٩٢٧ - ١٩٣١) شهدت مغانى المنصورة وربوعها مولد هؤلاء الشعراء الرومانسيين .....

كان بالمنصورة فى تلك الحقبة الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكان يعمل موظفا بمستشفى السكك الحديدية بالمنصورة والشاعر المهندس على محمود طه وكان يعمل مهندسا بهندسة مبانى المنصورة ثم صالح جودت والهمشرى طالبان بمدرسة المنصورة الثانوية .

والتقى جمعهم على شاطىء المنصورة ، فكانوا يجلسون فى نهاية كل يوم على شاطىء النيل ، يقضون أجمل ليالى العمر فى حديث للأدب والشعر والجمال .

وكانت لهم صخرة يجلسون عليها وهى مكان ناء عن المنصورة بين النيل والصحراء فأطلقوا عليها " صخرة الملتقى " واستوحوا منها أجمل الأشعار وأعذبها .....

ومن المنصورة بدأوا يراسلون المجلات الأدبية بالقاهرة فتنشر لهم انتاجهم الشعرى وشهدت المنصورة تألق عبقرية هؤلاء الشعراء الأربعة الكبار .... ثم مالبث أن انفض الجمع ....

وفى عام واحد هو عام ١٩٣١م زحف الأربعة نحو القاهرة ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، وعلى محمود طه الى وظيفته كمهندس بوزارة الأشغال ، والهمشرى الى كلية الآداب ، وصالح جودت الى كلية التجارة ولكن الهمشرى كان يؤمن بتفرغ الشاعر لانتاجه الفنى فحسب فلم ترقه الدراسة بكلية الآداب فأهملها ولم يعمر بها سوى عامين وقطع دراسته ليتفرغ لرسالة الشعر والأدب .

" مع جماعة أبوللـــو "

عندما قامت جماعة " أبوللو " عام ١٩٣٢م اتصل بها شاعرنـــا وأصبح مـــن كبار شعراء الجماعة رغم حداثة سنه اذ لم يكن فى تلك الحقبة قد تجـــاوز الرابعة والعشرين من عمـــره .

وشهدت صفحات أبوللو شعره الجديـــد الذى استحدث فيـــه معانى جديـــدة وأساليب وصورا حيـــة نتيجة لقراءاته الواسعـــة لآثـــار شعراء الرومانسيـــة الانجليـــز :ووردذورث ، وشيللى ، وكيتس ، وبيرون ، وبليـــك .

وشد انتباه الأدباء والنقـــاد أنه استحدث صورا حية نابضـــة بالحـــرارة وتشبيهـــات رائعـــة غريبـــة مثل السكون المشمـــس وهيكل الأحـــزان وغيرها مـــن غرائب التعبيرات والصور الرمزيـــة الموحيـــة العميقـــة الدلالـــة .

" مرحلة الوجدان الذاتي "

ونستطيع أن نسمي هذه المرحلة " مرحلة الوجدان الذاتي " وهي تمتد من عام (١٩٣٣ - ١٩٣٤) وانتج فيها الكثير من انتاجه الفني .

ومن مطالع انتاجه في مجلة أبوللو قصيدته " عاصفة في سكون الليل يقول فيها : (١)

أشرقي كالصبح غراء الجبين
وانشري نورك يهدي العالمين
واطلعي في ليل حزني كوكبا
تعصميني من ضلال العاشقين
واطرحي في قفر عمري زهرة
علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمي تبسم لنا بيض المنى
واضحكي تضحك لنا غر السنين
هاهو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن لقلبي والحنين
"هيكل الأحزان " في مذبحه (٢)
قرب العشاق قربان العيون (٣)
انني عاطفة قد غالها
منك فكر طيه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسى

---

(١) أبوللو / يناير ١٩٣٣م / ص: ٥٥٤ .

(٢) هيكل الأحزان : الليل .

(٣) قربان العيون : الدموع والنوم .

منك ياليل وأسرار الأنين
فاستحالت جدولا تعبره
فزعات الموت ليلا فى سفين
هذه أغنيتى رتلتها
لك يادنياى فى دير السكون (١)
لحنها أنت ، وحزنى وقعها
ونذير الموت بعض السامعين
لاتلومى مابها من حزن
انما الأحزان موسيقا الحزين
أعذب الألحان لحن أفرغت
فيه أنات الأسى طى الحنين
عانقينى فى الدجى ... اقتربى
اننى أفزع مما تفزعين
قربى خدك .... ضمينى الى
صدرك الحانى ... الثمى هذا الجبين
عانقينى فيك أفنى مثلما
فنيت فى الله روح الناسكين
انما نحن كركب ضل فى
تيه صحراء بقوم تائهين

---

(١) دير السكون هو الليل .

" ملحمة الأعـــراف "

ثم لم يلبث أن نشر ملحمته الرائعة " شاطئ الأعراف " التى تعد من معالم التجديد فى شعرنا المعاصر وقد بدأ يكتب هذه الملحمة وهو بالمنصورة وأتمها فى القاهرة ونشرها فى أبوللو كاملة فى فبراير عام ١٩٣٣م أى وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

وقد كتب لها مقدمة قيمة شرح فيها فكرتها وكشف عن العوامل والمؤثرات فى خلق فكرتها وانجازها ، فقال : (١)

" هى ذكريات حزينة ، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع ، فتهتكها أشباح سوداء لاتزال تتراءى أمام عينى .

كنت أنشد فى المنصورة ، وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى ومالت الى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس .

" ولست أدرى أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك ، وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المقبض مابعث فى نفس هذا الشعور الحزين المتشائم نحو الحياة ، أما كان ذلك على اثر خلجة ... أستغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبى فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة ، التى انتهت الى الثامنة عشرة من عمرى .

" هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب ، وأحالت شعاع الأمل الربيعى الضاحك الى خطفات باهتة من شفق شتاء ، ومازالت تخفق على فعلها فى محراب قلبى " .

" ثم تركت القاهرة الى " نوسا البحر " وهى قرية تتكئ على النيل ، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر مايكون وحشة وانقباضا .

---

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م / ص : ٦٢٧ .

" مكثت بهذه القرية خمسة أيام ، كنت أختلف فى أمسياتها الى مكان هـــادىء يشرف على النيل فى مشهد رائـــع ، طالعته على مبعدة أشجار باسقـــة مــــن الصفصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب ، فكانت تكسبه روعة فى الليل ضافيـــة ، وكأنها بعض عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى زهـــول العبادة ، وهم ينصتــــون بألف أذن الى مزامير الآلهـة .

" ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة " شاطىء الأعراف " فالنيل لم يكن غيـــر نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف ، والظلمة المروعة التى كانت تألف نفســـى اليها ، هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضـــا " .

ثم يهدى فى النهاية ملحمة الأعراف الى الروح العالية التى يتغنى بهـــا والتى ألهمته هذه الملحمة وهى حبه الكبير " جتـــا " فى السنبلاوين التى كتـــب عنها قصيدة أخـــرى يقول :

" لقد انتهت قصيدة " شاطىء الأعراف " ، ولكن هذه الروح العلوية التـــى غمرت سماء حياتى بنور جمالها الباهت الحزيـــن وهى تصاحبنى فـــى شاطـــىء الأعراف ماتنفك تصاحبنى بعد شاطىء الأعراف فالى هذه الروح التى أرهفت أذنـــى لسماع أصداء مواكب الآباد ، الى هذه الروح التى تتغنى بها كل مشاعرى كما يتغنى الجدول بكل أمواجـــه ، الى هذه الروح العالية واليها وحدهـــا ، أهدى هـــذه القصيـــدة " .

xxxxxxxxx

فى هذه الملحمة تتجلى رومانسية Romantic الهمشرى المجنحـــة التى تلوذ بالطبيعـة فرارا من عذابات الحياة وهجيرها المؤلم ، فهـــو هنـــا يصور " عالم خيالى " يمتلىء بصور الموت والآخرة فى رحلة خيالية للشاعر بعـــد أن شرب كأس الغنـــاء ، وحملته "سفينة الذكريـــات " الى شاطىء الأعراف ، وهـــو شاطىء خيالـى تستقر عنده الألحان بعد شتات ، وتلوذ به الأرواح بعد طـــواف ، ساكن سكونا أبديا ليس فيه شىء جميل سوى الثلوج البيضاء فوق الصخور . (١)

(١) أبوللو / فبرايـــر ١٩٣٣م .

فى انتحاء عن العوالـم قـاص
حيث يرقـى السكون مرقى الفضاء
وطيـور الفضـاء تنعب فى المـوت
نعيبـا يزيـد هول الفنـاء
غيـر أن السكون ينهشـه نهشـا
ويمشـى الحفى على الضوضـاء
سر مدى البقـاء يحكم فى المـوت
ويبقـى على بقـاء البقـاء

xxxxxxxxx

يستريح الزمـان والموت فيـه
بعـد طول التطواف والجـولان
وكان الزمـان خامره الخـوف
فأضحى مـع الردى فى احتضـان
وتلاشى بـه رويـدا رويـدا
ثـم أهوى عليـه كالوسنـان
فاذا بالفنـاء يحكـم فـردا
فوضويا على جـلال المكـان

والشاعر يصطحب معه فى هذه الرحلة الهة الشعـر ويشاهـد سفن المـوت وهى تسـرى الى شاطىء الأعـراف ، كما يشاهـد مواكب الحياة ، ويطـوف الشاعر بشاطىء الأعراف حيث يشاهـد قبر الليالـى ، ويرى الشاعر مواكـب الحياة تمضى مسرعـة الى ضريح الليالى ، ثم يسود السكون والعدم ويرى الشاعـر مغنيـا فى وادى الموت القريب من شاطىء الأعراف يحمل قيثارة صامتة ، يحـاول أن يبعث أنغامها فلا تستجيب لـه (١) :

---

(١) جماعة أبوللـو / ص : ٥٥٤ ٠

تستطيب الجلوس في ظل آيك
رفرف الطير فوقه أسرابا
يتغنى بين الثمار بلحن
هل سمعت القيان غنت طرابا
من وحيدين يسجعان سرورا
وشجيين يشدوان انتحابا
وجرى الماء فى الغدير رحيقا
وجرت فوقه الزهور حبابا
جنة صاغها الاله من السحر
ففيها صبابة السعداء
نورها من وشائع من هواء(١)
فهى منه فى رقة القمراء
وتغنى الأطيار فيها اصطحاب
فصباها من عبقرى الغناء
من خيال الأشعار قد صاغهما الله
ففيها رواشع الشعراء

وقد ختم شاعرنا ملحمته بصيحة يناجى فيها " المغنى " فيقول :

لهفى ما أراك تبعث لحنا
فأخبر الشعر ما وهى فيشارك
سوءة لليد التى عطلتها
وعفت فى غنائها أو تبارك

xxxxxx

---

(١) الوشائع : اللفائف .

ويذكر صالح جودت أن الهمشري بدأ الاحساس لديه بنظم ملحمته عند احساسه باخفاق قصة الحب الكبرى في حياته ، وهي قصة حبه لفتاة نوسا البحر " جتا " ، مما أضفى على نفسه أواخر عهده بالمنصورة كآبة ممزقة وابتعد عن حقل المأساة ، ونزح الى القاهرة للعلاج ولكنه لم يلبث أن عاد الى نوسا ، ليقضي فيها خمسة أيام ، كانت هي فترة التأهب الطويل للملحمة ، فخرجت نواة " شاطئ الأعراف " التي استكملها بصورتها النهائية ونشرها في أبوللو في فبراير عام ١٩٣٣م.

وهناك مؤثرات وراء انجاز الهمشري لهذه الملحمة وكان أبرز المؤثرات القرآن الكريم ... ومما لاشك فيه أن هذه الصور القوية المعبرة في القرآن الكريم في سورة الأعراف قد أثرت في نظمه للملحمة ، قال تعالى : (١)

" ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ، وعد ربكم حقا . قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدرون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب وعلى " الأعراف " رجال يعرفون كلا بسيماهم . ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون .... واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وقالوا ما أغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة .... أدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على

---

(١) القرآن الكريم / سورة الأعراف .

الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون " .

كما أن الهمشري قد تأثر بلا شك بقراءاته لرسالة أبي العلاء المعرى " رسالة الغفران " وملحمة ميلتون " الفردوس المفقود " و " الكوميديا الالهية " لدانتي .

ولكن أكبر عامل في نظمه للملحمة هو هروبه من عالم الواقع اثر صدمة وجدانية عاصفة فذهب على أجنحة الخيال الى شاطىء الأعراف يرسم هذه اللوحات الغريبة المبدعة بريشته المخلاقة الهامسة .

xxxxxxxxx

" شاطىء الأعراب فى مرآة النقاد "

أثارت ملحمة شاطىء الأعراف جدلا طويلا بين نقاد الأدب المعاصرين كلون منفرد فى شعرنا العربى المعاصر لما لها من سمات خاصة ودلائل مميزة تختص بها خاصة أن شاعرنا بدأ فى نظمها عام ١٩٢٩م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره وأنجزها عام ١٩٣٣م وهو فى سن الخامسة والعشرين ، فما هو رأى النقاد فى ملحمة الأعراف ؟

يقول الدكتور محمد مندور عنها : (١)

" نحس أن هذه المطولة انما هى فرار بالشاعر على أجنحة الخيال من عالم الواقع المرير ، حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ قوله فيها :

عندما خدر الغناء شكاتى
وسقانى كئوسه العنسيات
بعث الشعر من لدنه نسيما
فائح العطر طيب النغمات
هز قلع الصبا فأيقظ فكرى
فهفت بى سفينة الذكريات
فى خضم الأفكار تطوى بى الوقت
وتهفو الى ضفاف الحياة

ويقول صالح جودت : (٢)

" كان المناخ الذى تأهب فيه الشاعر لنظم هذه الملحمة ، مناخا كله حسب

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى / ١٩٥٨م / ص : ١٧ .

(٢) الهمشرى / حياته وشعره / ص : ٦٤ .

ويأس ونزوع الى الخلاص والنأى ولو الى حقل أشد قتاما من حقل الحياة. وهكذا ذهب الشاعر فى رحلة خيالية بين هوج العواصف الى شاطئ الأعراف ، الفاصل بين الحياة والموت ، ويخالف صالح جودت رأى الدكتور مندور حين يصف شاطئ الأعراف بأنها مطولة لاملحمة فيقول الأستاذ صالح : " الواقع " أن الأعراف ملحمة لامطولة ... ملحمة ينطبق عليها كل مايتطلبه الأدب فى شعر الملاحم من شرائط " .

وتقول الدكتورة نازك الملائكة عنها : (١)

" والهمشرى لايقل عن كتيس تولعا بالغناء، حتى انه كتب ملحمة كاملة سماها " شاطئ الأعراف " وتحدث فيها عن رحلته الأولى بعد الموت نحو الحياة الأخرى .

" والقصيدة تكاد تكون أغنية حب موجهة الى الموت ، لاأثر فيها للحسرة ولا للذكرى ، وكأن الشاعر يلتذ بكل لحظة من لحظات موته ، أن صح التعبير " .

xxxxxxxx

وبعد ، فملحمة الأعراف تعد من أعظم الآثار الشعرية فى تراثنا المعاصر وأخصبها وأكثرها فنية وعمقا وأصالة وهى انعكاس صادق وأمين لحقبة خصبته من حياة شاعرنا تتسم بالحزن والكآبة والضياع الروحى .

---

(١) نازك الملائكة / قضايا الشعر المعاصر / ص : ٢٧٤ .

" بين الحب والطبيعة واليأس "

ونشر أبياتا بعنوان " حياتى " فيها سوداوية وقتامة يقول : (١)

كأن حياتى فنوة جاهليـــــة
شدتها الليالى للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى غناشهـــا
أقام لها ذكرى تغنى بها الأذنـا

وكتب عن الحب والطبيعة يقول فى نفس العـــدد :

ألم تر للحب كيف أنبـــرى
يصور فى الكون أبهى الصور؟
وكيف ترقرق منه النسيـــم
وكيف ترقق منه القمـــر؟
وكيف تهذب منـه الحمـــام؟
ولم ير فى البوم هذ الأثـــر؟

ثم كتب قصيدة غزلية وجدانية رقيقة بعنوان " مملكة السحـر " فيهـا معانى مستحدثة وصورشعرية جميلة منها هذه الأبيـات : (٢)

ياواحدا فى عـــلاه	تحيـة فى علاكـــا
لقد ترقفت حتـــى	شابهت منى هواكـــا
فلو تحولت نـــورا	لكان طرفى أحتواكـــا
ولو تحولت قمـــرا	لكان ثغرى احتساكـــا
ولو تحولت روضـــا	وقد نشـرت شذاكـــا
لكنت فيه فراشـــا	أرف حـول سناكـــا
وكنت قضيت عمـــرى	أحسو رحيـق جناكـــا

---

(١) أبوللو / فبرايـر ١٩٣٣م.
(٢) أبوللو / يونيـة ١٩٣٣م/ ص : ١١٤ .

" قصة جتـــا الفاتنـــة "

نشر الشاعر محمد عبدالمعطى الهمشرى قصيدة رقيقة بعنوان " الى جتـــا الفاتنة فى مدينة الأحلام " بمجلة أبوللـــو فى عـــام ١٩٣٣م وعندمـــا أرخ الأستاذ عبدالعزيز الدسوقى فى كتابه " جماعة أبوللو وأثرها فى الشعـــر الحديث " لشعراء الجماعة قال عن ملهمة هذه القصيدة الرقيقة الفاتنـــة : (١)

" لسنا ندرى هل كانت حبيبته " جتـــا " هذه حقيقة واقعة أم لأنها رمـــز للحبيبة اتخذه اطارا يصب فيه أشواق روحـــه الملتهفـة ، وظمأ نفســه الى الحب "؟

فما هو ســـر جتا الفاتنـــة ؟

هل هى ملهمة حقيقية أحبها الهمشرى وعذبه الحنين اليها وناجاها بحـــرارة وصـــدق ؟

أم أنها مجرد خيـــال أسطورى موهـــوم ؟

ان هذه السطور ستكشف لأول مرة القصـــة الحقيقية لغرام الهمشرى مـــع " جتـــا " الفاتنـــة .

xxxxxxxxxx

كان ذلك حوالـى عام ١٩٢٩م ....

فى مدينة السنبلاوين الخضراء بمحافظة الدقهليـــة ....

وكان يحلو للهمشرى الذى كان يقترب من الحادية والعشرين من عمره أن يسيـر وحيدا متأملا على شاطىء ترعة " البوهيـة " القريبة من منزلهم ويتوغل فـــى الحقول الخضراء سابحا مع الأطياف والأحلام والرؤى الخيالية الحالمـــة .

وكان فى ذلك الوقت مرهف الحس خالى القلب ينظم قصائده بحب وغزل لحبيبـات

(١) جماعة أبوللـــو / ص : ٤١٥ .

من وحـــى الخيـــال الجامـــح ، حتى وقع بصره على جتا الفاتنة فتغير الحال.

أصبح الهمشرى عاشقا متيما لاينام الليل ... انقلب ليله نهارا ونهـــاره ليـــلا ...

كانت جتا فتاة حسناء بارعة الجمال مرهفة المشاعر ، وكانت ابنة لطبيب أسنان من أصل يونانى يعمل كمدير لعيادة طبية بالسنبلاوين بشارع السكة الحديد تدر عليه ربحاً طيباً وأحبه أهل البلدة وأولوه ثقتهم، فتجنس بالجنسية المصرية واتخذ مصر وطنا له .

كانت جتا فى تلك الحقبة تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وكان شاعرنـــا قد ودع أيام الصبا ، ودخل فى طور الشباب ، فكان يبلغ الحادية والعشرين مـــن عمره ، وكان مشبوب العاطفة ، مشتعل الوجدان ، ينظم شعرا عاطفيا ملتهبـــا ، يغرقـــا فى الصبابـــة والوجد وعبادة الجمـــال المجـــرد .

والتقت نظرات الشاعر بفاتنة السنبلاوين ، فكانت قصة حب كبيرة ...

تعلق بها قلبه وأصبح يكثر من السير تحت نافذة منزلها ليتزود منهـــا بنظرة وابتسامة تلهمه أجمل أغاريـــده .

وكان الهمشرى يسعد بابتسامتها الحلوة ويقنع بها ثم أتيح للمحبيـــن أن يلتقيا فى مناجاة حارة طويلة بمصيف رأس البر حيث كانت تصطاف أسرة كل منهما.

وبنى العاشقان آمالا كبارا وأحلاما شامخة للمستقبل الباسم ولعشهمـــا السعيد الذى سيجمعهمـــا .

ثم عاد الى السنبلاوين ... ولم يلبث الهمشرى أن انتقل الى المنصورة حيـــث التحق بمدرستها الثانوية ولم تعد تتاح له فرصة رؤيتها والتزود بابتسامتهـــا سوى لحظات قليلة كل أسبوع ... حيث كان يقضى عطلة نهاية الأسبوع - يومى الخميس والجمعة - فى بلدته يعود بعدها الى المنصورة حيث يروى لصديقه وزميله صالـــح جودت أحاسيس قلبه وهمسات روحه وفتنته العارمة بهذه الحسناء الفاتنة وكيـــف مر تحت نافذتها ، وكيف ابتسمت له ، وكيف بنى من ابتسامتها أحلاما كبارا ...

xxxxxxxxxxx

ظل الهمشرى خافق القلب ، مشبوب العاطفة نحو هذه الحسناء الفاتنة المثقفة التى كانت تقرأ الشعر الانجليزى وتهيم به خاصة الشعر الرومانسى الحالم مثل شاعرنا تماما .

وظلت صورتها الفاتنة وابتساماتها الساحرة تضىء لياليه وتسعد أيامه الموحشة وتبعث النشوة فى كيانه كله ، وأصبحت تملك عليه حياته ...

ولكن الأيام صهرته بالعذاب فى تلك الحقبة ، بمأساة قاسية ، ففجعته فى حبه الكبير .

كانت آمال شاعرنا أن تتوج قصة حب بملهمته بالزواج ... ولكن نشأت عقبات بسبب صغر سنه والعامل المادى واختلاف الدين ... اذ كانت " جتا " يهودية وهو مسلم متدين يكثر من قراءة القرآن ويسبح فى أجوائه وتحت ظلاله .

وسرعان ماتزوجت جتا من أحد تجار المجوهرات الأثرياء من قرية مجاورة ، فكانت صدمة حياته (١) .

واعتكف الهمشرى فى وحدته بين حقول السنبلاوين يبكى حبه الضائع وأمله الذى تحطم على صخرة الواقع ....

وكان الهمشرى يمكث الساعات الطوال فى وحدته فى أطراف السنبلاوين بين الطبيعة والحقول الخضراء ....

والهمته " جتا " قصيدة من أجمل قصائده العاطفية وأرقها على الاطلاق هى قصيدته " الى جتا الفاتنة فى مدينة الأحلام " .

وأهدى القصيدة اليها ، حيث قال " مهداة اليها مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

وقد مهد للقصيدة بنص من التوراه — باعتبارها يهودية — فأورد جزءا من

---

(١) أخبرنى بهذه المعلومات شقيق الشاعر الأستاذ المستشار محمود الهمشرى والأستاذ الشاعر محمد محمود عبدالعال وهو من أبناء السنبلاوين .

أصحاح راعوث قبل مطلع القصيدة ، يقول :

" لاتلحى على أن أتركك وارجع عنك ، لأنى حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بت أبيت .

" شعبك شعبى ، والهك الهى ، حيثما مت أموت ، وهنالك أدفن ، هكذا يفعل الرب فى ، وهكذا أريد ، انما أموت يفصل بينى وبينك "

وهكذا كان هذا النص من التوراه رسالة عبادة حتى الموت موجهة الى جتا .

ان قصيدة " جتا الفاتنة " هى مزيج من النزعة الرمزية والنزعة العاطفية ، وقد أودعها الشاعر خفقات قلبه وهمسات روحه ، فيرسم فى الأبيات الأولى هذه اللوحة الفنية الرائعة بريشته الساحرة ، حين يناجى محبوبته فى عالم الرؤى والخيال :

هاهو الليل قد أتى فتعالى
نتهادى على ضفاف الرمال
فنسيم المساء يسرق عطرا
من رياض سحيقة فى الخيال

xxxxxxxx

صور المغرب الذكى رباها
فهى تحكى مدينة الأحلام
نفحت فى الخيال منها زهور
غير منظورة من الأوهام

xxxxxxxxx

ووراء السياج زهرة فل
غازلتها أشعة فى المساء
نشر النسم سرها وهو يسرى
فى مسروج مطلولة الأفياء

xxxxxxxxx

ودهاليز من ظلام بونـــور
صـورت سحرها يد الأطيـاف
عشـش البلبـل الخيالـى فيها
ساكبا لحنه الحنون الصافـى

xxxxxxxxx

ان هـذى الأزهـار تحلم فى الليل
وعطـر النارنـج خلف السيـاج
وخريـر المياة والشفق السحـر
وهمـا من النسيـم الساجـى

xxxxxxxx

والنـدى والظـلال تنعس فى المـاء
وهذا الشعـاع خلـف الغمـام
بعض ألحانه تأنـق فيهـا
فترات فى هذه الأجسـام

هكذا يصور الشاعر فى هذه الأبيات الأولى من قصيدتـه ذلك الجو الخيالـى الرومانسى الفاتن الذى يعيش فيه ، ويناجى ملهمته فى ظلالـه ...

ان لقاء شاعريا تم بين الشاعر وملهمته عند الغروب فى ظلال الطبيعة الفاتنة فأوحى اليه ذلك اللقاء صورا وظلالا جديدة عن طريق الايحـاء ، فصور مشاعـره وأحاسيسـه بالرمز والصور الخياليـة المغرقـة فى الشفافية والرقة فى لوحـات جميلـة نابضة بالحرارة والرقة والعذوبة ، فجعل النسيم يسرق العطر من ريـاض سحيقـة فى الخيـال ...

وقد أثارت تعبيرات الهمشرى المبتكرة وتراكيبه الغريبة فى هذه القصيـدة والتى تتألق فى الظلال والأضواء فضلا عن الاغراق فى الرمزية حيرة النقـاد ومساجلاتهم حول غرابة هذه التعبيرات والتراكيب وايغالها فى الرمـز والغمـوض

والخيال الجامح ... كما أنها أثارت الشك فى نفوس الكثيرين منهم حول تلك الملهمة الغامضة المجهولة التى تسبح فى بحار الضوء والعطر والموسيقا مع عطر النارنج وخرير المياه وهمس النسيم ...

ثم يواصل الهمشرى مناجاته الحارة المتقدة لملهمته " جتا " فيذكر لها أنه أفنى دموعه وعفر جبهته وقدم روحه على مذبح غرامها ، فيقول :

قبل هذى الحياة كنت أملى
ياحياتى لحسنك المعبود
فيك أفنيت أدمعى فى غنائى
فيك عفرت جبهتى فى سجود

xxxxxxxxx

وعلى مذبح الغرام تقربت
بروحى فى ذلة وخشوع
غير أنى رأيت هذا قليلا
فتقربت بعدها بدموعى

ويبلغ ولهه بها ذروته فيتخيلها إلها علويا فى معبد الخيال وهو يتعبد لها ويرتل لها أشجى الألحان وأحفلها بالحب والشجن كما يتخيلها فجرا وضيئا مشرقا وهو ضباب قد تاه فى أفقه المنور المضىء فلا يملك الا أن يمضى فى تراتيله لهذه الشعلة المقدسة التى هبطت الحياة إلها معبودا لقلبه الواله المحب :

كنت فى معبد الخيال ترفين
الها ، وكنت من عبدانك
كم بعثت الأشعار فيه مزامير
تجيب الحزين من ألحانك

xxxxxxxxxx

كنت فجـرا ، وكنت فيه ضبابـا
شـاع فى أفقه الوضىء فتاهـا
وهبطت الحياة شعلة تقديس
وجئت الحياة أنت الهـا

xxxxxxxx

ثم يبدأ الهمشرى فى اضفاء جو من حرارة العاطفة ودفئها فى قصيدته حين يخاطب ملهمته بكلمة " أنت " فى مناجاة حارة ملتهبة لايمل من تكرارها وترددها كما يضفى على ملهمته صفات موغلة فى الخيال والسمو حتى أنه يصفها بأنها " حلم منور ذهبى " وبأنها " عطر مجنح شفقى " وسر ذلك يعود الى حرارة حبه لها ووجده بحسنها مما جعله يراها كملهمة ملائكية من عالم آخر غير عالم الأرض والحقيقة .

اسمعه وهو يرتل لها فى معبد الحسن والجمال :

أنت لحن مقدس علـوى
قد تهادى فى عالم نورانى
سمعت وقعه السماوى روحى
فأفاقت فى معبد الأحزان

xxxxxxxxx

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى أفق عالم مسحور
وتجلى على غياهب روحى
بجناح من الضياء البشير

xxxxxxxxxx

أنت عطر مجنح شفقى
فاوح الروح فى همود الذهول

قد سرى فى الخيال طيب شذاه

من زهور فى شاطىء مجهول

xxxxxxxx

أنت ظل مقدس ، أنت كهف

طائفى فى ربوة أحلام

غمر الروح فى سكينتها السحر

فتاهت عن عالم الآلام

ثم يوغل شاعرنا المولـه المفتون فى مناجاة ملهمته الساحرة ، ويغرق فى الرمزية فيبتكر التعبيرات الجديدة الغريبة ويوغل فيها حين يصف الصمت بأنه " مقمر " ، والكوخ بأنه "سرمدى الخيال" ولعل ذلك يعود لما فى هذه التعبيرات من شحنات وجدانية خيالية أثارتها فيه عاطفته المولهة الحارة نحو ملهمته ذات النظرات الآسرة .

ويمضى الشاعر فى مناجاة ملهمته ، فيضفى عليها الكثير من سحر الخيال وجمال الرمز وحسن الطبيعة التى يتعشقها فى رومانسية حالمة مجنحة ، فيقول مناجيا لها فى وجد وخشوع :

أنت كوخ معشوشب فى رباة

مقمر الصمت سرمدى الخيال

نعست روحى الكليلة نشوى

فيه ترعى فجرى هذا الجمال

xxxxxxxxx

أنت صمت مخيم ، فضفاء

فظلام مكوكب ، فنهار

فهمود تدب فيه حياة

ويغنى فى فجرها " النوبهار"

xxxxxxxxx

أنت كل الحياة أنـت كيانـي
أنت روحـي أبصرتها فى سباتـي
أنـت وحبـي مجسـد أنـت لحنـي
ياسمـاء علـى سمـاء حياتـي

xxxxxxxx

وتبلغ ذروة رمزيته وخياله المجنح ورومانسيته المرهفة حين يرسم صـورة تطلب فيها ملهمته أن يكون اللقاء بينهما وراء أسوار الحيـاة .

كما يناجـي ملهمتـه ويطلب منها أن تغمـر حياتـه بالدفء والضـوء والحـب :

أنت أغويتنـي بأن ألقـاك
خلـف سـور الحياة ... فوق رباك
غير أني بحثت عنك طويـلا
وأخيـرا نعست تحـت ذراك

xxxxxxxxx

أيقظينـي من الذهـول وغنـي
ياملاكـي علـى طول حياتـي
وارشدينـي الى الضيـاء... والا
فاتركينـي أهوى الى ظلماتـي

xxxxxxxxx

وعلى عالمـي الشتائـي فيضـي
نـور دفء يفنـي ظلامي الحالـك
وارفعينـي كمعبـد قدسـي
تتهـادى به طيـوف جمالـك

xxxxxxxxx

ثم فى النهاية يذكر لملهمته أنه سيظل يغنى لها فى وحدته الموحشة الحزينة رغم الظلام المطبق على روحه وهو بعيد عنها ، فيقول فى أسى ووجد :

آننى فى الظلام أنصب وحدى
خيمة الغناء من آلامى
فاسمعينى ، فأننى سأغنى
لك " جنا " فى وحدتى وظلامى

وقد كتب الهمشرى هذه القصيدة الشجية التى تتماوج فيها أنغام الرضا والعتاب والوحشة واليأس والأمل والحنين والوجد الآسر بعد يأسه من تحقيق آماله فى الزواج من هذه الحسناء الفاتنة بسبب صغر سنه واختلاف العقيدة الدينية ، فانطوى فى وحدته الصامتة فى ظلال الطبيعة الخضراء الساحرة على ترعة اليوهية عند أطراف السنبلاوين يناجى ملهمته الملائكية النورانية ويهدى لها نتاج تأملاته الحزينة فى عالم الخيال ، فكانت تلك القصيدة الغزلية الشجية التى أهداها اليها " مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

التجديد فى " جنا الفاتنة "

فى هذه القصيدة الوجدانية العاطفية الرقيقة يتجلى اجتماع الرمز الشعرى poetic symbol بالعاطفة Emotion فى صورة متوازنة مبدعة .

ونلاحظ فيها مجموعة من التعبيرات المبتكرة والتراكيب الغريبة التى استحدثها الهمشرى فى هذه القصيدة وأضاف جديدا لقاموسنا الشعرى التقليدى وفى شعرنا العربى المعاصر فهى تلك التعبيرات والتراكيب : " معبد الأحزان " و " طيوف الجمال " و " خيمة الغناء " و " رياض سحيقة فى الخيال " و " معبد الخيال " و " مقمر الصمت " و " ظل مقدس " و " ضفاف الخيال " و " الدفء المنور " و " يد الأطياف " وغير ذلك من تعابير مستحدثة جميلة أضفى على القصيدة نوعا من الغموض الفنى Ambiguity أكسبها جمالا وطرافة وأصالة .

وهذه الألفاظ والتعابير والتراكيب يغلب عليها طابع التلوين والظلال والأضواء وهى من ابتكارات خيال شاعرنا المحلق ويتناول الدكتور عبد العزيز الدسوقى هذه القصيدة بالدراسة والتحليل فيقول عنها : (١)

" مضمون القصيدة وجدانى تغلب عليه مسحة من التصوف والشوق الروحى والظمأ الى الحب ، وللشاعر مقدرة على خلق صور خيالية كثيرة ، وعوالم متعددة ينفث فيها الحرارة والحياة ، بل يشير الى أنه كان موجودا قبل هذه الحياة ، وكان يصلى فى ذلك الوقت لحسن حبيبته فى دنياه .

" وتصور القصيدة نزعة عاطفية عميقة الغور فى نفس الشاعر ، فرسم صورا بديعة للريف والطبيعة ، حتى لنشم رائحة النارنج ونرى الحديقة وسورها وزهرة الفل ، والمروج ، ونكاد نلمس الندى على الأوراق ، ونشاهد الشعاع

---

(١) الدكتور عبد العزيز الدسوقى / جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث / ١٩٧١م - القاهرة .

والظلال والغمام " .

وبعد فان الهمشرى فى قصيدته اندمج فى الطبيعة كروح هائمة ظمأى للحب والجمال وأبرز لنا جمال الطبيعة الريفية بصدق وعذوبة وأصالة .

" شاعر النارنجة الذابلـــة "

بعد أن قطع الهمشرى دراسته بكلية الآداب بعد قضاء عامين بها التحـق بوظيفة متواضعة ... " محرر بمجلة التعاون " وسرعان ما آمن برسالة التعاون ، فأحب الوظيفة ، ووهبها كل حياته وكانت تلك مرحلة جديدة فى حياته وشعره ...

اذا سمينا مرحلة أبوللو"فى حياة الهمشرى مرحلة الوجدان الذاتى"فان هذه المرحلة الجديدة يمكن أن تسمى " مرحلة الوجدان الاجتماعى القومى وكان فيها شاعرنا " شاعـر الحضارة الريفيـة " ...

بدأت هذه المرحلة عام ١٩٣٥م.

وكان فى عمله يتنقل بين القرى فى مختلف مدن وقرى مصـر ، ليـزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ، ويكتب عنها فى مجلة التعاون وأمد ذلك شعره بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس والصور الشعرية الجميلة من معايشة للريف المصـرى وطبيعته الجميلة الساحرة ...

يرسم شاعرنا لوحة بعنوان " أغنية الفلاح المصرى للجاموسة الراعيـة " يقول فيهـا : (١)

تنقلـى تنقلـى   من جـدول لجـدول
جاموستى ياساحـره   جوبى الحقول الناضره
تنقلى ... تنقلـى

xxxxxxxx

يشدو لك العصفـور   ويهمس الغديـر
تنقلى ... تنقلـى

ثم يرسم صورا لبعض طيور القرية وزهورها وأشجارها ، فيجسم لنا .ملامح

---

(١) التعاون / ابريـل ١٩٣٦م.

الفراش الأصفر فى قصيدة مطلعها : (١)

ياطاشرا لايكف ... هل أنت نجم يرف ؟
أم أنت خطفة نور ... أم أنت قلب يخف ؟

ويصف اليمامة فى قصيدة مطلعها يقول :

رددى فى السكون ذكرى الهديل ... وتغنى ياشهر زاد النخيل
أى ذكرى تشجيك ؟ أى خيال ... راح يضنيك من فراق خليل؟

ويصف الطائر الجميل " المغرد " بقوله :

ياراحة فى ظلمة اليأس ... فيها صفاء القلب والنفس
أرقصت قلبى من مرقرقة ... خمر تصفق فى مهدى الحس
وتدب فى قلب ابن نشوبها ... حتى يبيت وسرمد الأنسى

ويصور مناجاة فلاح لنخلة يستريح تحتها من وعثاء الطريق فى قصيدته " شجر النخيل " فيقول : (٢)

قد طاب لى مقيلى ... فى سهلك الجميل
فى ظلك الظليل ... ياشجر النخيل

xxxxxxxxxx

عروسة الصحراء ... ياكعبة الرجاء
وياهدى التيهاء ... ياشجر النخيل

وهناك لوحة جميلة لحلول المساء على القرية بعنوان "ليلة" يقول فيها : (٣)

---

(١) التعاون / مارس ١٩٣٧م .

(٢) التعاون / يوليو١٩٣٦م .

(٣) التعاون /ديسمبر١٩٣٨م .

ولى النهار وأقبل الغسق	والصمت يجثم خلفه الأفق
والروض ينشر فيه موكبه	هذا الضباب ويلمع الشفق
والدوح مرتعش يخالسه	بين السحائب كوكب خفق
والروض رنق للنعاس فلا	طير يرف به ولاورق
أرخى الظلام عميق وحشته	فوق الديار وأخلت الطرق

ثم تأتى أجمل قصائده فى مرحلته الجديدة وهى قصيدة " النارنجة الذابلة " التى تفصح عن نفسية حزينة قلقة تأسى على الماضى الجميل وتتحسر على ضياعه فى صورة اختلطت فيها العاطفة بالرمز الفنى والتشخيص Personification لمظاهر الطبيعة .

فالهمشرى تبلغ ذروة رومانسيته الحالمة فى تلك القصيدة حين يصف الطبيعة الحالمة والاستغراق فيها واصفا براءة طفولته وجمال ذكرياتها حين كان يعدو وراء الفراشات يصطادها مع محبوبته الصغيرة ، فاتنة نوسا البحر ثم يستريحان عند شجرة حالمة عند السياج وتغريد "الزرزور " يداعب أذنيهما ...

واستعاد شاعرنا عندما كبر هذه الصور الشاعرية الحالمة لبراءة الطفولة وجمال أيامها فكانت هذه القصيدة الغارقة فى الرومانسية الحالمة : (١)

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفيا
ويفيض منها فى الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور

---

(١) التعاون / مايو ١٩٣٦م / ص : ٤٣٢ .

كانت لنا يا ليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxx

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتى

أو كنت أجلس تحتها فى ظلتى

أو كنت أرقب فى الضحا زرزورها

متهللا يغشى نوافذ غرفتى

طورا ينقر فى الزجاج وتارة

يسمو يزرزر فى وكار شقيقتى

فاذا رآنى طار فى أغرودة

بيضاء واستوفى غصون شجيرتى

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلسى

وأنا أراعى الأفق نصف مغمض

خنقت جفونى ذكريات حلوة

من عطرك القمرى والنغم الوضى

فانساب منك على كليل مشاعرى

ينبوع لحن فى الخيال مفضض

وهفت عليك الروح من وادى الأسى

لتعب من خمر الأريج الأبيض

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى

وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكرت عهد الصبا فتأوهت
وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها
ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى
فيرف فيها طيفها المسحور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام ينشر لحنه الزرزور

ثم يختتم هذه القصيدة بجوها الرومانسى الحالم ونغمتها الآسية المتحسرة على الماضى بجماله وبرائته فيقول :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى
فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر مايخدر مسمعى
زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف فى غيبوبتى فيفيقنى
فجر قصير البعث من رياك
والآن اذ عجل القضاء فأننا
سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

أنظر الى مدى حسرته على الماضى فى تكراره لقوله :

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

حيث يرسم جو الطبيعة الحالمة والزرزور والشجيرة والنارنج الى غير ذلك من صور الاندماج فى الطبيعة وهى من أبرز سمات الرومانسيين .

وقد استحدث شاعرنا فى هذه القصيدة تراكيب وتعبيرات جديدة تعد ثروة نفيسة

فى قاموس شعرنا العربى المعاصر مثل : " العطر القمرى " و " النغم الوضى " و " الخيال المفضض " و " خمر الأريج " و " عرائس النارنج " الى غير ذلك من التراكيب والتعبيرات الجديدة التى أضافها لقاموسنا الشعرى والتى أثارت جدلا حاميا بين الشعراء والنقاد ، كما أثارت القصيدة نفسها اعجاب الكثير من النقاد

يقول الدكتور مندور عن هذه القصيدة : (١)

" فى هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التى تتميز بها الرومانسية عند الغربيين .

وأولى تلك الخصائص هو الحنين الى شئ غير حاضر الشاعر وواقع حياته ، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة ، وهو حنين الشاعر الى شجيرته فى الريف ، وأساه على فراقها " .

xxxxxxxxx

ولكنى أستطيع أن أقول أن هذه القصيدة تمثل الاحساس بالماضى sense of the past عند شاعرنا فتمثل ذكريات غرامه البرئ الطاهر وقصة حبه الأول مع " جتا " بين ربوع السنبلاوين وتحت شجيرة حالمة وكان شاعرنا هو " الزرزور " المرح المغرد على شجيرة الحب ....

وقد أبهم على البعض معانى القصيدة الخفية لاستخدام شاعرنا الرمز الشعرى poetic symbol فظنوا أنه يقصد الأسى على الشجيرة وزرزورها ولكنه كان يأسى على غرام ذهب وحب ضاع ...

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى .

" زهرة خالـدة العبيـر "

ترددت فى شعر الهمشرى أبعاد مأساة رحيله المبكر من الحياة ، فقد أكثـر من ذكر الموت والعدم والنهايـة فى جل شعره .... وملحمة " شاطىء الأعـراف " فيها الكثير من المعانى التى تدور حول هذه الفكرة ... ففيها تصوير لسفن المـوت وشاطىء الأعراف وجنة الشعراء .

ولعل من أبرز قصائده التى تعكس احساسه المبكر برحيله مثل شعرائه الأثيريـن شيللى وكيتس وبيرون قصيدته " حياة الشاعر " التى نشرت قبل رحيله بحوالى أربعـة أعـوام فقـط ...

يقول فيهـا : (١)

غـدا ياخيالـى تنتهى ضحكاتنـا
وآلامنا تفنـى ، وتفنـى المشاعـر
وتسلمنـا أيدى الحيـاة الى البلـى
ويحكم فينا الموت ، والموت جائـر

وفى جلسة له هادئـة على " صخرة الملتقى " فى المنصورة وهى تقع بين البحـر الصغير والصحراء فى بقعة نائية من المنصورة تراوده أحزان روحه وآلام نفسـه :

جلست على الصخر الوحيـد وحيـدا
وأرسلت طرفى فى الفضـاء شريـدا
وكفكفت دمعـا لايكفكف غربـه
وواسيت قلبـا فى الضلوع عميـدا
أرى صفحة الآمـال قد ضـاق أفقهـا

---

(١) أبوللو / ابريل ١٩٣٤م / ص : ٦٨٣ .

ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشت في دنيا الخيال معذبا
فياليت شعرى ، هل أموت سعيدا ؟

xxxxxxxxxx

كأن حياتى غنوة بدوية
شدتها الليالى للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى نغماتها
أقامت لها ذكرى تحف بها الأذنا

xxxxxxxxxxx

لئن فاتنى عهد الشباب ولهوه
فانى بعمرى لست آبه أو أعنى
فرب هواء طاف فى اللجن وامحى
يخلد عن ريح معمرة قرنا

ثم يطمئن نفسه على رحيله المبكر من الحياة بخلود شعره الذى سيبقى يروى للأجيال مأساة شاعر رحل فى عمر الزهور وبقى عبيره شذيا فواحا :

لقد كنت فى الدنيا جمالا يزينها
بما شاده شعرى على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها ، لا لغيرها
ومن أجلها أقضى ، ومن أجلها أحيا
اذا ذبل النارنج عاش عبيره
وكان له فى الوهم من نفحه محيا
ويخلد بعد البدر فى الفكر رونق
يغذى خيالى الشعر والحب والوحيا

هذه صور من عشرات الصور الحزينة القاتمة التى يلفها السواد والتشاؤم واليأس والتى تفصح عن نفسية حزينة قلقة تسعى الى الموت وتلح على ذكره لاحساس قوى بالرحيل فى سن مبكرة ولكننا نكتشف أن شاعرنا فى حياته كان من أكثر المحبين للحياة ، وأكثر فرقا من الموت يروى لنا صديق صباه ومطالع مشاعر الشاعر صالح جودت هذه الحقيقة الغريبة عنه فيقول : (١)

" كان الهمشرى أكثر الشعراء حبا للحياة ، وفرقا من الموت .

" لقد يضلك من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت فى شعره ، ويتوقعه فى كثير من قصائده .

" أما فى واقع حياته ، فقد كان حريصا على الحياة ، كبير الآمال فيها ، الى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لايغرق ، وكان اذا سار فى شارع آثر أن يسير فى وسطه لا على افريزه ، خشية أن تسقط احدى العمائر فتدفنه تحت أنقاضها " .

xxxxxxxxxx

لم يمهل القدر هذا الشاعر النابغ ليكمل رسالته فى مجال التعاون وفى خلال أربعة أيام رحل شاعرنا الأعراف ، الهمشرى على اثر جراحة أجريت له الاستئصال الزائدة الدودية ، فأصيبت أمعاؤه بالشلل فى أثناء العملية ، ولقى وجه ربه فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٨م .

وكأنه كان يحس بدنو أجله فزار السنبلاوين مسقط رأسه قبل رحيله بفترة وجيزة ليستعيد ذكريات صباه بين ربوعها ... وعرج على نوسا البحر مهد ذكريات غرامه الأول البرىء مع " جتا " وتحسر على تلك الأيام الجميلة وكتب عن عودته الى مهاد الحب وموطن الذكريات يقول : (٢)

رجعت اليك اليوم من بعد غربتى

---

(١) صالح جودت / الهمشرى ، حياته وشعره .

(٢) التعاون / فبراير ١٩٣٨م / ص : ١٤٦ .

وفى النفس آلام تفيض تواثر
رجعت وعقلى تائه الفكر شارد
وأبت وقلبى واهن الخفق حائر

xxxxxxxxxx

فيا أرض أحلامى ، أألقى طفولتى
ويسعدنى يوم من العمر آخر؟
تعسفت فيك الليل والريح صرصر
وخضت اليك الموج والنهر ثائر
أتيت لألقى فى ظلالك راحة
فيهدأ قلبى وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منعما
يخدرنى نفح من المرج عاطر
ويلحفنى هذا البنفسج ، ولتكن
مسارح عينى ... الربا والمحاضر
وآخر ما أصغى اليه من الصدى
خريرك يغنى وهو فى الموت سائر

ثم كأنه ينعى نفسه ويرثيها قبل الرحيل فيقول فى نهاية القصيدة :

لقد خف نسم الصبح يهمس ناعيا
الى السهل أن قد فارق الكون شاعر
لذا نقس (١) النحل الزهور فجلجلت
ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

ثم كان رحيل شاعر الأعراف ، م . ع . الهمشرى .

---

(١) نقس : دق الناقوس .

وكتب صديق صباه صالح جودت يصفه بقوله :

كان يفيض قوة وشبابا وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، تكاد حمرة الشباب تقفز من خديه ، لايشكو شيئا فى جسده ، ويحب أن يتأنق فى ملبسه ، ويتخير رباطات عنق ذات ألوان ذاهية كألوان مناديل صدره ، ويزين عروة سترته دائما بوردة كبيرة حمراء ، ويمشى فى الأرض مرحا ، ويملأ الجو حوله بضحكاته العالية ، ويشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد " .

xxxxxxxxx

وبعد ، فقد رحل شاعر الأعراف ، م. ع. الهمشرى وهو لم يتجاوز الثلاثين الا قليلا ولكنه أعطى لشعرنا العربى تراثا خصبا عميقا يجعله فى طليعة شعرائنا الرومانسيين فى شعرنا العربى المعاصر .

لقد اهتصرت الزهرة فى عنفوان تفتحها وتألقها ولكن عبيرها مازال عبقا فواحا شذيا خالدا على مر العصور والأجيال .

مختارات

من شعر الهمشرى

١ - الى نوسا .

٢ - عاصفة فى سكون الليل .

٣ - أحلام النارنجة الذابلة .

---

١ - الى نوسا

منك الجمال ومنى الحب يا " نوسا "(١)
فعللى القلب ، ان القلب قد يئسا
ياحبذا نسمة من " توجة " (٢) خطرت
أطالت النفس من أسبابها النفسا
أضمها ضم مشتاق به خبل
قد رام كتم هوى أحبابه فنسا(٣)
ان تسمعى قرع ناقوس بقريتكم
فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فانه قلبى المنكود بذكركم
فهل سمعت بقلب قد غدا جرسا ؟
وان تالق برق فى سماوتكم
فانه من لهيب القلب قد قبسا

xxxxxxxxxx

الروح ان ظمئت يوما ، فحاجتها
خمر سماوية فاضتها بها قدسا
وأنت " ياتوح " روحانية خلقت
لكى ترينا علا الجنات منعكسا

xxxxxxxxxxx

---

(١) نوسا : قرية تتكىء على النيل قريبة من المنصورة واسمها " نوسا البحر "
وكانت للهمشرى فيها قصة حب كبيرة .

(٢) الاسم المدلل للمتغزل فيها .

(٣) نسا : قصر .

هذا جمالك يدعونى لأعشقه
لكن ثغرك يادنياى مانيسا
الله يشهد أنى حين أذكركم
أذيل دمعا على الخدين محتبسا
عسى نسيم الصبا يسرى فيسعف بى
قلبا يموت حزينا فى الغرام .. عسى
فان بعثت لنا من " توحة " خبرا
فكم يحبك هذا القلب يا " نوسا "

---

٢ - عاصفة فى سكون الليل

أشرقى كالفجر فراء الجبين
واتركى نورك يهدى العالمين
واطلعى فى ليل حزنى كوكبا
تعصمينى من ضلال العاشقين
واطرحى فى قفر عمرى زهرة
علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسم لنا بيض المنى
واضحكى تضحك لنا عز السنين

xxxxxxxxxx

ها هو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن لقلبى والحنين
هيكل الأحزان ... فى محرابه
قرب العشاق قربان العيون
عطره أحزان أزهار الربا
ونداه عبرات الباكين
وسرى النسم فى أحشائه
مهج ذابت وأرواح فنين
كل شىء هان فى شرع الهوى
ياملاكى ... والهوى ليس يهون

xxxxxxxxxx

لم يمر الليل سوى بنت هوى

(١) مجلة التعاون / ١٩٣٨م.

قـرأت ماستعانـي فى الجبيـن
لبست فى بدثـه ثـوب الهـوى
وبآخـراه ثيـاب النادميـن
وعميـد بات مطـوى الحشـا
فى سكـون الليل مبحـوح الأنيـن
قـام فى الليل كطيـف عابـر
وكأن الليـل محـراب القـرون

xxxxxxxxxxx

ومغـن قلـب الحـزن ملـى
وتـر اللهو لديـه والمجـون
ليـس يـدرى فكـره مالحنـه
وهو رجـع السحـر من ماض شطـون

xxxxxxxxxxx

أيهـا الليـل آتينـا نشتكـى
فاستمع شكـوى الحزانـى المتعبيـن
هدنـا الحـزن وأضنانـا الأسـى
وبرانـا الوجد فى دنيـا الشجـون
قـد شكوناك وجئنـا نشتكـى
لـك شيئـا من خيال الذاهليـن

xxxxxxxxxxxx

اننـى ياليـل آحكـى غنـوة
فنيـت فيـك على مـر السنيـن
واستحالـت فـى البلـى قبـرة
تتغنـى فى دجـى وادى المنـون

xxxxxxxxxxxxx

هــذه أغنيتـــى رتلتهـــــــــا
لك يادنياى فى ديــر الســكـــــون
لحنهــا أنت ... وحزنـــى وقعهـــا
ونذيــر الموت بعض السامعيـــــن
لاتلومـــى مابهـــا من حـــــزن
انمـــا الأحزان موسيقـــى الحزيـــن
أعــذب الألحان لحــن أفرغــــــت
فيــه أنات الأســى طــى الحنيــن
عانقينـــى فى الدجـى اقتربـــى
اننـى أفــزع مما تفزعيـــــن
قربـــى خدك ... ضمينـــى الـــى
صــدرك الحانى .. ألثمـى هذا الجبين
انمـــا نحن كركب ضــل فـــــى
تيــه صحـــراء ... بقوم تائهيـــن
قد نسينـــا كل ماكـــان لنــــا
وتركنـــا فى غــد ماسيكـــون؟

---

٣ ـ أحلام النارنجة الذابلة

كانت لنا عند السياج شجيرة
آلف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع بزورها متخفيا
فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxx

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتى
أو كنت اجلس تحتها فى طلتى
أو كنت أرقب فى الضحى زرزورها
متهللا يغشى نوافذ غرفتى
طورا ينقر فى الزجاج وتارة
يسمو ويزرزر فى وكار سقيفتى(١)
فاذا رآنى طار فى أغرودة
بيضاء واستوفى(٢) غصون شجيرتى
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

(١) جمع وكر ـ سقف الغرفة .

(٢) استوفى ـ اشترف .

فمتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى
نوارك الثلجى ياشارنجتى
ومتى أطير اليك ترقص مهجتى
فرحا وآخذ مجلسى من شرفتى

xxxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلس
وأنا أراعى الأفق نصف مغمض
خنقت جفونى ذكريات حلوة
من عطرك القمرى والنغم الوضى
فانساب منك على كليل مشاعرى
ينبوع لحن فى الخيال مفضض
وهفت عليك الروح من وادى الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيض
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxx

هيهات ... لن أنسى " ضحى سبتمبر "
والنحل يغشى نورك المتلالى
ومساء " مارس " كيف يهبط تله
شفقية محدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أوهام الندى
وضفا عليك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية بها
روحى فتاهت فى مروج خيال
وهنا تحركت الشجيرة فى أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكرت مهد الصبا فتأوهت
وكأنها بيد الأسى طنبور

xxxxxxxxxx

وتذكرت أيام يرشف نورها
ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى
فيرف فيها طيفها المسحور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت عند السياج أزاهرا
صفراء رفت فى ظلال العوسج
زهر القطيفة كيف خان عهودها
نسى الهوى فى عطرها المتبلج
وتذكرت فى رهشة لما سبا
زرزورها منها ولم يتحرج
وهنا تمشت فى الشجيرة خلجة
وبكت حنينا للشذى المتأرج
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت شفقا توهج حمرة
خلل الغيوم على ربى الآصال
وبدت غصون الجزورين كأنها
قلع ترفرف فى بحار خيال

xxxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت
وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت شجر النخيل وهدها
قد كان يقصدها صباح مساء
وتذكرت فى اليوسفى يمامة
كانت تنوح الليلة القمراء

xxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فترنحت
وكأنها بيد الأسى طنبور

xxxxxxxxxxx

وقفت على كل الغصون سحابة
وزكا الغصين وفتح النوار
وتهلل الزرزور فى أوراقها
وزها السياج وفاحت الأعطار

xxxxxxxxxxx

طمحت بأرض فى الخيال سحيقة
فى ذلك الأفق القصى النائى
وهناك تحت " سمانجون " سمائها (١)
تاقت الى أحلامها الزرقاء
خلدت الى صمت هناك مخيم

---

(١) سمانجون : لفظة فارسية يقصد بها الزرقة العميقة .

تسجو عليه خوافق الأفياء
هي جنة الأشجار والأظلال
والأعطار والأنغام والأنداء

xxxxxxxxxxxxx

يتزاهر " البشنين " فوق شطوطها
ويغازلي الدفلي زهر اللوتس
وعرائس النارنج فاح عبيرها
بالنحل تحلم في السكون المشمس
وهناك زرزور يغرد دائما
ويقص أحلام الزهور النعس
يروي لها أسطورة سحرية
مما يفوح به خيال النرجس
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

نارنجتي ... والله قد فارقتني
وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك في انقباض موحش
وكأنني منه مساء شتاء
تتناثر الأعطار في آفاقها
روحي اليك وراء كل فضاء
وترف في دهليز كل أشعة
قمراء أو ترنيمة بيضاء

xxxxxxxxxxxx

قد كنت أرجو أن تكون نهايتي

في ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر مايخدر مسمعي
زرزورك العشاق حيث أراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني
فجر قصير البعث من رياك
والآن اذ عجل القضاء فانما
سيقوم في الذكرى خيال شذاك

xxxxxxxxxx

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفيا
فيفيض منها في الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور

xxxxxxxxxx

كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

محمد رضوان

* ولد محمد محمود رضوان بمحافظة الدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨ م
* حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
* صحفى بدار الهلا ل - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر.
* يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية.
* من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - انيس منصور- أحمد عبدالمجيد- ابراهيم عيسى- عبدالعليم القبانى- د. مقداد يالجن- سعد حامد- كمال النجمى)
* له خبرة فى الصحافة الأدبية، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» القاهرية.

* **من مؤلفاته التى صدرت:**

١ - صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك

٢ - مأساة شاعر البؤس، عبدالحميد الديب

٣ - شاعر النيل والنخيل، صالح جودت

٤ - السندباد الطائر، أنيس منصور

٥ - رحلتى مع القلم

٦- اعترافات شاعر الكرنك، احمد فتحى

٧ - قصائد الحب الممنوعة

٨ - قصائد سياسية ممنوعة

٩ - ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والاسطورة

* **له تحت الاعداد والطبع:**

١ - نساء فى حياة فاروق

٢ - فيلسوف الصعاليك : عبدالحميد الديب

٣ - يوسف السباعى : الفارس لشهيد

٤ - شاعر الأطلال، ناجى

٥ - شاعر الجندول، على محمود طه

٦ - شعراء الحب

الفهرست

صفحة

- منهج محمد رضوان فى أدب السير والتراجم للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد ٤
- مقدمة المؤلف ١١
- مع شعر الحب والجمال ١٣
- شاعر الأطلال ، ناجى ٢٥
- شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت ٨٠
- شاعر الجندول ، على محمود طه ١١٧
- شاعر الكرنك ، أحمد فتحى ١٤٧
- شاعر الأعراف ، الهمشرى ٢٠٧

شعراء الحب

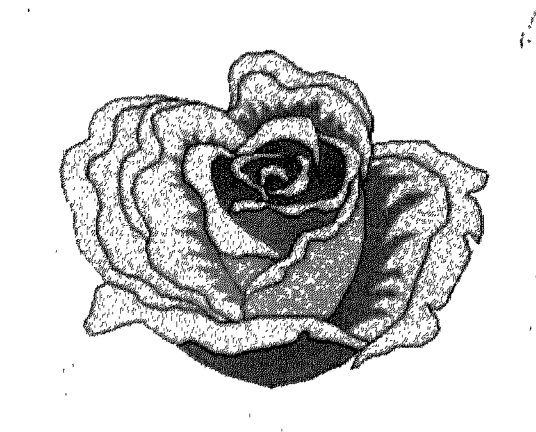


* ظل الحب هو الواحة الغناء للشعراء العشاق الذين جعلوا من التغني ببدائع الحسن وروائع الجمال دستورا لهم يعزفون على قيثاراتهم أحلى أغاريد الحب والجمال .

* وفي هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفي محمد رضوان يقدم لنا نخبة من أرق شعراء الحب والجمال ، الذين عاشوا تجارب الحب ورتلوا في محراب الحبيبة نغمات تفصح عن أسرار قلوبهم وسرائر أرواحهم ، وجعلوا من الحبيبة المنار العالي الذي يضيء حياتهم بالنور والنار ويملأ حياتهم بعبير الحب الفواح .

* إنها أغاريد الحب والجمال لهؤلاء الشعراء الرومانسيين الذين أحبوا وعانوا من ليالي الحب والعشق وآلام الحنين والسهاد !

شعراء الحب



محمد رضوان

مركز الراية للنشر والإعلام

الحب واحة العشاق وشعراء الحب كثيرون منهم من طغى الحب على قصائده ومنهم من يهرب بقصائده من الحب وعذابه وآلامه ومنهم من يجمع بين الاثنين ويناجي الحبيب بأبيات تعبر عما فى قلبه من خفقات الهوى ، وآهات النجوى والسهاد ، إنها رحله ممتعه داخل قلوب الشعراء يمر فى محطاتها أديبنا محمد رضوان فى رحله مثيره وممتعة .

الناشر
محمد فكرى

21 1 2000
الأهرام AL-AHRAM

مركز الراية للنشر والإعلام



مركز الراية للنشر والإعلام

تطلب إصداراتنا من
مكتبة فكرى
٣٠ ميدان الحسين - القاهرة - ت ٦٢١٩